الصومال
خرائط الجوع

الدوحة ترييكا :
حب وثورة

الصليبي وشلبي:
معاندة التاريخ !

كامو.. علي فرزات
صفعة المثقف



العدد 48 - أكتوبر 2011
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

مجاناً مع العدد كتاب:
الإسلام وأصول الحكم
علي عبد الرازق

ثورات الغرب
نهاية التاريخ

غناء الثائرين
الراب



من إصدارات

وزارة الثقافة والفنون والتراث

الدوحة - قطر

في ظلال الثورات العربية
تأملات في الحكم الرشيد

ما جرى من أحداث دامية في مواجهة الثورات العربية في تونس ومصر واليمن، وما يجري حالياً في ليبيا وسورية يثير تساؤلات كثيرة حول مفهوم الحكم الرشيد وتطبيقاته في بلداننا العربية.

الحكم الرشيد وصف لطريقة تتسم بالحكمة والحنكة في معالجة أمور البلاد وشؤونها بما يضمن الأمن والاستقرار، ويلبي مطالب الشعب، ويحقق التطور والتنمية للمجتمع وأهله، ولهذا النوع من الحكم أسس ومبادئ تضمن له صفته «الرشيد» لعل أهمها الشورى، والمشاركة الشعبية، والمساواة، والعدل، والشفافية، والمحاسبة، واحترام الحقوق، والاستجابة لتطلعات الشعب واحتياجاته، ومتى انهدمت هذه الأسس انقلب الحكم إلى نوع آخر أساسه الفساد والظلم والقهر ومؤشراته الدالة عليه عدم تطبيق سيادة القانون وانتشار الفساد وانتهاك حقوق الإنسان وغياب الديموقراطية وعدم الفصل الواضح بين المصلحة الخاصة والعامة وهذه بعينها معوقات الحكم الرشيد ووقود الثورات العربية.

ومن أعجب ما قرأت ما ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه «تلبيس إبليس» في الباب السابع «باب تلبيس إبليس على الولاة والسلاطين» حيث سرد وجوهاً متعددة يدخل منها إبليس على أصحاب المناصب العليا في الحكم منها:

1 - أنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ما ولَّاهم سلطانه وجعلهم نواباً عنه في عباده.

2 - يزين لهم أن الولاية تفتقر إلى هيبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بآرائهم.

3 - يخوفهم الأعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب فلا يصل إليهم أهل المظالم.

4 - أنهم يستعملون من لا يصلح ممن لا علم عنده ولا تقوى.

5 - إنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه، ويقتلون من لا يحل قتله، ويوهمهم أن هذه سياسة.

6 - إنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة، ولو حقق النظر لرأى اختلالاً كبيراً.

وإذا آذنت هذه التلبيسات بخراب العمران واشتعال الثورات حضر إبليس ليقول لهم كما جاء في القرآن الكريم: (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) وصدق فيهم قول الشاعر:

وقُدتُ إلى نفسي منيَّة نفسها ... كما احترقت في نارها كفُّ مُضرم

رئيس التحرير

رئيس الهيئة الاستشارية
د. حمد بن عبد العزيز الكواري
وزير الثقافة والفنون والتراث

رئيس التحرير
د.علي أحمد الكبيسي

مدير التحرير
عزت القمحاوي

الإشراف الفني
سلمان المالك

سكرتير التحرير
نبيل خالد الأغا

الهيئة الاستشارية
أ. مبارك بن ناصر آل خليفة
أ.د. محمد عبد الرحيم كافود
أ.د. محمد غانم الرميحي
د. علي فخرو
أ.د. رضوان السيد
أ. خالد الخميسي

جميع المشاركات ترسل باسم رئيس التحرير ويفضل أن ترسل عبر البريد الالكتروني للمجلة أو على قرص مدمج في حدود 1000 كلمة على العنوان الآتي:

تليفون: 44022281 (974+)
تليفون - فاكس: 44022690 (974+)
ص.ب.: 22404 - الدوحة - قطر

البريد الإلكتروني:
editor@dohamagazine.com
aldoha__magazine@yahoo.com

مكتب القاهرة:
34 ش طلعت حرب، الدور الخامس، شقة 25 ميدان التحرير
تليفاكس: 5783770
البريد الإلكتروني:
samykamaleldeen@yahoo.com

المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة ولا تلتزم المجلة برد أصول ما لا تنشره.

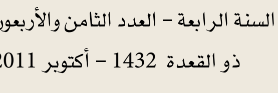
الدوحة

ثقافية شهرية

العدد 48

السنة الرابعة - العدد الثامن والأربعون

ذو القعدة 1432 - أكتوبر 2011



تصدر عن

وزارة الثقافة والفنون والتراث

الدوحة - قطر

صدر العدد الأول في نوفمبر ١٩٦٩، وفي يناير ١٩٧٦ أخذت توجهها العربي واستمرت في الصدور حتي يناير عام ١٩٨٦ لتستأنف الصدور مجددا في نوفمبر ٢٠٠٧ . توالى على رئاسة تحريرالدوحة إبراهيم أبو ناب ، د. محمد إبراهيم الشوش و رجاء النقاش.

الاشتراكات السنوية

داخل دولة قطر

الأفراد	120 ريالاً
الدوائر الرسمية	240 ريالاً

خارج دولة قطر

دول الخليج العربي	300 ريال
باقي الدول العربية	300 ريال
دول الاتحاد الأوروبي	75 يورو
أمـيـركـا	١٠٠ دولار
كـنـدا واسـتـرالـيـا	١٥٠دولاراً

رئيس قسم التوزيع والاشتراكات

عبد الله محمد عبدالله المرزوقي

تليفون : 44022338 (974+)

فاكس : 44022343 (974+)

البريد الإلكتروني:

al-marzouqi501@hotmail.com

doha.distribution@yahoo.com

ترسل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالريال القطري باسم وزارة الثقافة والفنون والتراث على عنوان المجلة.

وكيل التوزيع في دولة قطر:

دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - الدوحة - ت: 44557810 فاكس: 44557819

وكلاء التوزيع في الخارج:

المملكة العربية السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - الرياض- ت: 4871414 - فاكس: 4871460/ مملكة البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة - ت: 17480800 - فاكس: 17480818/دولة الإمارات العربية المتحدة - المؤسسة العربية للصحافة والإعلام - أبو ظبي - ت: 4477999 - فاكس: 4475668/ سلطنة عُمان - مؤسسة عُمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان - مسقط - ت: 24600196 - فاكس: 24699672/ دولة الكويت - شركةالمجموعة التسويقية للدعاية والإعلان - الكويت - ت: 1838281 - فاكس: 24839487/ الجمهورية اللبنانية - مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع - بيروت - ت: 653259 - فاكس: 653260/ الجمهورية اليمنية - محلات القائد التجارية - صنعاء - ت: 240883 - فاكس: 240883 / جمهورية مصر العربية - مؤسسة الأهرام - القاهرة - ت: 25796997 - فاكس 27703196/الجماهيرية الليبية - دار الفكر الجديد لاستيراد ونشر وتوزيع المطبوعات - طرابلس - ت: 925639257 - فاكس: 213332610 / جمهورية السودان - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - الخرطوم - ت: 466357 - فاكس: 466951 / المملكة المغربية - الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة، سبريس - الدار البيضاء - ت: 2249200 - فاكس:2249214/ الجمهورية العربية السورية - مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع - دمشق - ت: 2127797 -فاكس:2128664

الأسعار

- 10 ريالات
- دينار واحد
- 10 دراهم
- 800 بيسة
- دينار واحد
- 10 ريالات
- جنيهان
- 3 دنانير
- 2 دينار
- 80 ديناراً
- 15 درهماً
- 80 ليرة

الجمهورية اللبنانية	3000 ليرة
الجمهورية العراقية	3000 دينار
المملكة الأردنية الهاشمية	1.5 دينار
الجمهورية اليمنية	150 ريالاً
جمهورية السودان	1.5 جنيه
موريتانيا	100 أوقية
فلسطين	1 دينار أردني
الصومال	1500 شلن
بريطانيا	4 جنيهات
دول الاتحاد الأوروبي	4 يورو
الولايات المتحدة الأميركية	4 دولارات
كندا واستراليا	5 دولارات

الغلاف الأول:

لوحة الغلاف
Paula Rego
1988 - 1928

مجاناً مع العدد:

الإسلام وأصول الحكم
علي عبد الرازق







مقالات



ترجمات

صيد اللؤلؤ





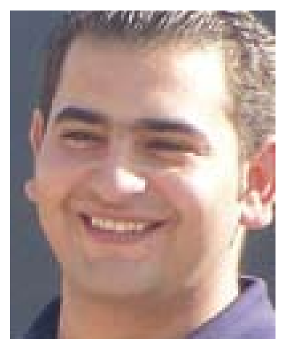
أدباء العراق يبحثون عن ناشر

بغداد- حسام السراي:

إذا كان لنا أن نصل إلى فهم ما يواجه الأديب الشاب في العراق، من إشكالات تعترض خطواته في إصدار ما ينتجه، علينا القول إنّ نسبة كبيرة من أدباء العراق الشباب يطبعون كتبهم خارج البلاد.

الشاعر علي محمود خضيّر الذي صدرت له العام الماضي عن دار «الغاوون» في بيروت، مجموعته الشعريّة الأولى «الحالم يستيقظ»، يعلل سبب توجهه نحو دور النشر العربيّة أكثر من قريناتها المحليّة، بأن قال: «يبحث الشاعر العراقيّ من وراء طباعة كتابه في الخارج عن فرصة الحصول على توزيع جيّد ومثاليّ (مفترض) للكتاب ومواصفات طباعيّة تحترم الجهد الذي بذله في تأليف كتابه، لأنّ دور النشر العراقيّة الموجودة حالياً لا تلبي هذا الطموح، بل إنّها في الغالب لا توزع كتبها حتى داخل العراق».

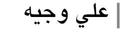
في حين يكون الأديب العراقيّ أمام مشكلة ثانية مع دور النشر الأهليّة إذ يصف صاحب كتاب «الحالم يستيقظ» أنّ «هذه الدور التي تصنف أنّها عراقية لكنّها تصنع كتبها خارج العراق مثل منشورات الجمل ودار الورّاق ودار السيّاب، وعلى الرغم من تميّز صناعتها للكتاب إلا أنّها دور لا تلتفت إلى الشعر إلا نادراً وإنْ حصل فلا يكون للنتاج الشعريّ الجديد منها حصة، تحت حجة أنّ الشعر لا يباع في السوق مع أنّ الشاعر يتكفل بدفع مبلغ طباعة الكتاب كاملاً!!..»، وهنا يصل إلى نتيجة مفادها «كلّ هذه الظروف تجعل الشاعر يضطر بلجوئه إلى دور النشر العربيّة ودفع مبالغ كبيرة، مع الأخذ بالاعتبار بأنّ النشر في هذه الدور لا يشكل ضماناً حقيقياً لتوزيع الكتاب بالشكل الذي يتمّ التعاقد عليه».



| علي وجيه



| مازن لطيف



| علي محمود خضيّر

عائق آخر يعيشه أدباء العراق، تتقدّم فيه السياسة وإشكالاتها على حساب الأدب والتواصل الثقافيّ العراقيّ العربيّ، مثلاً هناك أكثر من أديب عراقيّ كان قد فاز بجوائز عربيّة حُرم أصحابها من فرصة حضور حفل التسليم وإنّما أرسل لأصحابها مبلغ الجائزة فقط، لننظر لما جرى العام الماضي مع الشاعر العراقيّ فارس حرّام الذي فاز بجائزة البابطين ولم ينل فرصة لحضور الحفل في «سراييفو» أو ما حصل مع الروائي علي عبدالنبي الزيدي الذي فازت روايته «بطن صالحة» بالجائزة الثانية في مسابقة دبي الثقافيّة، قبل عامين، بتسلّمه رسالة تتضمن اعتذاراً عن استقباله في حفل التكريم، كلّ ذلك عمّق الشعور لدى أدباء العراق، بأنّ هناك عزلة حقيقيّة بدأوا يعيشونها ضمن إطار علاقتهم بالعالم العربيّ الذي تحكم مؤسّساته الثقافيّة بمزاج الأنظمة القائمة فيه، بفعل حالة عدم الانسجام السياسيّ مع النظام الجديد القائم ببغداد عقب إسقاط صدّام والغزو الأميركيّ للعراق.

منتظر ناصر، قاص عراقيّ شاب فاز العام الماضي بالجائزة الثالثة مناصفة في مسابقة الشارقة للإبداع العربيّ، وقد أصدرت له إدارة الجائزة كتابه الأوّل (الفائز) «شناشيل نابلة»، هو الآخر يعد أنّ «المشكلة هي بسبب حال دار الشؤون الثقافيّة العامة»، ومنها ينكر أنّ «طباعة الكتاب داخل العراق تعني ألا تفكر في آلية النشر التي تعتبر أهمّ من الطباعة ذاتها، فأعرق دار نشر لدينا حالياً وهي دار الشؤون الثقافيّة، لا تساعد اليوم في نشر الكتاب بل في طبعه فقط وإعطاء المؤلف 200 نسخة والباقي يكون في المخزن».

وهنا يقترح على مؤسسات الدولة المعنية بأن «تساعد في ترويج المطبوع العراقيّ من خلال دعم إقامة المعارض، والاشتراك فيها، والمساهمة في دعم دور النشر العربيّة المعروفة ومشاركتها في رأس المال من أجل تسويق المطبوع العراقيّ، من دون ذلك فإنّ الكاتب العراقيّ سيظلّ رهن التطلّع إلى الطباعة في الخارج».

علي وجيه، وهو من الشعراء الجدد في بغداد، يفاجئنا قوله إنّ « الشاعر الآن يفكّر كيف وأين وكم ستتكلّف طباعة مجموعته؟ أكثر ممّا يفكّر كيف سيكتبها! لا أحد يطبع في العراق إلاّ الأدباء المعوزون جدّاً أو مَنْ لا تهمّه طريقة طباعة مجموعته، فيطبع في أيّ مكان».

رأي كهذا كفيل بإيضاح الطريقة غير الناجحة التي تدار بها المؤسّسات الثقافيّة الحكوميّة، فمسؤولوها ممّن فرضتهم المحاصصة الحزبيّة والطائفيّة في العراق، لم يتوفروا على خبرة كافية في استراتيجيات النشر وتسويق النتاج العراقيّ إلى الخارج، ناهيك عن الضعف الواضح في الصناعة الثقافيّة للفعاليّات والمهرجانات ودعمها المالي الخجول، وإن حصل عكس ذلك فهذا ينطبق على اسم أو اسمين فقط من الذين تسلّموا مناصب مهمّة في وزارة الثقافة العراقيّة.

الناشر والإعلاميّ مازن لطيف علي لفت إلى أنّه «لابدّ من الإقرار بأنّ التكلفة العالية لطباعة الكتاب في العراق تجبر المؤلفين على طباعته في الخارج، ولاسيما دول الجوار أو الدول العربية المعروفة بجدارتها في ذلك (سورية وإيران والأردن ولبنان)، فالكتاب يمكن طبعه بدولارين في لبنان على سبيل المثال، أما في العراق فكلفته لا تقل عن خمسة دولارات، إضافة إلى الفرق الشاسع من حيث النوعية والجودة وفرص التوزيع والانتشار».

هنا ينكّر لطيف بأن «قوانين ماسمي بـ «مجلس قيادة الثورة» في عهد صدّام حسين، والتي تخص النشر والمطبوعات، بقيت سارية المفعول إلى يومنا هذا، من دون وجود تشريعات جديدة تنظّم عملية النشر في العراق».

بيد أنّه يتوقّع «دوراً فاعلاً للناشرين العراقيّين من الشباب، ومنهم: مكتبة عدنان، دار الجواهري، دار السجاد، وداري المتواضعة (ميزوبوتاميا)، في تعاملها مع الكتب الجادّة في الثقافة العراقيّة الجديدة، وذلك طبعاً ونشراً وتوزيعاً، لأنّ الكتاب يحيا ويبقى دالة الوعي ومُنتج الأزمنة وشاهداً على الأحداث درءاً للادعاء والتزوير والتحريف الذي تعاني منه ثقافتنا في السابق واللاحق».

قطر في ضيافة معرض الخرطوم للكتاب

الخرطوم - طاهر محمد علي:

تعيش العاصمة السودانية الخرطوم هذه الأيام، على وقع فعاليات الدورة السابعة لمعرض الخرطوم الدولي للكتاب (3 - 15- أكتوبر/تشرين الأول)، الذي تنظمه وزارة الثقافة، تحت رعاية نائب رئيس الجمهورية علي عثمان محمد طه، وبمشاركة أكثر من 150 دار نشر عربية وأجنبية. مع دعوة قطر كضيف شرف.

جديد هذا العام يتمثل في حضور الوزارات المختصة بالثقافة في كل من قطر، الأردن، مصر، المملكة العربية السعودية، سلطنة عمان، المغرب، العراق، موريتانيا. تركيا. كما تشارك فيه هيئات ثقافية لأول مرة، مثل الهيئة العربية للمسرح، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية المصرية، معهد كونفشيوس التابع لوزارة التعليم الصينية، مركز معلومات الشرق الأوسط التابع للأمم المتحدة بمصر والمجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث بدولة قطر.

ورفضت مديرة المعرض فاطمة أحمدون في لقاء مع «الدوحة» الحديث في التفاصيل التي حالت دون قيام المعرض تحت مظلة اتحاد الناشرين العرب، مكتفية بالقول: «ثمة عراقيل تحول دون ذلك، مبينة في ذات الإطار أن اتحادات الناشرين في معظم الدول العربية أكدت مباركتها ومشاركتها».

في ردها عن سؤال حول دور النشر التي صاحبت مشاركتها في الدورات السابقة مشكلات تتعلق بالمصادرة والحظر، أضافت أحمدون أن المشكلة قد تم تخطيها، ذلك ما تؤكده مشاركة مكتبة مدبولي المصرية، إلى جانب عدد من الدور الأردنية التي انقطعت في المرات السابقة، كما تسجل سورية حضورها رغم الأحداث المتلاحقة التي تمرّ بها، ولبنان التي تشارك لأول مرة بدار الكتاب اللبناني، وشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع.

وتتضمن قائمة ضيوف المعرض أسماء أدبية عربية كثيرة نذكر منهم: الروائي الجزائري واسيني الأعرج، الكاتب المسرحي والشاعر إسماعيل عبد الله من الإمارات، الشاعر والمسرحي السوداني يوسف عايدابي المقيم بالإمارات، الشاعر الموريتاني محمد ولد الطالب. وينقسم برنامج الفعاليات إلى مجموعة من الندوات الصباحية والمسائية حول النشر الإلكتروني، التعليم عن بعد، إشكالات الكتاب والكتابة، صناعة الصحافة، دور الفنون في تعميق الانتماء الوطني عبر المناهج وتطبيقاتها، ندوة الحضارة السودانية، الهوية والمواطنة في ظل المعطيات الثقافية في السودان، مع إحياء ذكرى الشاعر السوداني محمد عبد الحي، إضافة إلى أيام للطفل والناشئة، وذوي الاحتياجات الخاصة، ومسابقة متجولة، وأمسيات فنية تشمل الغناء، والشعر، والإنشاد الديني، والمسرح، حيث تُقدم عروض سودانية وعربية.

ينكر أن معرض الخرطوم الدولي للكتاب بدأت دوراته في عام 2005 ضمن احتفالات السودان بالخرطوم عاصمة للثقافة العربية.

تصدّعات في بيت الناشرين

تعيش نقابة الناشرين في الجزائر، منذ أسابيع، على وقع الخلافات بسبب إصرار الرئيس المنتهية مدته أحمد ماضي على عدم التنحي من منصبه، والإقرار بمطالب هيئة الأعضاء الداعية لانتخاب رئيس جديد. وبرزت الحالة الصعبة التي تتخبط فيها النقابة بعد إعلان بعض الناشرين، الشهر الماضي، الانشقاق عن أحمد ماضي وعن نيتهم في تنظيم جمعية عامة موازية. الناشرون في الجزائر يتهمون ماضي بالدّوس على القانون الداخلي للنقابة وتوجيهها وفق ما يتناسب مع مصالحه الشخصية. وكانت أموال الدعم والمشاركة في معرض الجزائر الدولي للكتاب 2011 آخر الأوراق التي فجرت بيت الناشرين بعد ما اختار ماضي المقاطعة واختار الناشرون المشاركة.

والمعروف أن نقابة الناشرين في الجزائر التي غابت سنوات طويلة في سبات غير معلن، صارت، منذ سنوات قليلة، تتصدر واجهة الاهتمامات، بفضل ارتفاع أرقام دعم سوق النشر وحالة الرخاء المادية التي تتوفر عليها وزارة الثقافة، إضافة إلى توالي المناسبات، مثل «سنة الجزائر في فرنسا2003»، «الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007» و«المهرجان الثقافي الإفريقي الثاني2009» ثم «تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011». هي عوامل ومناسبات شاركت في بعث النقابة وإسالة لعاب بعض الناشرين الجدد. مع العلم أن أعداد الناشرين في البلاد تزيد من سنة لأخرى في ظل واقع ثقافي وأدبي باهت تغيب عنه معالم التنظيم وسلامة التسيير.

بداية باهتة للموسم الأدبي

الجزائر- نوّارة لحرش:

في الأعوام الأخيرة بدأت تظهر على سطح المشهد الثقافي الجزائري ظاهرة «موسم الدخول الأدبي الجديد»، ومعها بدأ الكُتاب يتسارعون كل عام لإصدار كتبهم من أجل تسجيل بعض الحضور ليس إلا، حتى وإن كان حضورا بمعناه الرمزي أو الاستعراضي لا أكثر.

رغم أن المواسم الأدبية كما هو معروف وشائع عالميا تختص أكثر في تقديم الإبداعات الجديدة والاحتفاء بها وليس العكس، طبعا هناك استثناءات خاصة لبعض الأعمال الفارقة في تألقها وعظمتها وتوهجها وطفرة رواجها بحيث تنفذ طبعاتها في ظرف قياسي وخيالي حتى وإن كانت تقارب سقفا ضخما من النسخ، في هذه الحالة هذه الكتب يحق لها أن تكون حاضرة في كل مواسم الدخول الأدبية لأنها تحقق الرواج مع كل طبعة ومع كل موسم. لكن ما ليس لائقا هو أن يلجأ بعض كتاب الجزائر إلى إعادة طبع أعمالهم مع كل دخول أدبي رغم عدم رواجها وأكثر رغم أن نسخها على قلة أعدادها ما تزال مكدسة في المخازن والرفوف وتعاني كسادًا واضحًا.

ما ينقذ هذه التسمية الكبيرة لواقع بائس ولو قليلا هو حضور بعض الأسماء الأدبية التي تصر على أن تدخل الموسم الأدبي الجديد بأعمال جديدة ذات قيمة إبداعية وفنية، منهم: الروائي أمين الزاوي الذي سيوقع دخوله الأدبي الجديد بعملين روائيين جديدين واحد بالعربية والآخر بالفرنسية، الأول رواية بعنوان «حادي التيوس» عن منشورات الاختلاف بالجزائر والدار العربية للعلوم بلبنان، كما سيسجل الزاوي حضوره كذلك برواية ثانية جديدة باللغة الفرنسية عن منشورات البرزخ بعنوان «اليهودي الأخير في تمنطيط». في حين سيوقع واسيني الأعرج موسم دخوله الأدبي برواية «جملكية آرابيا» الصادرة عن دار الجمل في طبعة لبنانية وعن دار الفضاء الحر في طبعة جزائرية وهي رواية تنتقد استبداد الأنظمة العربية والدكتاتوريات. من جهته يصدر الروائي سمير قسيمي رواية «في عشق امرأة عاقر» عن دار الإختلاف وهي رواية تفتح ملف الأمهات العازبات وتغوص في الواقع بشقيه الاجتماعي والسياسي بشكل جريء وصادم أحيانا. كما تسجل بعض الأسماء الفرنكفونية حضورها ودخولها الأدبي بروايات صدرت حديثا منهم الكاتبة مليكة مقدم بروايتها الأخيرة «ليلة الإنشقاق»ص عن دار القصبة الجزائرية ودار فيار الباريسية، وأنو بن مالك بروايته «عام الزانية» عن دار فيار أيضا. في حين يوقع ياسمينة خضرا حضوره بروايته الجديدة الموسومة بـ«المعادلة الإفريقية» الصادرة عن دار «جوليار» الفرنسية.

معرض للكتاب في حديقة العشاق!

القاهرة- سامي كمال الدين:

في أجمل مكان يمكن تصوره لعرض الكتب أقيم في القاهرة الشهر الماضي «المعرض العربي الأول للكتاب» في محاولة لتعويض الناشرين عن خسارتهم من جراء عدم إقامة المعرض الدوري في يناير/كانون أول الماضي.

افتتح المعرض د. عبدالقوي خليفة محافظ القاهرة ود. أحمد مجاهد رئيس هيئة قصور الثقافة ومحمد رشاد رئيس اتحاد الناشرين في الفترة من 8 إلى 18 سبتمبر/أيلول.

المكان هو حديقة الأندلس على ضفاف النيل، وكان الترتيب والتنظيم جيدين، لكن الإقبال ضعيف، على الرغم من أن هذا المكان يلتقي فيه عشرات العشاق يومياً، لكن خارج منظومة الكتاب.

جاءت فكرة المعرض من قبل الجميلي أحمد صاحب دار «وعد» للنشر الذي يقول إن الفكرة جاءته بعد متابعته عدداً من معارض الكتاب على مستوى العالم، وكان يحلم بتنظيم معرض تتلاقى فيه دور النشر العربية على أرض مصر في مكان متميز على النيل بدلاً من مدينة نصر التي تعج بالغابات الاسمنتية دون مساحة مفتوحة من الهواء والأشجار كما هو في حديقة الأندلس.

أما سر موافقة أحمد مجاهد رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب على تعاون الهيئة مع دار نشر خاصة فيكشفه بأنه يهدف إلى إقامة علاقات مع دور النشر الخاصة مؤمناً بدورها في تنشيط الحركة الثقافية، وأن الهدف جذب قراء جدد إلى ساحة الكتب.

البرنامج الثقافي للدورة الأولى احتفى بالشعراء الكبار: بيرم التونسي وأمل دنقل ومحمود درويش وصلاح جاهين وصلاح عبد الصبور وعفيفي مطر وفؤاد حداد ونزار قباني وعبد الرحيم منصور عبر ليالي خاصة لهم، كما قدم البرنامج أمسيات شعرية لشباب الشعراء، وعدة ندوات لفن «الواو» مع غياب واحد من رواده وهو الشاعر عبد الستار سليم.

وكالعادة كانت الثورة حاضرة في المعرض، فأقيمت ندوة «الإعلام والثورة» بمشاركة حسن الشاذلي وعبد الله يسري وأدارها محمد فتحي، وتمت مناقشة كتاب «25 يناير.. اختبارات، صراعات، تطورات» مع مؤلفته سمر إبراهيم بحضور خليل كلفت والمستشار زكريا عبد العزيز رئيس نادي القضاة الأسبق، ومن المشاركين في ثورة 25 يناير، كما أقيمت ندوة «مستقبل النشر بعد 25 يناير» تحدث فيها إبراهيم المعلم ومحمد رشاد والجميلي أحمد، وأدار اللقاء عبد الله يسري حول أن القارئ الآن اختلف عن قارئ ما قبل الثورة حيث أصبح همه الأول الكتاب السياسي والكتاب المعلوماتي والأعمال الروائية ذات البعد السياسي.

حظيت ندوتا «الكوميديا والثورة» بحضور «عزب شو»، و«الست كوم والمجتمع» بحضور باسم شرف بإقبال كبير من الجمهور وناقشتا دور الكوميديا قبل الثورة وبعدها، وأن الجمهور المصري يختار الآن ما يضحكه لا من يضحك عليه.

وعلى الرغم من أنه معرض «عربي» إلا أنه لم يحظ بكتاب ونقاد عرب كبار، ولم يقدم كاتباً عربياً واحداً من أولئك الذين يسعى لهم القراء في أي مكان، ماعدا أمسية لسعيد البراق وطلال الغضوري العنزي من السعودية وأمسية الشعر النبطي التي استضافت حمدان ضيف الله ترباني، وسليم أبو دقة الدواغره، وحسين عيد ابن عامر التيهي، وسلمى عيد الجميعاني، ليكون بحق معرض كتاب عربي بدون عرب.



د. أحمد مجاهد وجولة في المعرض



في مخيمات اللاجئين الصّوماليين تمتزج رائحة الموت برائحة الصّمود، والتشبث بحق البقاء. الدّخول إليها ليس مثل الخروج منها. وتراجيديا المشاهد التي رأيناها ستبقى راسخة في الذاكرة شهوراً وسنوات. آثار المجاعة والحرب الأهلية واليأس من انتظار المساعدات الدولية واضحة على ملامح قاطنيها..

الصّومال خرائط الجوع

| سعيد خطيبي- داداب

آدم، محمد، فرح، فاطمة، أحمد، نورة، وغيرهم هي أسماء شباب وكهول لا يحملون معهم سوى بطاقة هوية واحدة، كُتب عليها: لاجئ. عشنا معهم جانباً من حياتهم اليومية وحكوا لنا تفاصيل جد مؤلمة عن عبثية الموت، بارونات الحرب، معابر الأسلحة وأسواق المخدرات في الصومال.

الطّريق إلى مخيمات اللاجئين الصوماليين في مدينة داداب الكينية شاقّة وتشوبها المفاجآت. داداب الواقعة على بعد 500 كلم شرقي العاصمة نيروبي و70 كلم من الحدود الجنوبية للصومال صارت، منذ سنوات، تمثل أكبر تجمع للنازحين في العالم. حيث يقطن فيها أكثر من 400,000 صومالي. والكينيون لا يخفون امتعاضهم من حكومة بلدهم التي تحمّلت عبء الفارين من الحرب ومن المجاعة أكثر مما فعلت الدولتان المجاورتان جيبوتي وإثيوبيا. مع ذلك، فهم لا يتوانون عن مدّ يد المساعدة لضحايا الأزمة الإنسانية.

انطلقنا إلى وجهتنا من نيروبي، التي لا تختلف في مظاهرها عن بعض المدن العربية، بفوضى أسواقها الشعبية، زحمة طرقاتها ومزاجية سكانها، في سيارة محمّلة ببعض المساعدات الغذائية، من تمر ومياه معدنية، رفقة عبد الله ومحمد علي، شابين كينيين من أصول صومالية، يعملان لصالح مؤسسة قطر الخيرية. وخاطبنا عبد الله قبل بداية الرّحلة مازحاً: «نحن آكلة لحم البعير، لنا قدرة على تحمل العطش والتعب، فإن كنت غير متأكد من قدرتك على تحمل الطريق فابحث لك عن طائرة خاصة!».

عشية الرحلة التي تم التحضير لها في وقت قياسي، تنكرت رواية «منافي» للصومالي نورالدين فرح. حاولت إعادة رسم ملامح شخصية «جيبل» وتخيّل مشاعره في رحلته من نيويورك إلى مقديشو بعد غياب دام عشرين سنة،

بحثاً عن قبر أمه ورغبة منه في إنقاذ ابنة صديقه بيل المُختطفة. جيبل وجد حينها صومالاً أخرى، بوجه ممزّق بالتطرف وبالعدوانية. وصرّح: «الجحيم هو قائد حرب باع نفسه للشيطان مقابل حكم واه». صومال جريحة نقل نورالدين فرح صوتها في روايات عديدة، مثل «حليب حلو حامض» و«سردين»، لاقت إجماعاً في الخارج وسيلاً من الانتقادات في الداخل، حيث يردّ عليه عبد الله: «احترم نورالدين فرح ككاتب، لكنني لست أتفق مع آرائه، فهو يُسوّق لصومال أخرى، كما يريدها الغرب». فمنذ سقوط الرئيس الأسبق سياد بري (1991) ونهاية الحقبة الشيوعية، فرضت الجماعات المتطرفة منطقها على كامل البلد، واندلعت الصراعات الدموية بين الصوماليين باسم الدين. وصارت القوى المتناحرة تفرض الحدّ والقصاص على كل من يخرج عن عقائدها الأحادية، واقتنعت وأقنعت أتباعها بأن الكتابة والأدب إجمالاً زندقة.

تحت ظّل الأكاسيا

يقول مثل شعبي إفريقي: «إن كنت لا تعرف أين تذهب، تنكّر من أين تأتي». والطريق من نيروبي إلى داداب قد تبدو، من الوهلة الأولى، صعبة بسبب شحّ اللافتات واللوحات الإرشادية، لكن عبد الله يطمئننا: «غالبية طرق البلد تصوب نحو الوجهات الرئيسية». كيلو متر بعد الآخر تبدو وجهتنا مستقيمة، من دون تفرعات أو مسارات جانبية. طريق تمتد على طول البصر، تشقّ مدناً وقرى سنحت لنا بالاطلاع على جانب من كينيا يختلف مناخها من الشمال إلى الجنوب، وتتنوّع عاداتها وتقاليدها من قبيلة لأخرى.

بعد أقل من 60 كلم من السّير واجهتنا قرية غادميني بمساكنها الترابية والخشبية وبأطفالها الذين يقفون على قارعتي الطريق يعرضون سلعهم من موز وأناناس وبعض المشروبات الباردة. أطفال يلهثون لكسب قوتهم اليومي، لا يضيعون فرصة مرور سيارة أو شاحنة دونما عرض سلعهم ومحاولة إقناع المارة بشرائها. في دول إفريقية كثيرة – كما في كينيا – علمتني تجربة شخصية أنه لا يوجد سعر محدد للسلع وللخدمات، بل يتغير في كل مرّة بالنظر لقدرة كل واحد من الطرفين على المناقشة وعلى التشاور في تحديد السعر، كما يقول نادل مطعم في نيروبي يتحدث قليلاً الفرنسية: «En Afrique,tout est négociable».

أطفال يلهثون لكسب قوتهم اليومي، لا يضيعون فرصة مرور سيارة أو شاحنة دونما عرض سلعهم ومحاولة إقناع المارة بشرائها

واصلنا الطريق مروراً بقرى ماتو، بوكاسي ووانغي، التي لا تختلف فيما بينها من ناحية بساطة مساكنها وتواضع حياة أهاليها واعتمادها على الأرض وعلى جود الطبيعة في كسب قوتها اليومي، حيث علمنا أن غالبية السّكان في القرى الكينية يعيشون من الزراعة ومن تربية الحيوانات، خصوصاً البقر والحمير والدجاج. مهنة لا يختلف فيها الجنسان ويقتسم فيها الرجال والنساء المهام بالتساوي.

بلغنا بعد حوالي ست ساعات، قضيتها في الثرثرة مع مرافقي حول شؤون البلد السياسية ورغبتهم في زيارة بعض الدول العربية وتطورات ربيع الثورات في مصر وليبيا، مدينة غاريسا، عاصمة المحافظة الشمال شرقية من البلاد والتي يشقها نهر «تانا»، أكبر نهر في كينيا (700 كلم) إلى نصفين.

على أطراف غاريسا الأربعة، تقابلنا نباتات عصارية تتأقلم مع مناخ المنطقة شبه الصّحراوي وأشجار الأكاسيا التي تصنع جزءاً مهماً من ملامح المدينة. يقول جيمس، مرشد سياحي: «الناس يعتمدون على شجر الأكاسيا في مشاغل كثيرة، يستخرجون منها الصمغ العربي الذي يستعمل في صناعة المواد الغذائية والأدوية. كما يستظلون تحتها، وتقتات من أوراقها البهائم والحيوانات، خصوصاً الماعز والبعير، ويستخدمون خشبها في بناء المنازل وفي التدفئة أيام البرد في الشتاء». تمنح الأكاسيا



صومال جريحة.. هكذا هي في الواقع والأدب

للمنطقة روحها الإفريقية. تشعر الفرد بخصوصية الانتماء وبتفرّد الجغرافيا. قضينا الليلة في غارسيا واستعدنا بعض أنفاسنا، بنية التوجه في الصباح الباكر، أول أيام عيد الفطر، إلى أكبر مخيم للاجئين في العالم ومقابلة ضحايا المجاعة في الصومال.

العيش على الجثث

من غاريسا إلى داداب مسافة تتجاوز المئة كيلومتر. طريق ترابية، شاقة، من الصعب أن يقطعها من لم يمتلك خبرة مسبقة ومن لم يمر منها قبلاً. لا محطة بنزين واحدة، لا لافتة ولا موقف من شأنه أن يؤنس وحشة المارين عبرها، طريق موحشة في ظلمة الساعات الأولى من الصباح، تجاوزناها على وقع تهليلات وتكبيرات عبد الله ومحمد علي بمناسبة العيد. ودخلنا داداب في حدود السابعة صباحاً، ثم، في أقل من ربع السّاعة، تجمع داقاهلي المجاور أين يعيش ويكبر ويحلم أكثر من 160,000 نازح صومالي.

تصادفنا على مدخل داقاهلي (معناها الصخرة باللّغة الصومالية. اسم لا صلة له بالواقع، حيث لا توجد تماماً الصخور) تكتلات طائر أبوسعن (Marabout d'Afrique). طائر يحمل إيحاءات مشينة. مرادف للكآبة ولسوء الطالع بالنسبة للبعض. يبلغ طوله أحياناً المترين ونصف المتر، ويمتاز بطول المنقار والسّاقين وبسواد الظهر. يقتات من جثث الحيوانات الميتة، من القوارض ومن الحشرات. ينتمي إلى عائلة الكواسر ويُعرف بصوته المزعج وبأعشاشه الكبيرة على شجر الأكاسيا. شكله لا يبعث على الارتياح، ويكاد يكتسح بحضوره المكان. يزاحم النازحين في العيش وفي السّطو على بقايا الغذاء.

النازحون الصوماليون في مخيمات داداب ينقسمون على أربعة تجمعات رئيسية: داقاهلي، هاقديرا، ايفو1 وايفو2. تجمعات أنشئت قبل حوالي العشرين سنة لاستقبال الفارين من



| يتذكرون من أين جاءوا، فمتى يعودون؟



| حي على الصلاة في عيد ليس كالأعياد

الحرب الأهلية في الصومال، برعاية المحافظة الأممية السّامية للاجئين. هُيئت لاستقبال 90,000 لاجئ، ولكنها اليوم تحتضن أربعة أضعاف طاقتها الفعلية. وتجاوز، مع مرور السنوات، عدد اللاجئين إليها عدد سكان داداب مما ولد بين الطرفين بعض الحساسيات. ويقول حسن، تاجر من داداب: «هؤلاء النازحون صاروا لا يحترموننا، حوّلوا مناطق خضراء إلى أراض جرداء. يقتلعون الشجر لبناء مساكنهم ويتسببون في إقحال المنطقة». مع العلم أن تقارير رسمية تفيد بأن داداب تستفيد دورياً من حصتها من المساعدات الدولية، كما أن هيئات الإغاثة تقتني من تجار المدينة سنوياً رؤوس الغنم والمواد الغذائية الأساسية لمساعدة النازحين، مما يوفر للسكان دخلاً ثابتاً وآخرًا إضافياً.

التجمعات الأربعة ليست تختلف عن بعضها البعض: منازل جد هشّة من الحطب والقماش، لا تتوافر على أبسط ضروريات العيش الكريم، لا نظافة ولا ماء ولا قنوات الصّرف الصحي. والمئات يبيتون كل ليلة في العراء. بعض الحمير ترعى هنا وهناك، والآلاف من النظرات البريئة، ومن الأمهات الثكلى والأطفال اليتامى ينتظرون من يتصدّق عليهم

بقطعة خبز أو بقارورة ماء. عبد الرحمن تجاوز قبل شهر سنّ الثالثة والخمسين ويقيم في داقاهلي منذ عشرين سنة. وهارون، شاب في الثامنة والعشرين وصل إليها قبل سنة ونصف السنة. ولا فرق بين الرجلين، فكلاهما يقتسم الشقاء نفسه، ويعدّ الأيام والسّاعات. وينتظر أجلاً غير مسمى أو ترحيلاً إلى وجهة أفضل أو عودة غير آمنة إلى الدّيار في الصومال.

أريد قلماً لأرسم.. وجه أمي!

«عيد بأية حال عدت يا عيد/ بما مضى أم بأمر فيك تجديد؟» هكذا يتساءل النازحون الصوماليون يوم عيد الفطر. يوم ليس يختلف عن بقية الأيام الأخرى. هناك تفقد المناسبات الدينية طعمها، تفقد الأحاسيس الإنسانية معناها، فبعد الصلاة التي أقيمت في الهواء الطلق وحضرها الرجال والنسوة على السواء، وبعد أربع خطب منها اثنتان بالصومالية واثنتان بالعربية، لم تخل من التذكير بشدّة البلاء والدعوة بالصبر والتمسك بحبل الله، تفرّق المصلّون وانتشروا فرادى ومجموعات. أما الأطفال فقد بقوا يطوفون حول سيارات هيئات الإغاثة منتظرين نصيبهم من لعب أو ملابس جديدة أو حلوى أو أي شيء مختلف يمنحهم انطباعاً بأن اليوم عيد والعيد فرح.

آدم (21 سنة)، يتكلم الصّومالية والسواحلية والإنكليزية. شاب طموح يحلم بمواصلة الدراسة والسّفر إلى أميركا. وصل قبل ثلاث سنوات إلى داقاهلي قادماً إليها من «بلدوين». يحكي: «أبي مات متأثراً بمرض خبيث. لم نكن نعرف طبيعة المرض الذي أصابه. أمي وأخي سليمان وأختي الصغرى عائشة فروا إلى إثيوبيا. لم يبلغني خبر عنهم منذ سنوات. لست أعرف إن مازالوا على قيد الحياة أو ماتوا. وصلت إلى هنا على ظهر حمار، قطعت ما لا يقل عن 500 كلم، ولست أمتلك اليوم سوى كوخ من قماش». الشتات يؤرق حياة آدم، يمنّي نفسه بفرضية مغادرة داداب في أقرب وقت، والعيش في مكان أكثر أمناً ويتوافر على الغذاء. مثله مثل شريف (24 سنة) القادم رفقة والدته من «بيدوة» جنوبي الصومال، والذي يقول: «عصابات وقطاع طرق سرقوا منا أغراضنا، اعتدوا على أمي أمام عيني، رأيتها تبكي ولم أكن قادرا على فعل أي شيء، قالوا إننا خونة لأننا نهجر البلد. لما وصلنا إلى المخيم قدم لنا بعض العاملين فيه غذاء وماء، كنا سنموت جوعاً من شدة التّعب والإرهاق». سيرة شقاء النازحين لا تنتهي بمجرد الوصول إلى داداب، بالنظر إلى عددهم المتزايد يوماً بعد الآخر، وأمام شح المساعدات الدولية، فإن الكثير منهم يجد نفسه خارج قوائم المستفيدين، خصوصاً كبار السّن منهم.

كما أن بلوغ داداب لا يعني نهاية المطاف، بغية الحصول على صفة «لاجئ» ونيل الحق في المساعدات الغذائية يمر النازحون الصوماليون بمراحل عديدة. يحكي أبوبكر: «بالوصول إلى خط الحدود الفاصل بين الصومال وكينيا نخضع للمراقبة ولأخذ بصمات أصابع اليد العشرة. نمر بعدها على الفحص الطبي، مع تشديد المراقبة على الأمهات الحوامل والأطفال الصغار، قبل الحصول على بعض الغذاء وماء الشرب، فالسلطات تعرف أن غالبية النازحين قضوا أياماً وأسابيع طويلة من السير في الخلاء». ولكن النقطة الأهم والتي لم يذكرها أبوبكر والتي اشتكى منها كثير من الصوماليون الذين التقينا معهم هي قسوة شرطة الحدود الكينية في التعامل معهم. بما أن الحدود البرية بين البلدين مغلقة فإن بعض أفراد الشرطة الكينية يفرضون على النازحين – بالرغم من وضعهم الإنساني الصعب – دفع رشاوى لعبور الحدود ودخول المخيمات، تتراوح بين 200 و2000 دولار.

أطفال داقاهلي يحلمون بغد أفضل. خديجة (14 سنة) تحاول تدارك ما ضاع منها بالتعلم في المدرسة القرآنية للتّجمع التي ليست سوى هيكل من حطب، تحفظ حزبين من القرآن الكريم وتتحدث قليلاً العربية. خاطبتني: «هل معك قلم؟» سألتها لماذا؟ فأجابت: «أريد



فروا.. الأحباب!

أن أرسم.. (تصمت).. أرسم أمي!». فقدت خديجة أمها في الصومال وليست تعرف أين دُفنت. تحتفظ في ذهنها بصورة وجهها وتفكر فيها باستمرار. خديجة يتمتها الحرب، غربتها المجاعة، مثل أسامة(10 سنوات) الذي رفض أن يتحدث معنا وظل ملتصقاً بساق أمه. ومحمد (15 سنة)، الذي طلب مني أن أحضر له في المرة المقبلة قبعة زرقاء وكرة ليتسلى بها مع بعض رفاقه.

مواسم العودة المؤجّلة

حال الصومال صارت أسوأ مما صوّره فيلم «سقوط الصّقر الأسود» (2001). تناقض صورة الفرح التي غنى لها الصومالي «كنعان» في «علم»، رفقة اللبنانية نانسي عجرم.

محمد (32 سنة) يعيش رفقة زوجته وأبنائه الأربعة في داقاهلي. يتحسّر ويتحدث بحزن عميق عن مدينته مقديشو أين عمل خمس سنوات مدرساً للقرآن الكريم، حيث شهد تهاوي الأنظمة والحكومات المتعاقبة، وبلوغ حركة «الشباب الجهادي» الإسلاموية سدّة الحكم ونجاحها في تحويل كثير من مدن الصومال إلى مدن أشباح. ويحكي لنا: «حوّلت حركة الشباب حياتنا إلى جحيم. نصّبت نفسها حكماً على شؤون الناس. تفرض الحدّ والقصاص على من تشاء. تمنع الناس من أبسط حقوق العيش. تُحرِّم وتُحلّل وفق أهوائها، دونما الرجوع إلى الشريعة الإسلامية. تقتل وتجوّع الناس وتمنعهم من مغادرة الصومال». خرجت حركة الشباب الجهادي من ضلع اتحاد المحاكم الإسلامية(2004). اتخذت من ضمن أهدافها «محاربة الصليبيين والمرتدين وأعداء الدّين»، تضم ما لا يقل عن 10.000 عضو وأنشأت سنة 2005 ما يسمى «جيش الحسبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، تتبنى دعوة لتأسيس جمهورية صومالية تقوم على الشريعة وعلى كتاب الله، وتمنع على أتباعها كثيراً من الممارسات، حيث تحرم عليهم الاستماع للموسيقى ومشاهدة الأفلام السينمائية. لعب كرة القدم وإقامة الأفراح والأعراس. تمنع النساء من ارتداء حامل الأثداء وترجم كل امرأة ترتبط بعلاقة مع رجل أجنبي، كما تقوم بهدم أضرحة شيوخ الصوفية وإعدام كل من له علاقة بإثيوبيا باعتبارها دولة صليبية. تمنع الأهالي الفارين من المجاعة من مغادرة البلاد وتفرض على الشباب التجنيد الإجباري في صفوفها. هي حركة يعتقد البعض بأنها تنمو وتتطور بفضل سياسة القرصنة البحرية على السواحل الصومالية. ويتحدث عنها عمر: «سجنتني حركة الشباب مرتين متتاليتين، واستطعت بمعية ثلاثة رفاق الهروب والوصول إلى مخيم اللاجئين. لما وصلنا قبل أكثر من سنتين لم نكن نمتلك شيئاً، لا أوراق إثبات هوية ولا ملابس ولا غذاء».



عصابات وقطاع طرق سرقوا منا أغراضنا، اعتدوا على أمي أمام عيني، رأيتها تبكي ولم أكن قادرا على فعل أي شيء

عمر(38 سنة) عاش كابوس الحرب الأهلية في الصومال من الدّاخل، وشهد الانزلاق الأهم الذي عرفته البلاد منذ حوالي الثلاث سنوات. ويواصل: «تحولت البلاد إلى أرض خصبة للموت، وسوق مفتوح لتجارة السلاح. كل الصوماليين صاروا مسلحين، بمن في ذلك النساء. لا أحد منهم يشعر بالأمان، الموت يتهدد الجميع من كل جانب». صارت البلاد معبراً لبارونات المخدرات أيضاً ومصدراً مهماً لزراعة الحشيش وأرخص سوق لعرض الأسلحة، حيث يكشف: «ثمن الأسلحة في متناول الجميع، كلاشينكوف مثلاً لا يتجاوز ثمنها 250 دولاراً. النفس البشرية هي أرخص سلعة في الصومال». مرارة الواقع تدفع الآلاف إلى الهجرة بحثاً عن الأمن وعن سقف لا يمطر رصاصاً. أخبرنا بعض من تحدثنا إليهم بأن ما تبقى من أقاربهم وذويهم في الداخل مستعدون لهجر البلاد جماعياً، ولن يتركوا فيها سوى «المتناحرين» وحدهم. ويضيفون: «ولكن، مهما تغرّبنا سنبقى نحمل معنا دوماً رغبة العودة إلى بيت الأجداد يوماً ما». حسين (41 سنة) وُلد ابناه في مخيم داقاهلي ويبلغان اليوم 8 سنوات و5 سنوات على التوالي، يصرح: «لست أتمنى لأبنائي سوى العودة إلى وطنهم، ولكن شريطة أن تتحسن الأوضاع الأمنية».

في داقاهلي الحياة يطغى عليها سأم وكآبة وضبابية. تميّزها الرتابة وانسداد الأفق. كثير من قاطنيها ينتظر الموت في صمت، فالحياة فيها ليست لها قيمة بالنسبة للبعض ولا تحمل أهمية. أطفال جوعى وآخرون مرضى لا حول لهم ولا قوة. «العين بصيرة واليد قصيرة». كما يقول المثل.

فاطمة (16 سنة) ونورة (19 سنة) أختان تقتسمان لقمة العيش على مساعدات الآخرين، لا تثرثران كثيراً، ليس لديهما ما تقولانه ولكنهما تحلمان بشيء واحد، شيء مشترك: إما مغادرة المخيم إلى عالم أفضل أو نهاية الحرب والمجاعة والعودة إلى الوطن.. !



الفيسبوك وسنينه

من ملاحظات الكاتب الشاب وحيد فريد التي كتبها على صفحته الفيسبوك وسنينه ويقول فيها:

عندما أكتب ستاتوس أقول فيها:
أنا مع فتوى إرضاع الكبير، بشرط ألا تقل الرضعة عن 7 لترات.. هل يشكل هنا خطراً على أمن مصر القومي ؟ لماذا لابد أن تكون نجم سيما كي تحبك البنات والنساء؟، ولماذا لابد أن تكون بشهرة محمود السعدني كي يتقبل كل الناس ما تكتب ؟ ولماذا لا يصدق الناس أنه في غضون عقدين من الزمان لن يكون هناك ما يسمى بالصحافة المطبوعة، ولو كان الفيسبوك رجساً من عمل الشيطان لمّ يقصده المشاهير؟.. لقد بدأت كتابة قصصي القصيرة ووضعها على الفيسبوك منذ شهور، وعن طريق الفيسبوك عرفني بعض الناس، كتّاب كبار لهم أسماء استقبلوا كتاباتي بترحاب جعلني في الواقع مشدوها تماماً، سمعت كلمات مديح لم أصدقها في الغالب، أحببت كتابة الستاتوس واعتبرتها فرصة للمران على ألاعيب لغوية معينة، نوع من الشخبطة، مثل أتيليه عند الرسام، أحببت مناخ الحرية على الفيسبوك، وأنا شخص مؤمن بالحرية الفكرية حتى الجنون.

في ستينات القرن الماضي كان الطلبة الشبان هم من غيروا وجه الحياة السياسية والثقافية في فرنسا، وأنا واثق تمام الثقة أنه لن يتغير كثيراً في المدى السياسي في مصر، لكنني على يقين كامل أن عتاولة الثقافة المصرية في العقد القادم سوف يخرجون من فضاء الفيس بوك الحر.

الثورات تحسد بعضها البعض

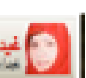
على صفحتها كتبت التونسية هدية بن عايشة تقول:
رغم سقوط الشهداء خلال ثورة 25 جانفي... احتفل المصريون برحيل مبارك غنوا ورقصوا ساعات طويلة في الشوارع وعلى شاشات العالم... رغم الانتقادات للقيادة العسكرية نعترف أنهم لم يتركوا مبارك يهرب لا هو ولا أولاده ولا وزرائه... شاهدوهم وراء القضبان ووجهت المحكمة الاتهام بالقتل العمد لهم لا تهم استهلاك زطلة ولا حبوب هلوسة وفرح الشعب المصري برؤيتهم أذلاء منكسرين.. ومؤخراً يقتحمون سفارة بني صهيون ويبعثرون أوراقها ويفر الصهاينة.
فماذا حققنا مما حققوا... رغم أننا نحن من أعطاهم شعلة ثورتنا ؟؟؟
أما المصريون فقد تعالت بينهم صيحات تعبر عن حسد تجاه الثورة الليبية بعد انتصارها، خاصة أن الثوار قاموا بحرب مسلحة وأصبحوا على وشك تولي الحكم، بينما في مصر لم تحكم الثورة أو تتسلم مقاليد الأمور، وكتب أحد الشباب يقول: الثوار في ليبيا ركبوا الدبابة وحاربوا، واحنا رحنا اتصورنا جنبها وهتفنا الجيش والشعب إيد واحدة.

أنا مندسة وعميلة وجاسوسة

«أنا مندسة وعميلة وجاسوسة وتحركني الأيادي الخارجية.. لكنني صديقتك»، تحت هذا العنوان كتبت المدونة السورية «زينة» على مدونتها تقول:

أعترف بأنني مندّسة في قضايا وطني وأهلي وكل ما يعنينا ويؤثر على حياتنا.. وعميلة للحرية والإنسانية والحقوق والعدالة.. كما أنني جاسوسة أعمل لصالح السوريين النبلاء الذين دخلوا السجون لرأي قالوه أو مقال كتبوه... أو لأنهم وقفوا أمام وزارة ليدعموا الوطنيين الأحرار في المعتقلات فضُمّوا إليهم بتهمة «النيل من هيبة الأمة» و«إضعاف الشعور القومي».. وهل تنزعج الأمة عندما يصرخ أبناؤها «سلمية» ولا تتأثر عندما يضرب آخرون الرصاص ويطلقون العنان لزماميرهم للاحتفال بـ «النصر المؤزّر» في قلبها بينما تنزف أطرافها أرواحاً برئية وثكالى وأيتاماً!.. والشعور القومي الثوري المنادي بالحرية من تونس إلى اليمن سيضعف إذا انضم لهتافه الموحّد «الشعب يريد الحياة» شباب جدد !
أعترف بأنني غاضبة وانفعالية وحتى عدائية هذه الأيام من بعض الأصدقاء الذين يستفزّونني عن قصد أو غير قصد بتعليقات وهتافات وصور وأفكار.. ليس لأنني لا أقبل الرأي الآخر.. أو غير «ديموقراطية كما أدّعي».. كما برر البعض.. لكن أي حوار يحتاج إلى أساس أساسيّ وهو قدرة المتحاورين على الكلام أولاً واستمرار قدرتهم على الكلام بعد انتهاء الحوار ثانياً.
لا حوار بين أخرس و«عيّاط» إلا إذا قرر الأخير تعلّم لغة الإشارة أو سُمح للأخرس أخيراً أن يحاول تمرين صوته من جديد على الكلام وتذكّر فعل التصويت.. وضمان حياة وصوت الأخرس وعدم سجنه بتهمة إضعاف سمع «العيّاطين» بعد أن يتكلم هو شرط أيضاً للحوار!





الاعتداء على الكاريكاتير



«علي فرزات» اسمٌ من ثمانية أحرف تبث على الفور آلاف الصور لرسـومات زرعت الضحكة والأمل في جـراح السـوريين.. وقاومت قبحَ الظلم والفسـاد والعنـف.. بهذه الكلمات بدأ مجموعـة من الفنانين التشـكيليين بيانهم الذي نشـروه على الفيسـبوك تحت عنوان « قلوب الكثير من السـوريين بقيت عند «علي فرزات» في مشـفاه، وأعـدوا له عدة مقاطع على اليوتيوب عربون دعم وتضامن كفيديو بعنوان «اعتداء الأمن السـوري على الفنـان علي فرزات»، حيث تم اختيار أغنية مارسيل خليفة «إني اخترتك يـا وطني» كخلفية موسـيقية لفيديـو يعرض أهم رسـومات فرزات، إضافة إلـى مقتطفات صوتية للرسـام توضـح آراءه التي أدلى بها فـي لقاءاته الأخيرة.

أذناب القذافي الثائرون !



تحت عنوان لن يسرقها الجبناء كتبت المدونـة الليبيـة غيـداء التواتـي على مدونتها:

ظهـر علينـا العديـد مـن الذيـن قد تسـلقوا جـدران هذه الثـورة ممن كانوا لا يسـتطيعون حتى قـول «لا» في وجه الظلم، وظهـر العديد من أذيـال النظام والفاسـدين، والقتلة، والسـراق، الذين أراهـم يحاولون أن يكون لهـم دور في حكومة ليبية مسـتقبلية، كناشطة على الإنترنـت وبحكـم علاقتـي بالعديد من النشطاء، وبعد استطلاع الشارع الليبي، أحب أن أنوه إلى أن أي محاولة لإشراك أذناب النظام السابق أو أي مسؤول منهم في حكومة ليبية انتقالية سـوف يكون الشارع هو الفيصل بيننا، ولن نخرج هذه المـرة ونحن خائفـون، لأن عهد الخوف قد ولّى، سـوف نخرج فـي توقيت واحد في كل المـدن ونحن يجمعنا تجمع واحد وهـو تجمع نشـطاء الإنترنـت الليبيين ولن يدخر المدونين أي جهد لتحشيد رجل الشارع للخروج.

فمثـلاً لا أعلم مـا دخـل (فرحات بن قدارة)، في جـرد أموال الشـعب الليبي وهو الـذي عليـه أن يجرد ذمتـه أولاً، ويجـب أن يعرف أنه لـن يدخل مصرف ليبيـا المركزي ثانية إلا على أجسـادنا، وغيره العديد والعديد.

فالسيد (عبد السـلام جلود)، طالعتنا الأخبـار بعزمه علـى إنشـاء حزب ولا نعرف هل إنشاء الحزب سيتم قبل أو بعد محاكمته! وجرد ذمته المالية، والعديد من الأسماء التي سـوف تظهر هنا وهناك، نحن لا نقصـي الآخر ولكن جرائم هؤلاء وسـرقاتهم واضحة وجلية للعيان، ولا أعرف هل لدى هـؤلاء وجه أو كما نقول في اللهجة الطرابلسية (وجوههم شبشب تليك)، لا يسـتحون مـن ماضيهم.. ولا أعتقد أنهم يعرفون ما معنى قوة نشطاء الإنترنـت على الشـبكة، ولكننا بالتأكيد سـوف نريهم ذلـك ولن نسـمح لهم أن يظهـروا على حسـاب الشـرفاء ودماء الشهداء الزكية.

الحرية لسبيكرات عرنوس

دمشق - كاتي الحايك:

لم يحدث اعتقال السبيكرات (مكبرات الصوت) في فيلم رسوم متحركة كما يبدو للحظة الأولى، فأحداث هذه القصة وقعت في ساحة عرنوس إحدى أشهر ساحات العاصمة السورية دمشق، فوفقاً لمجموعة شبابية على «الفيسبوك» تدعى «الحرية لسبيكرات عرنوس» «قامت قوات الأمن السورية مع الشبيحة باعتقال سبيكرات عرنوس في السابع والعشرين من رمضان بعد أن صدحت المكبرات مغنية يلا ارحل يا بشاااار»، وتعود أحداث القصة لقيام مجموعة شباب بتركيب مكبرات صوت على أحد الأبنية في الساحة المذكورة، والتي أذاعت أغاني المغني الشهيد «إبراهيم القاشوش».

وحصدت هذه المجموعة كمية كبيرة من التعليقات الطريفة فكتب Zaher Al Syrian: «خروج مجموعة من السبيكرات من سوق الكهرباء تنادي بالحرية وإسقاط السيستيم وتطالب بتوقف الحل الأمبلي فوراً»، وأضاف Siasi Souri «قلنا لكم من البداية هربوهم أو خبوهم النظام رح يعتقلهم وفعل هذا ووردتنا أنباء بأن سبيكر منهم وضعه حرج نتيجة تيار 220 قوي أثناء التعذيب».

وكان للعنصر النسائي نصيبه أيضاً فكتب Manaf Bilal: «حرائر السبيكرات فيليبس يتظاهرن في أحد البيوت نصرة لسبيكرات عرنوس.. الله الله».

وكما يحدث على أرض الواقع، قامت بعض المكبرات بالانشقاق، حيث كتب Zaher Al Syrian:

«معلومات مؤكدة عن انشقاق في بفلات النظام.. في فرقة السيمفونية الرابعة»، وأخرى تعرضت للتعذيب على حد زعم Ayman Al Houssayni: «خبر عاجل: البفلات تتعرض للتعذيب وأنباء عن قطع أسلاكها.. الحرية لبفلات عرنوس»، ووفقاً لـ Khaled Zed لجأ قسمٌ منها للإضراب: «معلومات موثوقة من فرع أمبلي الطيارة (الأمن الجوي) بأن السبيكرات بدأت إضراباً مفتوحاً عن الكهرباء».

ولم ترفع السبيكرات سقف مطالبها كثيراً، فكما كتب Muhannd Al Terkmani «بدنا نجيبو للسبيكر وبهمتنا القوية.. سورية بدا غنية».



هاشتاج الجنة

الهاشتاج تعبير يعرفه جيداً مستخدمو تويتر، وهو كل ما يأتي بعد الرمز (#) في ملايين التحديثات التي ينشرها مستخدمو تويتر يومياً وهي طريقة بسيطة لإيجاد رابط بين جميع التحديثات المنشورة بواسطة المستخدمين والمتعلقة بموضوع محدد بحيث يسهل العثور على كل ما يتعلق بهذا الموضوع عبر الضغط على هذا الهاشتاج.

هاشتاج عن الجنة شارك فيه عشرات الشباب والشابات العرب فماذا كتبوا عن تصوراتهم للجنة؟

- الأسعار في متناول الجميع فعلاً وكواليتي عالية.
- مافيش رجالة بكرش.
- يعني الراجل هيدخل الجنة وكرشه هيدخل النار؟
- لأ.. في الجنة كل الرجالة بكرش بس هيبقو حلوين بالكرش أمال جنة ازاي بقى؟
- ها ابقى أنا وصلاح جاهين أصحاب وها اخليه يعرفني على سعاد حسني.
- لغاية دلوقتي أربع بنات على الهاشتاج أمنيتهم في الجنة أنهم يشوفوا سيدنا يوسف.
- مفيش حد أدنى للسن لدخول الديسكو.
- الأكل ميتخنش.
- وهتاكلي من غير ما تعملي حساب الدايت كمان «مستحيل حتى في الجنة مستحيل».
- المشكلة أنه البنات كلها ها تولع في جهنم والشباب ها يقضوها مع الحور العين.
- فيروز تغنيلي طول النهار لوحدي:

اناني !!! دخل الجنة ازاي ده يا جدعان.

- مفيش باسوورد على واي فاي.

جمعة الطباشير

تعد تسميات يوم جمع الثورة السورية محل خلاف شديد بين مختلف الأطياف، ومن هنا دعت المدونة السورية شيرين الحايك إلى تسمية إحدى الجمع بـ«جمعة طباشير»، فالطباشير على حد قولها «أكثر حريّةً من الأفواه الصامتة، وهي تعودُ بالأصل إلى الكلس أو الفحم الذي كانَ لـه دور تاريخيّ عبرَ العصور بالكتابة على جدران المعتقلات».

وتميز شيرين في مدونتها بين



تسمية الجمع في الثورة المصرية والتي كانت تسير على «خطٍ ثوريّ واحد في المناطق المختلفة، وإيصال رسالة إصرارٍ وتحدٍ للنظام المصريّ»، وبين تسميةِ الجمع في سورية، والتي ترى أنها «تلعب دوراً أرشيفيّاً وتحمل رسائل أراها على الصعيد الشخصي مشتتة وأمتلكُ تحفظات حولها».

تدعو شيرين إلى تضمين أسماء الجمع رسائل مدنيّة، اجتماعيّة، تثقيفيّة تحمل أفكاراً وطنيّة ذات أبعاد فكريّة واجتماعيّة، وإلى أن تكون التسميات الفعل وليست مجرّد ردّ فعل على أفعال النظام، وتعطي مثالاً حول «تسمية أحفاد خالد بن الوليد على الجمعة التي صادفت بعدَ المجازر في محافظة حمص، في المنافسة مع جمعة الوحدة الوطنية والتي أعتقد أنها كانت ستحملُ معاني مغايرة ورسالة أقوى».

الفيسبوك: أحاديث عراقية

بغداد- حسام السراي:

تزخر الصفحات الشخصيّة من على موقع التواصل الاجتماعيّ العراقية «الفيسبوك»، بالكثير من التعليقات والملاحظات لأدباء وفنّانين وكتّاب عراقيّين، بعضها يقع في إطار التنويه لمقطع من نصّ أدبيّ قديم أو جديد، أو أنّ كثيرين يضعون عبارات هي جزء من ردود أفعال ومواقف إزاء قضايا تخصّ الشأن الثقافيّ أو السياسيّ.

الشاعر عبدالزهرة زكي كتب على صفحته مقاطع من قصائد (الملائكة على شرفات مستشفى الأطفال/كتبت ونشرت عام1997)، ومنها نقرأ في قصيدة «دعاء الثكالى»:

ليكن النهارُ،
نهارُهم،
كعباءتي أسود
....
وليكن الليل،
ليلهم،
كموتكِ مراً.
لتكن الأغنيات،
أغنياتهم،
حشرجاتٍ كأنينك..».

في حين أشار الشاعر العراقيّ المغترب سليمان جوني من على صفحته إلى أنّه، وفي يوم الخميس، أدلى بصوته بمناسبة الانتخابات البرلمانيّة الدنماركية والتي من خلالها تتشكل الحكومة، وثبّت في عبارته: «منحت صوتي للقائمة الموحدة (مجموعة من الأحزاب اليساريّة) لم تستغرق عملية التصويت لديّ أكثر من دقائق معْدودات، عندما خَرجْتُ من قاعة التصويت وَجَدتُ امرأة في الخمسين من عمرها تجمع الأموال للمساعدة في القضاء على المجاعة في إفريقيا، وقربها مجموعة من الشباب، يقومون باستطلاع للنتائج، يختارون واحداً من كلّ عشرة أشخاص ليَسْألوهُ عن القائمة التي صوّت لها».

ليستدرك أيضاً:«في طريق العودة إلى البيت، فكّرت بانتخابات عراقيّة على هذه الشاكلة».

ومن ثمّ وضع صورة للناطقة باسم القائمة الموحدة: جوهانه شميت - نيلسن.

الروائي حميد العقابي وهو يكتب عبارة يطرح فيها تساؤلاً وسّع من مساحة التعليقات على صفحته، إذ كان نصّها: «وأنا أنفض الغبار عن أوراقي القديمة، خطرَ سؤال في ذهني: أيهما أجمل نضارة الجهل أم شيخوخة الحكمة؟».

وعلى وقع حدث اغتيال المسرحيّ والإعلاميّ هادي المهدي، كتب الصحافيّ سرمد الطائي: «اليوم يمرّ أسبوع على الرصاصة التي اخترقت رؤوسنا جميعنا رغم أنّها ظهرت في روح هادي فقط.. الزميل نجاح محمد علي الذي كان طيلة أعوام المصدر الأساسي لتغطية أخبار الأحرار في إيران.. الإصلاحيّة الخاتميّة والموسويّة التي تعترض على تشدّد حرس الثورة بجرأة وتقدّم ضحايا مهمّة في صناعة حريّة لكلّ الشرق الأوسط.. نجاح يتعرّض إلى تهديدات متواصلة.. كلّ تهديد تتلقاه يا صديقي من أي كان.. هو تهديد لحريّة صحافتنا كلّها.. داخل البلاد أو خارجها.. كلّنا معك نجاح.. الدكتاتور دوماً بلا دين ولا جغرافيا ونحن في خندق واحد».

ملاحظة الشاعر صلاح حسن لفت اليها أصدقاءه، وهي أنّ «بعض الناس يريدون أن يحوّلوا (الفيسبوك) إلى جامع. ألا يكتفي هؤلاء بمحاصرتنا في الشارع والمدرسة والأسواق والإذاعات والفضائيات والجرائد وووالمقابر؟».

أتت بعدها التعليقات وفيها من التهكم وربط ذلك بالجو العام الذي تعيشه المنطقة العربيّة.



ديموقراطية البوكسر والفانلة

قناة خرابيش على اليوتيوب، والتي تعرف نفسها بـ «كرتون لشباب الإنترنت العربي» عرضت منذ أيام فيديو كارتونياً بعنوان «الديموقراطية» لفت نظر الشباب وتعدى مشاهدوه الـ 17 ألف فرد، ومستوحياً الإعلان المصري عن إحدى ماركات الملابس الداخلية، يعرض الفيديو مجموعة من الفانلات والبوكسرات الرجالي بينما نسمع صوت المعلق على حالة كل منها: فانلاتك وبوكسراتك زي حكامك، فيه منهم اللي اتعودت عليه من وانت صغير، وفيه منهم اللي عايز يتغير، فيه منهم اللي لازق شويتين، وهنا يبرز بوكسر مكتوب عليه «بن علي»، وفيه منهم اللي كاسفك حبتين، ويظهر بوكسر ملون مكتوب عليه القذافي، ومنهم المنقط ومكتوب عليه «علي عبدالله صالح»، ومنهم اللي في الآخر بيسقط وهنا يقع بوكسر مكتوب عليه مبارك، بس زي ما في منهم اللي دايماً تاعبك «بشار الأسد» بتلاقي اللي مدلعك ولاحس عقلك (بوكسر فخم وعليه تاج ملكي).

ويختتم الفيديو بجملة المعلق: «لما تختار، اختار اللي تقدر تعتمد عليه... الديموقراطية الشعب بيختار حكامه».

على الجانب السياسي أيضاً، ولكن الجاد هذه المرة انتشرت على اليوتيوب فيديوهات لرئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، بعد زيارته لمصر خاصة حواره مع الإعلامية منى الشاذلي في برنامجها العاشرة مساء، والذي تخطى مشاهدوه العشرين ألفاً، ومن أهم التعليقات عليه:

على فكرة إسرائيل تكره أن يكون فيه شراكة بين مصر وتركيا وإيران.

أنا مسلم مع «الدولة العلمانية» مصطلح جديد عجبني علمانية الدولة مش علمانية الأشخاص دا الحل الوحيد في مصر وكمان الدولة العلمانية مش معادية لأي ديانة كدا فعلاً تكون دولة القانون.

ترشيح إسماعيل ياسين للرئاسة !

القاهرة - سامية بكري:

احتفل محرك البحث الشهير «جوجل» يوم 15 من سبتمبر بالذكرى التاسعة والتسعين لميلاد الفنان الكوميدي المصري الراحل «إسماعيل يس».

ووضع «جوجل» ثلاثة صور للفنان الراحل الملقب بـ«ملك الكوميديا» و«أبو ضحكة جنان»، وكتب باللغة العربية إسماعيل ياسين، ورسم أسفل الكلام اللوجو الذي يحمل اسم المحرك البحثي الأشهر.

وإسماعيل ياسين الملقب أيضاً بـ«الضاحك الباكي» ولد في 15 من سبتمبر/أيلول من عام 1912 بمدينة السويس، وعرف بأفلامه الكوميدية الرائعة التي تحمل اسمه، ولا تزال حية في وجدان المصريين.

في عام 1939 دخل ياسين الذي لم يكن يتمتع بوسامة كتلك التي امتلكها نجوم السينما آنذاك إلى مجال التمثيل، فكان أول أفلامه بعنوان «خلف الحبايب» وعلى الرغم من عدم وسامته تلك، إلا أنه استطاع بذكاء شديد أن يستغل ذلك، ويقلبه إلى ميزة، فسخر من ملامحه، وخاصة «فمه» الذي كان أبرز ما يميزه، وكان بمثابة علامة تجارية له، لا العكس.

رغم النجاح الساحق الذي حققه إسماعيل ياسين، خصوصاً فترة الخمسينيات، لكن مسيرته الفنية تعثرت في العقد الأخير من حياته، حتى وافته المنية في 24 مايو 1972 إثر أزمة قلبية حادة قبل أن يستكمل تمثيل دوره الأخير والصغير في فيلم بطولة نور الشريف ولذلك كان يسمى بـ«بالضاحك الباكي»، فرغم أن أكثر أفلامه كوميدية ومضحكة إلا أنه كان يعيش حزيناً خاصة بآخر أيامه.

وعلى الفيسبوك احتفى المستخدمون بذكرى الفنان الكبير بوضع صوره على البروفايل وكتب بعضهم ستاتوسات تحتفي به:

كتب خالد عبد الحميد الشاعر والناشط السياسي المصري:

إسماعيل ياسين في جوجل.. ورشيد وعز في الكلابوش..وبهلول في الانشكاح.

وكتب الصحفي محمد فتحي:

جوجل تحتفل بإسماعيل ياسين، ومصر تحتفل بسعد الصغير ودينا الرقاصة.

وكتب أحمد علي حسن:

في الذكرى التاسعة والتسعين لميلاد إسماعيل يس.. نهنئه بعيد ميلاده السعيد ونرشحه لقبول قيادة المرحلة الانتقالية وذلك بحكم الأقدمية المطلقة ونظراً لخبراته الطويلة والمتعددة بالخدمة في الجيش والأسطول والطيران والبوليس.. بالإضافة لكونه أحد الفرسان الثلاثة.. كما أنه قد قضى فترة كافية في مستشفى المجانين تؤهله بشدة لقيادة هذه المرحلةالانتقالية الحرجة.. ونهيب به قبول الترشيح وعدم التحجج بوفاته لرفض الترشيح.

أن تكون شاعراً أو لا تكون

رغـم أن الشـاعر اللبناني شـوقي بزيغ كثير النشـاط وفي حاجة مستمرة لقراءة الشـعر، إلا أنـه يقول بضرورة تقنيـن التواصل مع الآخريـن، هنا ما كتبه علـى صفحته معرفاً الفيسـبوك «كأي أداة أخـرى يمكـن أن نحوله إلى أداة للتواصل والتنوير وتوسيع الأفق المعرفـي، ويمكن أن يتحـول بالمقابل إلى أداة لتظهير الضحالة وتصريف عقد النقص. وإنني إذ أدرك تماماً أن الناس لم يجمعوا يوماً على نبي أو شـاعر أو تعريـف واحد للجمـال أتقبل بكل محبة كل اختـلاف فـي الرأي أو انتقـاد بناء لكنني بالمقابل لـن أتقبل الخروج على أصول اللياقة وسأحرص على أن تظل لائحة صداقاتي خالية من الشوائب».

شوقي بزيغ وهو شـاعر فيسبوكي أيضـاً، أزعجتـه الألقاب التي تسـبق أسماء أصدقائه على الفيسبوك، وربما تمنى التخلص من لائحـة كبيرة، حين كتـب على صفحته «آمل مـن الأصدقاء الذين يكتبون أسماءهم على الفيسبوك مسـبوقة بلقـب شـاعر أن يقلعوا عن هذه العـادة، ليس لأن عليهـم التحلي بالتواضع فحسـب بل احترامـاً للقراء والمتابعين الذين لهم وحدهم أن يفصلوا بين الشـاعر وغير الشـاعر». وأضاف معلقـاً «ملاحظتي بالمناسـبة ليسـت إهانـة لأحد، بل هي صادرة عن حرص فعلي علـى كرامة الأصدقـاء المعنيين خاصة أن بينهم أكثر من شاعر وشاعرة حقيقييـن». ثم أضاف فـي تعليق آخر «وأنا أؤمن أيضاً أن في داخل كل إنسان قدراً من الشـاعرية يتفاوت بين شخص وآخر. وأنا أتمنى أن يزيد عدد الشعراء فـي العالـم وتتناقـص أعـداد القتلـة والطغاة والفاسـدين. لكـن هذا الأمر لا علاقة له بأن تلتقي بشخص لا تعرفه ثم يقدم لك نفسـه قائلاً :«أنا الأستاذ فلان الفلاني»!!

الشاعر خالد البيطار له رأي مخالف، فهو يضع لقب الشـاعر في حسابه على الفيسبوك «مع كامل احترامي وتقديري لوجهة نظرك يا أسـتاذ شوقي، ولكن عندما نضع كلمة شـاعر قبل أسـمائنا هـنا لا يعني أننا نتعالـى أو أننا نحبذ الغـرور ولكـن هذا يعنـي أننـا نعتز بأنفسـنا كشـعراء وهنا لا يعني أننا لا نحترم القراء، بالعكس نحن نفتخر بكل مـن يقرأ كل ما تخطـه أناملنا، أنا أعي تماماً مـا تقول ووجهة نظرك سـديدة ولا تشـوبها شـائبة وأنا لسـت ضد ما تقول لكن أحببت فقط أن أوضح وجهة نظـري أنا أيضاً والاختلاف في الرأي لا يفسـد للود قضية، كما تعلم يا أستاذي الكريم طاب نهارك يا أسـتاذ شوقي.. تحياتي».

لمـن لا يضع لقباً وجد فرصة لتزكية نصيحـة بزيغ، أحـد المعلقين كتب «لم أجد شاعراً أو شاعرة حقيقيين مسبوقين باللقب.. بحـدود معلوماتي طبعاً» فيما علق فايـز الخليفة «بل دعهـم يفعلون ذلك.. حتى يوفروا علينـا عناء البحث عن شـاعريتهم». أما غسان جواد فكتب سـاخراً «شوقي: بيسـلم عليك الشاعر المتنبي والشاعر الدكتور أبو العتاهية.. والشاعر المهندس امرؤ القيس..».



الفيسبوك خيانة الكترونية أحياناً

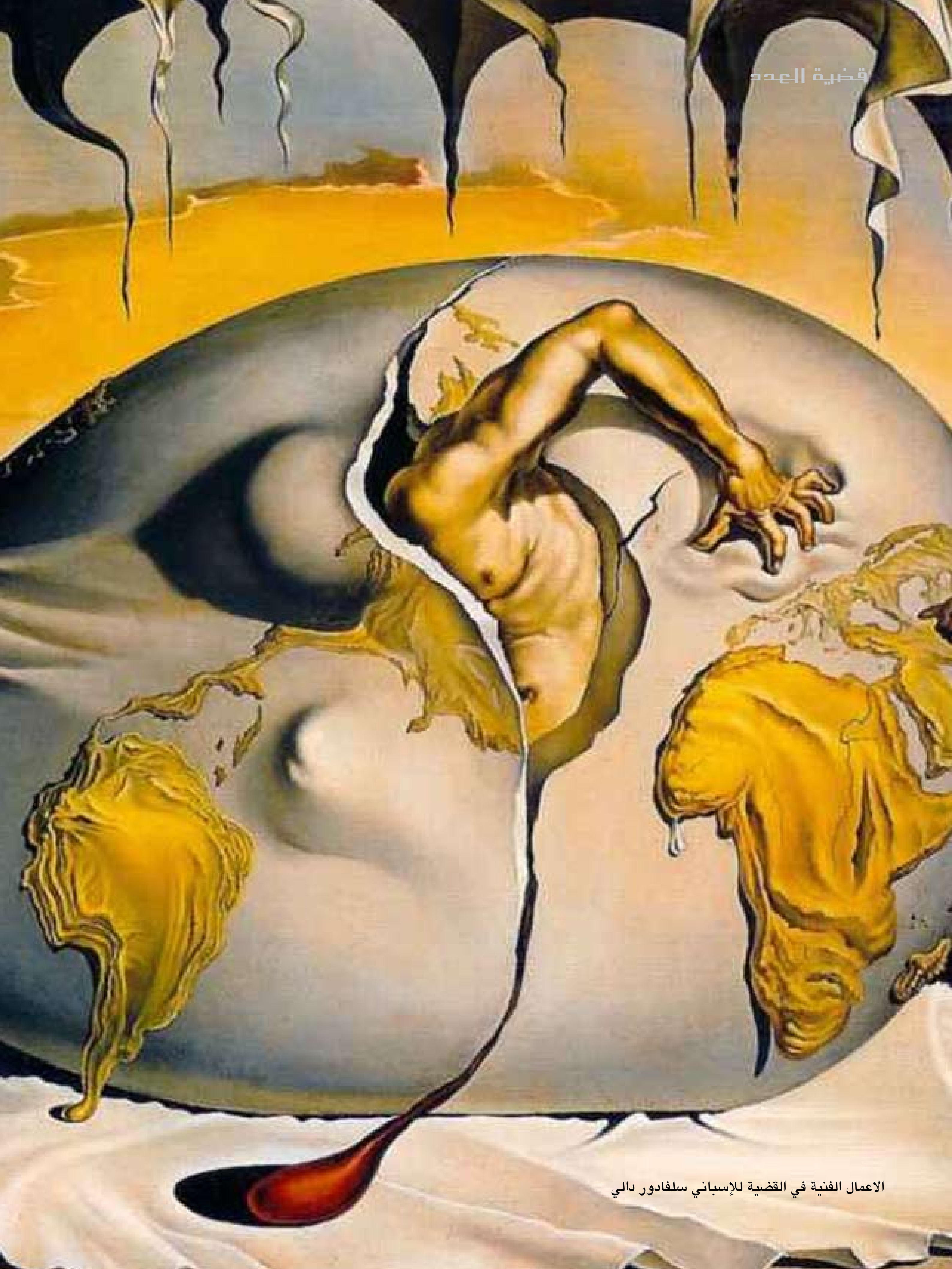


على مدونته الساخرة «بيس يامان» كتب المدون المصري معتز هاني يقول: إيه علاقة الفيسبوك بالغيرة؟ وهـل الزوجة اللـي عندها أصحاب كتيـر رجالة علـى الفيسـبوك زوجها يعامل الأمر على أنه عادي ؟

أنـا لا ألـوم الأزواج أو المخطوبين اللي بتنتهي علاقتهم بسـبب الفيسبوك وإنْ كان البعض شـايف أن ده نوع من الجنون بس أنا شايفه نوع من التحايل.. يعني أي زوج فـي بداية الارتباط أكيد بيكـون عارف أنه حيـاة جديدة لمراته وأن كل اللـي قبل كده من مثلاً أصحاب بتكلمهم أو مثلاً شلة النادي والحاجات دي كل ده بيتغيـر تماماً لأن مع الجواز المفروض أن أي كلمة على وزن «أفعل» بتنتهي !

يعنـي مافيـش أفضل مـن زوجها، فأنـا شـايف أن الفيسـبوك نـوع من التحايل علـى الزوج لأن بـدل ما تكلم شـلتها القديمة في التليفون وفيهم ولاد بتضيفهم على الفيسـبوك على أساس أن ده مـش تليفـون فخـلاص بقى ليا الحـق أراسـلهم وأهزر معاهـم طول النهار ماهو جوزي مش شـايفني وأنا مش بجرح مشاعره !!

ده نوع جديد من الخيانة الإلكترونية ولازم كل واحـدة جوزهـا مانعهـا من مكالمة الجنس الآخر لأنه بيحبها تفهم أن الفيسـبوك نوع من التحايل على ده ونوع من إهانة الـزوج قدام الناس دي حتى لو هـي مش حاسـة لأنهم بينهم وبين نفسـهم بيقولوا «دي معانا طول اليـوم ع الفيسـبوك ده أحنا واخدينها من جوزها» !



الاعمال الفنية في القضية للإسباني سلفادور دالي

ثورات العرب وثورات الغرب

بداية ونهاية للتاريخ

في عام 1989 كتب الأميركي ذو الأصول اليابانية فرانسيس فوكوياما أحد منظري الـ «سي آي إيه» البارزين مقالته المطولة «نهاية التاريخ» التي بشر فيها بانتهاء كل أنظمة الحكم في العالم لصالح الانتصار النهائي للنظام الليبرالي، النظام الذي وصلت به البشرية - على حد زعمه - إلى الكمال في مجال الحكم.

كانت جماهير أوروبا الشرقية قد بدأت في إسقاط مستبديها وبعد 22 عاماً خرجت الجماهير العربية في بداية هذا العام منتفضة ضد عصابات الحكم العربية فاقدة الأهلية والحياء. لم يكن في ذهن ثوار تونس ومصر واليمن وسورية وليبيا وغيرها فكرة محددة عن نظام الحكم الذي يجب أن يحل مكان حكم المافيات العائلية، لكن بالتأكيد فإن في ذهن كل من حمل روحه وخرج إلى الشارع وفي ذهن من سيفعل ذلك في المستقبل خطوطاً عامة عن ملامح دولة العدالة وتكافؤ الفرص التي يحلم بها، ومن حيث الظاهر فإن هذه القيم لم توجد حتى الآن إلا في ظل الليبرالية الغربية المنتصرة.

وللمفاجأة، فقبل أن يكتمل نجاح ثورة واحدة من ثورات العرب، كانت الجماهير الغربية قد نزلت إلى شوارع اليونان وإسبانيا وإنكلترا، التي تحولت حركة احتجاجها إلى عنف وأعمال سلب ونهب. وارتفعت الأعلام العربية في ساحات التغيير الأجنبية، حتى في إسرائيل ارتفع علم مصر «البلد العدو». وفي الوقت نفسه كان الكونغرس الأميركي يجرد أوباما من أية مقاومة ضد رؤى الجمهوريين في مقابل الموافقة على زيادة سقف الاستدانة.

دول تفلس وأخرى على الحافة في ظل ليبرالية تنطوي على الكثير من الظلم الاجتماعي، فهل هي نبوءة فوكوياما تتحقق معكوسة؟ هل هي الهزيمة النهائية لليبرالية؟ وهل سيشهد التاريخ شكلاً من الحكومات يمكن أن يحقق أشواق الإنسان إلى العدالة؟ وأية صورة يمكن التقاطها للعالم بعد ثورات الغرب والعرب؟





اليوتوبيات الاجتماعية- هذه المحاولات النبيلة أو الشريرة- لإعادة تنظيم المجتمع الإنساني وفقاً لمبدأ ديني أو سياسي، هي التي وضعت بنور تاريخ الجثث. ومع ذلك، حدثت مرات عدة، وفي كل مرة أكثر كارثية من سابقتها، بطريقة ينبغي تقبلها بأنه فعل لا رجعة فيه وأننا نحن البشر بحاجة إليه، ولذا علينا أن نستمر في البحث عن هذا المجتمع المثالي أو انتقال الفردوس إلى الأرض وهو ما تعرض اليوتوبيات الاجتماعية تحقيقه.

تأملات حول الاحتضار

ماريو بارجاس يوسا

ترجمة: مروة رزق

في الماضي كان السراسينيون والمسيحيون الذين تقاتلوا، فيما بينهم وبداخلهم، لتطهير العالم من الكافرين وغير المؤمنين والمشعوذين والملحدين والمنشقين والبربريين من كل نوع، وفرض مجتمع من المؤمنين الطاهرين والأرثوذوكس لخدمة الرب الحقيقي والدين الحقيقي. ولكن كانت أكثر اليوتوبيات دموية كانت خلال القرن العشرين، وهي اليوتوبيا الأيديولوجية والتي كسرت كل الأرقام القياسية في أعداد الضحايا والمعاناة التي تسببت بها. الحلم النازي بمجتمع من السلالات الفوقية، التي تخلو من اليهود، الزنوج، والغجر، والمعاقين، والمضطربين، والمؤلف من شعوب عبيد تخدم الأسياد الأريين، تسبب في هولوكوست وحرب عالمية دمرت خمس قارات. أما اليوتوبيا الشيوعية النبيلة لخلق مجتمع لاطبقي خال من استغلال للبشر لم يكن أقل ترويعاً، لو فكرنا أنه بين الجولاج السوفياتي والثورة الثقافية الصينية أريق دم 40 مليون شخص تبعاً لحسابات متحفظة.

فكرت دوماً أن تاسيس أوروبا موحدة، متكاملة، بلا حدود كان سيصبح أول محاولة مجتمعية جماعية والتي، على خلاف المحاولات الأخرى، لن تفشل وستحقق غايتها بالقضاء على القوميات والتي، على مدار التاريخ، تسببت في منابح لا عقلانية للدول والثقافات والتي ألفت ما يسمى بـ «الغرب». قد يعارضني من يقول إن فكرة الاتحاد الأوروبي ليست «مثالية»، وهي كلمة محملة بعدم واقعية، فهو مشروع سياسي واقعي بإتقان يدافع ليس عن مبادئ دينية أو أيديولوجية (والتي هي أيضاً دينية على الرغم من أنها تدعي أنها علمانية)، وإنما عن قناعات ومعارف عقلانية. حسناً، موافق. على أية حال، هو عبارة عن مشروع استثنائي طموح، يمكن فهمه في نطاق ثقافة الحرية، ومنظم بالمرونة والتعددية التي تضمن الديموقراطية، والذي يؤكد على الحفاظ على التقاليد، واللغات، والعادات ومعتقدات كل الدول الأعضاء، بشرط، وبالتأكيد على ذلك،

ألا تتعدى على القواعد الأساسية في دولة القانون.

والآن وأوروبا تبدو على حافة الانهيار، من اللائق أن يحضر، بعد جميع الانتقادات التي يمكن توجيهها، أن أوروبا التي مازالت في منتصف الطريق والتي امتلكناها تمكنت أن تجعل القارة القديمة تعيش حوالي 60 عاماً بلا انقطاع في سلام، لأن كافة الصراعات الحربية خلال العقود الأخيرة، كحرب البلقان، حدثت دائماً خارج حدود الاتحاد، ولأنه بالرغم من كل ما سقط سهواً في تشييد أوروبا، كانت مكاسبها مبهرة أيضاً. فقط في حالة إسبانيا علينا التساؤل إن كانت، دون وجودها في أوروبا، هل كان الانتقال الإسباني نحو الحرية والانتقال من الفقر إلى الازدهار سيحدث بهذه السرعة ودون خسائر سياسية كما حدث. ومع ذلك فإن أوروبا التي اعتقدنا أنها موحدة تتهاوى من جميع الأجزاء، وكثير من الأوروبيون فرحون أن هذا يحدث لأنهم يظنون أن تجربة الاتحاد قد فشلت وأنه من الأفضل العودة إلى أوروبا القديمة ذات الأمم والحدود. هذا، اليوم، لم يعد مجرد فرض مستقبلي وحسب، هي حقيقة قد تتبلور قريباً، تغذيها الأزمة الاقتصادية المريعة.

ماذا سقط منا كي تدخل أكثر التجمعات السياسية نبلاً وفكراً في زماننا في حالة احتضار. يخطئ من يعتقدون أن الإجابة عن هذا السؤال تكون بمجادلات تقنية، كمن يقولون إنه كان تنبؤاً غير مسؤول جعل العملة الموحدة في متناول جميع الدول الأعضاء، وإنه من الحكمة تدرج الانضمام لليورو بصورة تقدمية، بفتح الأبواب أمام الدول الأقل تقدماً حين تصل فقط إلى أقل درجة من التماسك المالي، والاقتصادي والمؤسسي. فهذا التفسير يخلط بين السبب والأثر. إن كانت أوروبا موحدة كانت ستواجه هذا الدليل دون أن تضع فكرة الاتحاد نفسها موضع أقوال. ولكن الحقيقة أن هذا المشروع الرائع افتقر دوماً إلى الدفء الشعبي، وكانت تديره البيروقراطيات والحكومات والمؤسسات، دون أن تتأصل في المواطنين على الأرض، الذين يشجعونه ويتحمسون له لأنهم يرون فيه فكراً نموذجياً والذي، عندما يتجسد، سوف يفيد العالم كله، ويحث التقدم الاقتصادي، والحريات العامة، والتضامن، والعدالة.

كما غابت الاستنارة لتطبيق هذه الواقعية ذاتها في السياسات الاقتصادية والاجتماعية والتي دفعت مؤسسي أوروبا إلى تشجيع الاتحاد. إن كان هناك شيء برهنته الأزمة الحالية أنه لا يمكن العيش في الخيال، ربما يسمح الأدب بذلك، ولكن لا السياسة ولا الواقع «الثقيل» يسمح بذلك. خلقت الدول الأوروبية أنظمة من الرفاهية تثير الإعجاب برؤية قصيرة المدى، دون أن تسأل نفسها هل يمكن تمويلها في المستقبل، ورفضت الحياة تبعاً لإمكاناتها الواقعية، مستدينة لتحقيق ذلك بصورة غير مسؤولة. وهكذا أنفقت اليوم دون أن تهتم أن آلية المراوغة هذه سوف تؤدي في المديين المتوسط والبعيد إلى كوارث كالتي نعاني منها اليوم.

يعني الخروج من الأزمة إصلاحات صارمة وتضحيات هائلة والتي تعتبر الإجراءات التي اتخذتها حكومة ثاباتيرو الخطوة الأولى منها. علينا ألا نخدع أنفسنا: ليس هناك حل آخر. لقد وقع الشر وعلينا أن نصححه، باقتلاع الجذر. السيئ أن الوضع الحالي يشجع على نمو الديماجوجيا ولاعقلانية الشعارات، «علينا ألا نخضع للأسواق» هي العبارة الشائعة والتي تدار مؤخراً على لسان أي كان. فأيضاً علينا ألا نخضع لقانون الخطورة، لو أعطينا ظهورنا للأسواق سوف يزداد الوضع سوءاً وينتهي بتدمير كل التقدم الاقتصادي الذي حققته الدول الأوروبية في السنوات الأخيرة. هذا ما يعرفه رجال السياسة جميعهم، يساريون أو يمينيون، ولكنهم لا يجرؤون على البوح به، أو يقولونه برقة فلا يصدقه أحد. إن الاستثناء هو هذه الجماعات المتطرفة، والتي لحسن الحظ ما تزال مهمشة حتى الآن، والذين يرغبون في إحياء لينين أو ماو، والذين دون أن يشعروا بالخجل يقولون إن كوبا فيدل كاسترو جعلت الشعب الكوبي سعيداً.

إنْ تفكك الاتحاد الأوروبي، فإن الدول الأوروبية سوف تصبح في وضع أسوأ مما هي عليه الآن، ولذا فإن أقوى الأسباب لإنقاذ الاتحاد الأوروبي، أنه وهو موحد سوف يواجه الأزمة بصورة أفضل والسياسات التي سوف تؤدي إلى الخروج منها أفضل من الدول المحررة والمتروكة لمصيرها وحدها. ولذا فإنه في هذا الوقت العصيب والذي ربما يكون الأصعب منذ الحرب العالمية الثانية، علينا أن نوحد الصفوف في الدفاع عن الاتحاد، ولا أن نشهد انهياره لا مبالين، وعلينا التحرك ضد هذا الانهيار، واعين أن من يرغب في تدميره هم القوميون أنفسهم الراغبون في الاتحاد، محصنين بآرائهم المسبقة العتيقة، بآذانهم التي في الماضي أعاقتهم عن التنبؤ بالآثار الكارثية التي سوف تحل عليهم وعلى أحلامهم العنيفة. ففي كل قومية، يعشش العنف نحو الآخر ونحو المختلف الذي لا ينتمي إلى القبيلة.

إن لم تتبد في هذه الأزمة اليوتوبيا الديموقراطية التي أدارت الاتحاد الأوروبي والقادرة على القضاء على القوميات التي سممت التاريخ الحديث، مقسمة شعوبها ومسببة بينهم حروباً دموية دمرت تطورهم وأفقرت ثقافاتهم. وإن كان هذا هو السبب وحده، فعلينا إنقاذ الاتحاد. ولكن هناك المزيد من الأسباب من أجل إنقاذه. مثل أنه في ظل هذا العصر من العولمة الاقتصادية فإن أي اتحاد أوروبي أو تحالف لديه فرص أكثر للمنافسة في الأسواق- وهو الشيء الذي حقاً يخلق فرص عمل ويحقق الثروة- أفضل من دولة منعزلة والتي في أي أزمة مثل الراهنة يمكن أن تتعرض للإفلاس بين عشية وضحاها. وإن ظل الاتحاد الأوروبي على قيد الحياة، فربما يلهم نموذجه مناطق أخرى، مثل أميركا اللاتينية وإفريقيا، حيث الانقسامات القبلية والقومية تساهم أكثر من أي شيء آخر في إبقائها تحت طور التنمية.

---

*يوسا روائي من البيرو حائز نوبل 2010 والمقال عن جريدة البابيس الاسبانية في 2011/9/11

الضحية المزدوجة تثور على آلهة الفساد

إفلاس الدولة تراجيديا القرن !

| علاء عبد الوهاب - القاهرة

الإفلاس.. هل أصبح أحد التهديدات التي تحيط بالدولة - أي دولة - في القرن الحادي والعشرين ؟

السؤال لم يعد افتراضياً، ففي العقد الأول من القرن الجديد شهدنا السابقة الأولى، حينما أعلنت أيسلندا إفلاسها رسمياً، منتصف أكتوبر من العام 2008، وفي مطلع العقد الثاني، شارفت اليونان على مواجهة نفس المصير !

تماماً ؛ مثلما يحدث مع الأشخاص الطبيعيين، أو الاعتباريين كالشركات والبنوك، عندما يواجهون عجزاً يحول دون الوفاء بديونهم، فإن الدول أيضاً - برغم صعوبة تصور الأمر - تصبح في الموقف ذاته، لكن الإفلاس الاقتصادي لدولة، غالباً ما يعكس ما هو أكثر خطورة، لأنه يحمل في طياته ألواناً أخرى من الإفلاس الفكري أو الأخلاقي، السياسي أو الاجتماعي و.. وربما «كوكتيلاً» تتدخل فيه كل هذه الألوان.

وإذا كان من يُفلس لا يجد مفراً من أن يبيع نفسه، أو ما يملك، أو على الأقل يقوم بارتهانه، فإن نقطة البدء التي تقود للمعاناة التراجيدية تعود إلى انسياق الدولة المفلسة نحو دوامة الاستدانة - أو نداهتها - حتى تزل في هاوية بلا قرار.

ورغم أن تجاوز محنة الإفلاس محفوف بصعوبات جمة، إلا أنه يبقى الحل الوحيد المقبول للدولة، لأن البديل انتحار جماعي - بمفهومه المعنوي - أو القبول بنوع من الاسترقاق.

يمكن رصد تباينات في النموذجين الأيسلندي واليوناني، وبالطبع في النماذج الأخرى المرشحة أو المندفعة باتجاه الإفلاس وكأنه القدر، لكن القاسم المشترك الأعظم بينها جميعاً يكمن في الاختلالات الهيكلية التي تسم الرأسمالية المتوحشة، خاصة في غياب المنافسة الأيديولوجية، بعد أن سقط الغرب في وهم أن انهيار حائط برلين في 1989 يعني بالفعل «نهاية التاريخ»، ومن ثم فإن الرأسمالية سجلت نصرها الحاسم على ما عداها من أيديولوجيات وأنظمة.

غير أن الواقع يثبت - كل يوم - عدم صواب هذا الاستخلاص، لا سيما مع اتساع الشروخ في البنيات الرأسمالية في ظل استحالة محاولات الترقيع على المستويين النظري والتطبيقي، والتي كان تراكم حجم الديون بشكل وبائي أحد أخطر تجلياتها، ليس في أوروبا وحدها، ولكن قبلها الولايات المتحدة، ومن ثم بقية العالم، في ظل اقتصاد معلوم، يجعل كل أزمة محلية ذات أبعاد عالمية، والعكس صحيح كذلك.

في النموذج الأيسلندي الذي سجل السابقة الأولى من نوعها في التاريخ المعاصر، عجزت الدولة عن سداد ديونها الخارجية، وترتب على ذلك أن فقدت الكرونا - عملتها المحلية - أي قيمة لها وراء الحدود، وفاقم من ميلودراما الموقف، أن ايسلندا لا تحتل مقعداً في الاتحاد النقدي الأوروبي، حتى تفوز بالمساعدة، أو التدخل، لإنقاذها من الإفلاس، كما ظفرت اليونان بعدها بالدعم، وإن كان بشروط أوروبية ودولية قاسية للغاية.

كانت القشة التي قصمت ظهر البعير الأيسلندي، أن قامت الدولة بشراء عدة بنوك لإنقاذها من الإفلاس، فغرق الجميع في القاع، وبدلاً من أن يفلس هذا البنك أو ذاك أفلست أيسلندا كلها، واضطرت لتعليق لافتة «دولة للبيع» !

ثم عاش الإيسلنديون نحو عامين يصارعون الأمواج، ولم تكن بداية الخروج من دوامة الغرق، سوى باندلاع انتفاضة شعبية أرغمت الحكومة على البحث عن حلول حقيقية، وإنسانية أيضاً، لأزمة الديون وفق أسس أخلاقية وواقعية، بدلاً من الانصياع المذل لشروط الدائنين الذين لم يجدوا بداً غير القبول بإعادة التفاوض، وجدولة الديون وفق معايير مختلفة، حتى لا يستمر الضحايا في دفع ثمن صناعة القرارات الكارثية مرة، ثم عند معالجتها مرة أخرى.

في النموذج اليوناني - رغم أن دائرة الأزمة قد انكسرت قبل الوصول للذروة، فإن الدولة التي تعد مهد الحضارة الغربية، بل والديموقراطية في طبعتها الأولى، وجدت نفسها مرغمة على المادة إنتاج تراجيديا تفوق كل ما عرفه تراثها الأدبي الثري من تراجيديات.

الفساد ورعونة النخبة، ونهمها الشديد، ثم فتح بداية الاستدانة والاقتراض دون ضوابط، فضلاً عن عوامل أخرى تضافرت ليستيقظ اليونانيون على كارثة وصول عبء الديون إلى ما يعادل



150٪ مـن الناتج المحلـي الاجمالي، ثم رفض الدائنين لتأجيل السداد !

في مواجهة الكارثة التي صنع الفساد معظم ملامحها، لم يكن الحل سـوى شد الأحزمة على البطون شبه الخاوية، هكذا أنتجت تلك المعادلة ثـورة غضب عارم في الشـارع اليوناني الـذي اجتاحه من لعبوا دور الضحية لمرتين !

كان علـى اليونـان أن تختـار بيـن الرمضاء والنار، أي القبول بتجرع دواء شـديد المرارة يمس السـيادة والكرامة الوطنية في الصميم، أو الإعلان رسـمياً عن إفلاس الدولة.

تجرعـت اليونان الـدواء المر، وكان جزء مـن الثمـن القبـول ببيـع موانئ وشـركات وعقارات، يمثل بعضها جانباً من تاريخ البلد وتراثها، ولم يكن النظام الوطنـي للسـكك الحديدية الـذي يعد - بمكوناتـه - درة ثمينـة النموذج الوحيد للتنازل عـن تراث عريـق أدمى القلوب ورسـخ الإحسـاس بالإهانة، فارتفعت حرارة الشـارع إزاء ما ثمنه اليونانيون نوعاً بغيضاً من الاسترقاق للشعب الذي «اختـرع» الديموقراطية، ثم صدرها لمن يروقهـم الآن تخيير مهـد حضارتهم بين القبول بنوع مـن العبودية، أو إرغامهم على إعلان الإفلاس الرسمي !

ربمـا راود اليونانيـون الأمـل مـن اسـتثمار النموذج الايسـلندي، أن ينتج الضغط الشـعبي تحـركاً حكومياً رافضاً للخياريـن المريرين معـاً، لصالح منح فرصة لتأجيل دفـع فوائد القروض، ثم التفاوض على خفض الدين، كقاعدة يتم علـى أساسـها بناء خطة للإنقـاذ، بدلاً من حصـر اليونان فـي الزاوية الصعبة ؛ أي خصخصة الأصـول الثمينة بأثمان بخسـة، وزيادة الأعباء الضريبية، و.. وغيرها من بنود «روشتة» البنك الدولي وصندوق النقد التي تفرض مظاهر تقشف لا يدفع ثمنها إلا نفس ضحايا السياسات المؤدية للأزمة !

بعيـداً عـن النموذجيـن الأيسـلندي واليونانـي، فـإن الخطـر يسـطع في سـماوات أوروبية عدة، من ايرلندا التي يبلغ حجـم ديونهـا 320٪ مـن ناتجها المحلي الإجمالي، مروراً بالبرتغال الذي يسـاوي دين القطاع الخـاص - وحده - نحو 240٪ من ناتجها، وصولاً لإيطاليا التي يقارب حجم دينها 120٪ من إجمالي ناتجهـا و.. و.. وتلـك مجـرد نماذج، فالحبل على الجرار إلـى الحد الذي يهدد تجربة الاتحاد الأوروبي في مقتل !

ذات يـوم حـذر هنري فـورد من أنه «من الأفضل جـداً عدم فهم الناس نظامنا المصرفـي والنقدي لأنهم لو عرفوا ذلك، فاعتقـد أن الثـورة سـتقع قبـل حلول صبـاح الغـد».. حينما نطق أحـد أبرز رواد الرأسمالية الأميركية بهذه العبارة، لـم يكن العالم قد عـرف منجزات الثورة المعلوماتية كمـا ننعم بها الآن، فلم يعد مـن الممكن - في ظلهـا - إخفاء الحقائق عن النـاس العادييـن، لتصبح الصحف ومحطات التلفـزة والفضائيات ومواقع النـت عامرة بأخبار الأزمات التي تعكس مرور الرأسمالية بأسوأ مراحلها.

الانتفاضـات والاحتجاجات - وحتى الثورات - لم تعد سـمة للربيع العربي فحسـب، إزاء العلل التي تضرب معظم اقتصـادات العالـم، خاصة مـا يتعلق بالدين العـام، والعجز فـي الموازنات الحكوميـة، والتي تكاد تشـكل سـمة لأزمات الاقتصـادات الرأسـمالية، فقد انعكسـت فـي صـورة حـركات رفض شعبية عامة وفئوية عابرة للحدود، بما يعني عدم استيعاب الأطر الديموقراطية الراهنة لعمليات التحول المطلوبة.

أصوات عديدة تنتمي لدوائر أكاديمية وتكنوقراطية محسـوبة - تقليدياً على الفكر الرأسـمالي - ارتفعـت لتحذر من أن الاختلالات المتفاقمة التي تسـتهدف التوازنات الهشة في العديد من المجتمعات تحت رايات اقتصاد السوق، انتقاصاً من حقوق الشـرائح المتوسطة والكادحة، لـن تنتج إلا النمـاذج الاحتجاجية - بل والعنفيـة - ربما وصولاً لتحركات تنذر بثـورات فـي مواجهة حكومـات تدعي التعبيـر عـن شـعوبها، ولا تتعامل إلا سـلمياً مع لائحة مطالبهـا، إلا أنها في اللحظـات المفصليـة، وحينما تتصور أن ما يحدث يمثل خطـراً عليها، وعلى المصالح التي تحميها، إذا هي تتصرف على نحو مغاير، بل وأقرب إلى ما تُقدم عليه حكومات العالم الثالث !



المعالجة القذافية للمسألة البريطانية!

| محسن العتيقي

مظاهرة سلمية في ضواحي توتنهام احتجاجاً على مقتل شاب من أصول إفريقية برصاص الشرطة، تطورت إلى أعمال حرق ونهب واسعة النطاق، امتدت على مرأى الشرطة إلى مدن أخرى، مخلفة خسائر في الأرواح والممتلكات، واعتقل مئات البريطانيين من أعمار مختلفة.

ليس من المستحب التساهل مع أي انفلات أمني، ولكن ليس إلى حد الإذلال والقمع الذي ظلت المملكة المتحدة تنصح بتجنبه وتوعظ الحكام العرب بالإنصات للمشاكل الحقيقية. فعلى عكس ذلك تماماً، وبصورة انكلترا في العصور القديمة، توالت تصريحات كاميرون الأمنية أمام مجلس العموم، لقد توعد المشاركين بالمتابعة القضائية والعقاب، وظل يردد بشدة: «هنا إجرام صرف ويجب مواجهته ودحره»، واعتبر الاحتجاجات «ليست سياسية، ولا تظاهرات بل سرقة وإجرام بحت، لا أعذار له بأي شكل كان... وهي ليست مشكلة فقر بل ثقافة، ثقافة عنف وعدم احترام السلطة». وأثناء ترؤسه لجنة الطوارئ في الحكومة أقر بأن «ثمة جيوباً في المجتمع البريطاني ليست محطمة فحسب بل مريضة» ورفض اعتبار ما حدث نتيجة للفقر وغياب الفرص أو للخفض الكبير في الإنفاق العام.

وفيما أكد أنّ أعمال الشغب التي هزت البلاد لا تستثني أي إجراء لوضع حد لسيادة ثقافة الخوف، وضع كاميرون، خراطيم المياه والرصاص المطاطي تحت تصرف رجال الأمن. سنقوم بمراجعة الصور صورة صورة وسيتم تحديد هؤلاء المجرمين وتوقيفهم، لن ندع أية مخاوف زائفة حول حقوق الإنسان من خلال نشر هذه الصور واعتقال هؤلاء الأشخاص»، مطالباً بفرض أقصى العقوبات وأن يرتدي المحكومين ملابس السجن البرتقالية، وإحياء محاكم الأطفال مع إمكانية حرمان عائلاتهم من السكن المدعوم، بالإضافة إلى حظر واعتقال نشطاء مواقع الشبكات الاجتماعية.

ولكي يكون الحسم سريعاً في كل هذا أقر تزويد الشرطة بصلاحيات جديدة، دون استبعاد اللجوء إلى الجيش رغم نشر حوالي 16 ألف شرطي في شوارع لندن وحدها.

معالجات الحكام العرب

ويبدو أن معركة كاميرون الأمنية لم تكن فقط بغرض القبض على المهمشين المنتفضين، وإنما أيضاً سد ثغرات سياسية في وجه حزب العمال المعارض، وحتى بعض اليمينيين الذين رأوا في ائتلاف كاميرون مع الديموقراطيين الأحرار خيانة لمبادئ الحزب، فقبل أسابيع من شرارة توتنهام اختنقت أنفاس كاميرون ومعه الشرطة البريطانية في فضيحة التجسس على الاتصالات لصالح امبراطورية مردوخ الإعلامية، وهي القضية التي اغتنمتها المعارضة لتهاجم كاميرون وتطالبه بالاعتذار عن توظيفه مدير التحرير السابق في «نيوز أوف ذي وورلد» أندي كولسن رئيساً لمكتب الاتصالات الخاص برئاسة الوزراء. ورغم أن الشرطة لم تستثن من خطة التقشف بخفض نسبة 20 بالمائة، فإن التكفير عن عار التجسس ألزمها الرضوخ ميدانياً وسياسياً لرئيس الوزراء الذي أرجع للحكومة الفضل في كبح الأحداث: «من الواضح أنه كانت هناك حاجة لعدد أكبر من رجال الشرطة في الشوارع وكانت هناك حاجة أيضاً إلى تغيير تكتيكات الشرطة» وهو ما اعتبرته الشرطة نكراناً لشخصيتها التاريخية، خاصة حين أعلن كاميرون نيته في التعاقد مع الضابط السابق لشرطة نيويورك «بيل براتون» الذي لم يبخل بالنصح في استخدام الطلقات المطاطية والصواعق الكهربائية ورذاذ الفلفل وخراطيم المياه.

وبالرجوع إلى ذاكرة النار فيما عرف بـ « Broadwater Farm Riots» في منطقة «إيستيت» بتوتنهام عام 1986، حيث اشتعلت النيران في هذه الضاحية المهمشة والمختلطة عرقياً، واعتبر مقتل سيدة على يد الشرطة حينها حملة عنصرية ضد الأقليات. وفي هذه الأحداث خسر رئيس الوزراء العمالي جيمس كالاهان الانتخابات أمام المحافظة مارجريت تاتشر التي كوفئت برئاسة الوزراء لصرامتها في تصدي نيران المحتجين في مدن عديدة. وإذ يبدو أن الناخبين الذين يواجهون النيران بالنار لا يخسرون معركة الانتخابات البريطانية، فإن كاميرون لن يكون على مرأى النظر في انتخابات 2015 إذا لم يستخلص درس التاريخ وهو بصدد سيناريو مشابه. ثم إن ردود الفعل الأمنية المتشددة سبق التسويق لها في برنامجه التقشفي حين أشاد في نوفمبر 2010 بشجاعة ضباط الشرطة في السيطرة على 50 ألف طالب جامعي احتجوا على خطة خفض الإنفاق العام التي تهدف إلى جعل مضاعفة الأقساط الجامعية المصدر الأساسي لتمويل القطاع التعليمي الجامعي للعام 2012.

وضع كاميرون خراطيم المياه والرصاص المطاطي تحت تصرف رجال الأمن

استطاع كاميرون أن ينسب لنفسه اختصاصات البوليس، وامتثالاً للتكتيك نص بيان رابطة الشرطة «إن المتورطين في أعمال الشغب العنيفة والسرقة في الأيام الأخيرة ليسوا من عرق واحد ولا من جماعة دينية بعينها ولا من طائفة محددة في المجتمع» كما لم يفت بيان الرابطة التأكيد بأن «مكافحة المجموعات الإجرامية في الأحياء الشعبية أصبحت أولية وطنية». وهنا قد يكون من الضروري في مقاربة الحل الأمني أن نتوخى الوقوف على سياق تمهيدي سابق تضمنه برنامج ديفيد كاميرون المحافظ منذ توليه رئاسة الوزراء قبل 17 شهرا، وتحديداً إعلانه «فشل التعدد الثقافي» في خطاب ميونيخ فبراير/ شباط 2011 قائلًا: «بصراحة، أقول إننا بحاجة لتقليل جرعة السماحة السلبية التي طبقناها في السنوات الأخيرة، وزيادة جرعة الليبرالية النشطة والصلبة»، كما أقر بأن «سياسة التعدد الثقافي التي تمارسها دول أوروبا الغربية فشلت»، داعياً إلى «حظر نشاط الدعاة الإسلاميين المتطرفين الذين ينشرون الكراهية في أوروبا...» وهذا بلا شك يتضح اقتصادياً بتعميق سياسة خفض الإنفاق الحكومي من خلال قطع المساعدات عن الجمعيات الخيرية المخالفة لما ينعته كاميرون بالقيم البريطانية العامة.

وما هو جدير بالملاحظة في هذا الخطاب، أن سياسة التعددية الثقافية، التي كانت بريطانيا ساحة لاختبارها في احتواء الوافدين لعقود، قد دخلت في انقلاب مباشر على فضائلها، مع التذكير بأن مسلسل التلميحات الصريحة نحو إلغائها، أعلن كذلك في عهد رئيس الوزراء الأسبق توني بلير، حيث دعا في ديسمبر 2006 إلى «فرض قيود على المجموعات الإسلامية وإفهام جميع المواطنين البريطانيين أن المتوقع منهم هو دعم القيم العامة». ومما لاشك فيه، فإن أنصار التعدد سابقاً، سواء من المحافظين أو الليبراليين المرتبطين بصعود الفكر الرأسمالي، يجدون أنفسهم حالياً، بحكم تهاوي الأسواق العالمية، في حاجة إلى تعريفات وبنيات تحتية جديدة للنظم الاجتماعية والثقافية، تكسيراً لمعادلة التنوع الثقافي التي يكمن سرها في التماثل السياسي والاقتصادي، وفي أهمية الوظائف والخدمات.

ليس فصلاً من فصول شكسبير ما تحكيه النيران في بريطانيا، بل مشهداً من مشاهد عدة لتراجيديا نظام عالمي غير مستقبلي بلغ من العداء للإنسانية ما لم يتحمله فقراء البسيطة، وفي المجتمعات الغنية ومنها بريطانيا يتأكد للعالم أن الشعور بالفقر هو شعور كوني، إننا نقرأ بأن الأغنياء يمثلون 10٪ من المجتمع البريطاني وقد تحسنت أوضاعهم 100 مرة، في حين لا فرق بين توتنهام وسيدي بوزيد!.

خطاب المصلحة القائمة أم الاقتصاد الحديث؟

| **شرف الدين شكري** – الجزائر

«المغلوب، مولع بتقليد الغالب». لا يكاد يخرج بنـاء أي حضارة صحيّة، مهما كانت، عن هـذه القاعدة العظيمة فـي بسـاطتها، الكبيـرة فـي عمقها وبصيرتها. وبحكـم أنّ درَكي العالم، المتسـيّد علـى القـرار، كان ولا يزال الولايات المتحدة الأميركية، فإننا نجد أن عقارب سـاعة الحضارة البشـرية كلها تدقّ على دقات سـاعة واشـنطن



منذ بداية القرن العشرين تقريباً، عبر استحداث التقنيات الجديدة الأولى للإنتاج التي ظهرت في الاقتصاد الأميركي آنذاك بعد تطوير سياسة التوزيع عبر السكك الحديدية التي رافقتها دراسات تنظيرية كبيرة مهدّت لنظريات التنظيم، مما جعل الآلة الأميركية فيما بعد تضرب بقوة في الحرب العالمية الثانية، كي ترافق



انتشار المعلومات عبر النت قضى على كلاسيكيات توزيع المعلومة فمات ما كان يعرف بـ«حارس البوابة»

القوة الاقتصادية تلك، قوّة عسكرية أيضاً.

وبما أن النجاح العسكري ذلك، مكّن أميركا من بسط نموذجها على العالم الحديث، عبر القوة العسكرية والإنتاجية، فإن فلسفة تسيير العالم لدى أميركا انبنت أساساً على تينك المبدأين بامتياز، في علاقاتها الخارجية فيما بعد، وفي تسويق منتجاتها، وفي حماية أسواقها.

دخل العالم رغماً عنه بعدها فيما عُرف بالحرب الباردة التي شطرته إلى قطبين: قطب ليبيرالي (يقول عن نفسه بأنه متحرّر وحرّ)، وقطب اشتراكي(يقول عن نفسه بأنه موحّد في نظرة بناء مشتركة توحّد الجميع). وطبعا، لم يكن هناك مستفيد من الصراع - الثقافي - ذلك في حقيقة الأمر أكثر من تينك القطبين في حدّ ذاتهما مباشرة: موسكو وواشطن. كل من سار على هديهما وانضم إلى قطب على حساب الآخر، كان تابعاً رمزياً ومادياً لتينك الآلتين!.

سوف يأخذ تنامي هذا المسار تباعاً تطوّراته التي يعرفها الجميع، والتي سوف تنتهي بانحدار القطب الاشتراكي في نموذجه الروسي، بعد فشله الذريع اقتصاديا، مما سيفتح المجال أمام تسيير قطبي أحادي للعالم، في تسعينيات القرن المنصرم، مصحوبا بالبث المباشر للمعلومة، بعيداً عن الرسميات التي كانت غائبة عن النظام الروسي، الذي لم يسقط فقط اقتصادياً، كما سوف يكتشف العالم لاحقا، وإنما أيضاً سقط أخلاقياً - ثقافياً. يبدو في الوهلة الأولى، عبر انتشار المعلومات تلك عبر النت، أن العالم سوف يقضي على كلاسيكيات توزيع المعلومة، ويموت بذلك ما كان يُعرف بـ«حارس البوابة». سوف يتكالب العالم منذها على أمواج انتشار المعلومة المباشرة، ويبدأ في إعادة بناء ذاته وفقها، كي يؤسس لما سوف يُعرف لاحقاً بالمجتمع الشبكي، الذي هو نتيجة توسّع سياسة العولمة: النموذج الأميركي – كما كان يقال في بداية انتشار هذا المفهوم، قبل أن يأخذ تشعبات أكثر تعقيداً، ويخرج عن هندام الأبوّة ذاك-.

من هذا المنطلق التاريخي البسيط، يمكننا أن نستشف مدى تطوّر امتداد يد «دركي العالم» ذاك. هذا الدركي الذي ظل يمارس نوعاً من التنمية المستدامة للعالم ثقافياً، ويغتني هو اقتصادياً. وبذلك فإن المفاهيم التي تتطوّر عبر استحداثها، كانت تظل قائمة في حقيقة الأمر حسب المصالح التي تتأقلم وفقها أميركا، وترتبط بها: ألا تقوم سياسة أميركا على مبدأ مفاده ألاّ صداقة دائمة، وحدها المصالح هي التي تدوم؟ وعليه فإن سياسة العسكَرة والتخويف، كانت ولا تزال دوماً تصاحب سياسة المثاقفة وفق النموذج الأميركي. سياسة التحكم بالمعلومة، كانت دائماً تُبقي على الحارس في الحقيقة أمام بوابته التي تحتوي على مفاتيح أميركية لأقفالها. سياسة تفكيك المجتمعات العصية، تقوم على أساس سياسة المجتمع الشبكي التي أشهرت لها أميركا بشراسة.

لقد علّمنا ابن خلدون أيضاً أن لذلك الغالِب، سلماً تصاعدياً معيناً، تحتّمُ طبيعة السياسة البشرية عليه أن يدخل مرحلة الشيخوخة، كما حدث في كل الحضارات البشرية التي تتالت على الإنسان، والتي أهمُّها

ربما حضارة روما، التي غطّت العالم قوّة، وثقافة. وعلّمنا أيضاً نيتشه بأن كل عقرب ملدوغ بسم نهايته (قبل أن يستعيرها أدونيس في إنعاته للثقافة العربية)، وقبل أن تستعيرها الفلسفة المابعد بنيوية في نقدها للبنيوية على يد فوكو. ولذلك فإن الأزمة الاقتصادية التي ضربت أميركا منذ سنتين ونيف، كانت ربما هي المسمار الأوّل الذي تمّ دقه في إسفين الحضارة الأميركية التي اكتشف العالم، أنها لم تكن بمثل تلك القوّة التي كانت توهم بها العالم، وبأنه اقتصاد فاشلٌ فيما يخصّ الدولة، مما جعله يتكبّد أكبر دين في تاريخ البشرية: 15 ألف مليار دولار. ولأن ذلك الاقتصاد الأميركي، يدار بعقول ذكية وخبيثة في نفس الوقت، بعد استشرافه لتلك الأزمة، فإن الحماية المادية التي تتأتى من الضرائب التي تدخل خزينة الدولة الأميركية، وودائع الدول التي لم تستحدث نظاماً مصرفياً مضموناً فيها –أو لم يُسمح لها باستحداث ذلك النوع من المصارف-، هي التي تشكل عمدة الاقتصاد الأميركي اليوم. هذا الاقتصاد الذي يعتاش إذن على مبررين غير مضمونين هما أيضاً، لأن المودع الاقتصادي مربوط بظروف سياسية داخلية تحكم تعامله مع أميركا، ولذلك فإن التبعية والولاء لأميركا من قبل أكبر الدول العربية البترولية مثلاً، هما شرطان غير ملزمين، أو متغيران غير ثابتين، وأما المستثمر الدولي العابر للقارات عادة، فهو لا يحتكم في ربحه إلى المكان، بقدر احتكامه إلى نوعية وقيمة العمالة، والسّعر الضريبي، وسياسة الاستثمار، والضمانات الأمنية المصرفية.

ولأن دَركي العالم مريض، فقد لجأ حتماً إلى البحث عن أسواق جديدة عبر العالم، كما هي القاعدة الاقتصادية الاستعمارية المعروفة. ولأن كل اقتصادات العالم المتطوّر تقوم على التصنيع، فإن أميركا لا يمكنها أن تحلب تلك العوالم المتطوّرة التي تتوافر على الحماية الكافية. فلم يعد بوسع أميركا أن تتوسع اقتصادياً إلاّ على حساب العالم المتخلف. لذلك أسّست نوعاً من المحطات التجسسية الجديدة التي يمكن من خلالها إدارة عجلة الحراك العالمي وفق ما تريده هي، ناشرة تباعاً الجانب الثقافي الأميركي في تلك المناطق المتخلفة، والتي كانت من سوء حظّ أميركا مجهّزة برغبة اجتماعية غير متوقعة. هذه الرغبة التي لقيت الفلقة المناسبة في تونس، وثمة في مصر، ثم تباعاً في أغلب الدول العربية مستقبلاً، والناجمة تحديداً من نوعية وعي المجتمع الشبكي الذي بدأ يتكون منذ عشريتين من الزمن.

أوروبا، تقلّص دورها بعد الحرب العالمية في التنظير للعالم بقوة كما كانت تفعل منذ القرن السادس عشر، ولم تعد هي المحرّك الرئيسي حتى في مناطق نفوذها.والأزمة المالية ذاتها التي جعلت أميركا تبحث عن منابع جديدة للغنى وتسيير حياة مواطنيها، هي نفسها الأزمة التي حتّمت على أوروبا ضرورة التحرك للظفر هي الأخرى ببعض من ذلك الغنى، مما جعل التنافس على أشده بين كلا القطبين. وبين هذا القطب وذاك، أخذ العالم الآسيوي الشرقي ينمو بسياسة جديدة قديمة، تقوم على الحكمة، والسلم، والاستعمار بلا عنف: حال الاقتصاد الصيني، والياباني. ورغم نجاح هذا النموذج الاستعماري الليّن في الدخول إلى تلك الدول (المتخلفة)، وحتى إلى القطبين العجوزين، وتربُّعه على عرش أغلب ساحات الإنتاج، إلا أن أميركا التي وجدت نفسها متجاوزة بسياسة التخويف تلك، لم تستطع أن تتراجع، لأن توغلها العنيف، والإشاعة التي تعتمد عليها في تضليل الرأي العام العالمي، سوف تخلق نوعاً من اللاتوازن داخل الإدارة الأميركية الحاكمة ذاتها. من هنا، يمكننا أن نقف على محاباة أميركا اليوم، للحراك الاجتماعي الذي يحدث في العالم العربي، لا حبّا في الكتلة السوسيولوجية الثائرة، وإنّما كمواصلة للسّياسة المصلحاتية التي يقوم عليها الاقتصاد الأميركي، حتى يستمر كصديق لذلك الحراك، بعدما كان صديقاً أيضاً لكل الأنظمة الديكتاتورية التي كانت تحكم العالم العربي. يمكننا الآن، أن نتصوّر نوعية الرؤية الشرق - آسيوية والأوروبية لتلك المحاباة الأميركية لحراك الشارع العربي.

هذا الحراك الذي تشارك فيه أوروبا، بجانبها القوي من جهة بحجة ضمان حقوق تلك الفئة المتحركة، والوصول إلى منابع الغنى الريعي مثلها مثل أميركا.

مستقبل هذه السيطرة الأميركو - أوروبية على المنطقة العربية، يبدو آيلا حتماً إلى الانهيار، حتى وإن ادعت أميركا خلقها لنموذج حديث للإنسان العربي، لأن مبدأ بناء أي شيء على القوة، لا يبدو أنه هو السلطة في حدّ ذاتها(ولنا في نموذج الحكم العربي مثال).

وهنا إجابة عن السؤال الفلسفي الكبير الذي طرحه ميشيل سير في تسعينيات القرن المنصرم في كتابه: الآخرُ المؤسّس: هل القوة سلطة؟. وطبعا، لا يمكن للحقيقة مهما بدت هينة بفعل المصالح أن تنبني على أساس القوة، وأن تشكل سلطة مستدامة.

سياسة العسكرة والتخويف صحبت معها دائماً سياسة المثاقفة وفق النموذج الأميركي



متى تنتخب أميركا رئيس وزراء؟

| جاك أتالي

الديموقراطية الأميركية ينظر إليها كثير باعتبارها نموذج حكم مثالي. منذ توكفيل (الذي أشاد بها ونبّه إلى إمكانية تحوّلها يوماً ما إلى ديكتاتورية) قليل جداً من تجرأ على انتقاد مبادئها الدستورية. الجميع يرى فيها النّظام الأمثل فيما يتعلق في الفصل بين السّلطات، بما يخدم مصلحة البلاد.

مع ذلك، هذا الفصل بين السلطات ورّط واشنطن في أزمة خانقة. إن عجز السلطتين التنفيذية والتشريعية، طيلة أشهر، على التوصل إلى اتفاق حول سقف المديونية العامة، لا يبعث فقط على اندهاش من يعتقد بأن ممثلي الشعب في الولايات المتحدة الأميركية قادرون على التفكير أبعد من نطاق مصالحهم الانتخابية، اللحظية. بل يبعث على التساؤل حول التناقض القائم في النظام السياسي الأميركي: لما تدخل السّلطتان التنفيذية والتشريعية في صراع مفتوح، ولما يرفض كل واحد منهما تقديم تنازلات للآخر، فلا واحد منهما يستطيع فرض رأيه ودحض رأي الآخر. حالة تعيد تذكيرنا بأن الرئيس الأميركي لن يستطيع الحكم دونما موافقة الكونغرس. وإذا اختلفت إحدى غرفتي الكونغرس مع الرئيس، فإنه يصير مخيّراً بين قرارين: إما التفاوض وقبول تنازلات أو تطبيق سياسة تختلف عن سياسته الأصلية. اليوم، الصراع الأيديولوجي بلغ درجة صار فيها البيت الأبيض والكابيتول غير مستعدين للتفاوض وتقديم تنازلات، وإنقاذ طرف على حساب الآخر من ورطة سياسية.

في هذه الحالة تبرز أهمية منصب رئيس الوزراء. فهو يمثل لدى الرئيس شرعية البرلمان. غياب هذا المنصب كاد أن يقود فرنسا إلى وضعية مستعصية عام 1986. مما أدى إلى إدراج بعض التعديلات القانونية لم يتوافر عليها دستور 1958، بحيث يحكم رئيس الجمهورية حقيبتي الخارجية والدفاع وتتسلم الحكومة الشؤون الداخلية. قد نواجه الحالة نفسها العام المقبل، إذا ما وجد الرئيس منتهية ولايته نفسه في مواجهة الغالبية اليسارية في مجلس النواب.

لو أن الولايات المتحدة الأميركية تقّر بمنصب رئيس الوزراء، لتجنبت قضية سقف المديونية. وطوت صفحتها بسرعة. لكان بإمكان «رئيس الوزراء» الجمهوري فرض حلوله منذ بداية السنة الجارية. ولكان «الرئيس» الديموقراطي قد أعلن رسمياً لوسائل الإعلام بأن القضية تتعلق بخيار خاطئ، ممنياً نفسه بأن فشل الحكومة الجمهورية سيسمح له بالفوز في انتخابات 2012، واكتساح غالبية مقاعد الكونغرس. غياب منصب رئيس الوزراء في الولايات المتحدة الأميركية تشرحه حقيقة أن النظام الفيدرالي لا يمتلك، في الأصل، سوى كفاءات في مجالي الدفاع والسياسة الخارجية. لم يكتسب كفاءات أخرى سوى مع أزمة 1929. تضييق تشريعات الحكم في كل ولاية من الولايات الأميركية تحت غطاء مواجهة «حركة الشاي» سيقود إلى اختزال مهام الدولة الفيدرالية في السياسة الخارجية التي قامت عليها في البداية.

إذا لم تستطع الولايات المتحدة الأميركية إيجاد حلول وفق النمط الفرنسي، وإذا لم تستطع إيجاد خيارات، فإننا سنشهد نهاية الفيدرالية الأميركية، نهاية لا تصب في خدمة أي طرف.

---

*عن مجلة «لو بوان» الفرنسية

عن استبداد بطاقات الائتمان:

أنا أستدين إذن أنا موجود !

محمد السطوحي - واشنطن

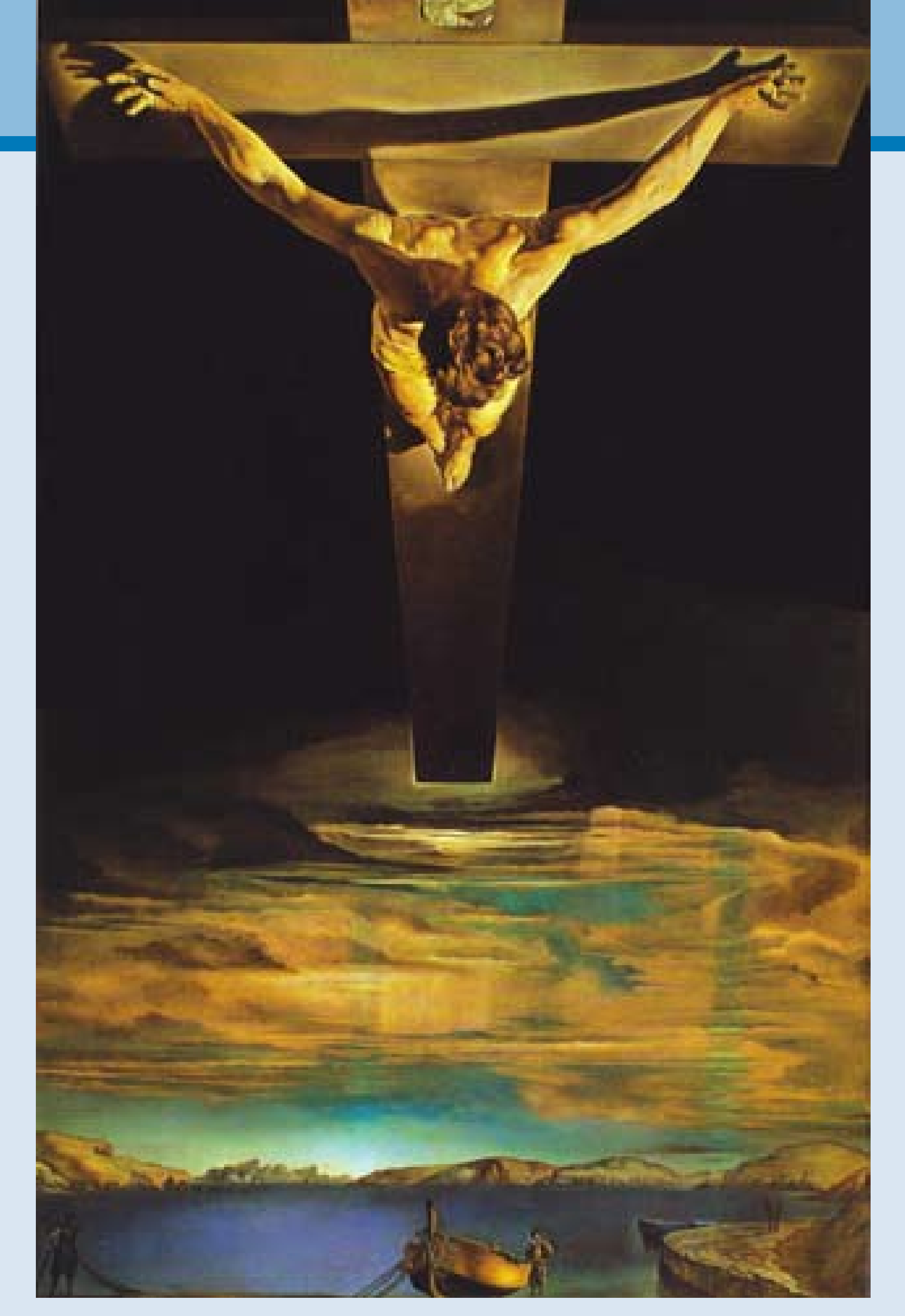
في بداية تفاعلي مع التجربة الأميركية منذ نحو عشرين عاماً، كنت أود شراء سيارة، وبحكم خلفيتي الثقافية أمضيت عدة شهور في «تحويش» ثمنها. وما أن رآها بعض زملاء العمل آنذاك في إذاعة صوت أميركا حتى بدأت تساؤلاتهم: ما هو حجم القرض الذي حصلت عليه؟ وما هي الفائدة المستحقة؟ وأبدوا دهشتهم أنني اشتريتها «كاش». فقد أدركوا بحكم خبرتهم السابقة أنني فقدت فرصة حقيقية لبناء ما يسمى هنا الـ «كريديت هيستوري» أو التاريخ والسجل الائتماني، والذي يسمح للشخص بأن يكون جزءًا من تلك المنظومة الاقتصادية المعقدة في أميركا. فعندما أشتري السيارة بقرض وأسدد ثمنها أياً كانت الفائدة المفروضة عليه، فإنني أخلق الثقة لدى البنوك والمؤسسات المالية المانحة للائتمان، التي تبدأ بدورها في التنافس لمنحي القروض سواء في شكل بطاقة ائتمانية «كريديت كارد» أو قروض لشراء أي شيء بدءًا من رغيف الخبز، إلى منزل بمئات الآلاف من الدولارات.

الاستدانة غير المحببة في ثقافتنا ويستهجنها المثل الشعبي المصري «السلف تلف»، تمثل مبدأ حياة وقاعدة أساسية لأكبر الاقتصاديات العالمية. ذلك أن «الاستهلاك» هو المحرك الأساسي للاقتصاد الأميركي ويمثل نحو ثلثي الناتج القومي. وأذكر أنه بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول كان الشعار المرفوع يطالب المواطنين بإظهار مشاعرهم الوطنية بـ «الشراء» سواء بركوب المواصلات أو شراء المنتجات الاستهلاكية العادية أو الذهاب للمطاعم، فهم بذلك يساعدون على ترويج المنتجات ودعم الشركات وبالتالي الازدهار الاقتصادي.

وإن لم يكن لدى المواطن من المال ما يكفي للشراء، فقد وفرت له تلك المنظومة الاقتصادية «مصباح علاء الدين» الائتماني بكارد صغير يعطيه القوة الشرائية التي لا تتفق أحياناً مع إمكاناته الحقيقية، حتى أن معدل ديون البطاقة الائتمانية وحدها يقترب من 16 ألف دولار لكل أسرة، أما معدل كل الديون فيصل إلى نحو 44 ألف دولار للفرد. وأصبح المواطن يدور في فلك من الديون والأقساط لتسديد ثمن كل شيء في حياته، فالدين يبدأ مع الطالب بقرض لاستكمال دراسته، ثم لشراء سيارة أو الحصول على بطاقة ائتمانية، كما أن امتلاك منزل صار أمراً سهلاً لدى المواطنين في بداية هذا العقد مع انخفاض الفوائد وتنافس البنوك على منحهم قروضاً ميسرة للغاية، دون النظر كثيراً في مدى قدرتهم الحقيقية على السداد، طالما أن قيمة هذه العقارات في تزايد، وطالما كان يمكنها المتاجرة في أوراقها المالية المسماة بالـ «سيكيوريتيز» استناداً إلى قروض يفترض أنها آمنة.

لكن السحر انقلب على الساحر. فقد ازدهرت السوق العقارية وتضاعفت أسعار العقارات بما لا يتفق مع السعر الحقيقي الواقعي لها، وتنامى لدى البعض إحساس وهمي بالثراء لمجرد امتلاك عقار وبدأوا يستدينون من البنوك بضمان هذه العقارات، فلما بدأت عملية التصحيح التي لا مفر منها في السوق تكشفت المأساة الرهيبة التي أدت إلى أكبر كارثة كساد منذ ثمانين عاماً وانهيار عدد من البنوك والمؤسسات المالية العملاقة مثل «ليمان برانرز».

وقد وجه الأميركيون اللوم في ذلك لإدارة الرئيس السابق جورج بوش بما ساعد على انتخاب الرئيس الديموقراطي باراك أوباما الذي حاول إنقاذ البنوك والكثير من الصناعات مثل صناعة السيارات العملاقة، ونجح نسبياً في ذلك من خلال ضخ نحو ثمانمئة مليار دولار في الاقتصاد. لكن البنوك التي نجت من الكارثة بأموال دافعي الضرائب، لم ترد الجميل. فقد تحولت سياستها السابقة بتسهيل القروض حتى دون ضمانات حقيقية، إلى تضييق شديد في الإقراض حتى مع توافر الضمانات، وهو ما ساهم في استمرار الكساد الحالي في سوق العقارات وتضاؤل السيولة الائتمانية لدى الشركات والمؤسسات بما يحد من قدرتها على الاستمرار أو التوسع والنمو والتوظيف بحيث استقر معدل البطالة عند أكثر من تسعة في المئة، وهو ما قد يمثل كارثة للرئيس أوباما في انتخابات العام القادم. تغيير هذا الواقع يحتاج إلى جرأة وقوة في مواجهة الجمهوريين الذين يرى الديموقراطيون أنه لا يوجد لديهم حافز لمساعدة أوباما بما يزيد من فرص



فوزه ضد مرشحهم القادم للرئاسة. وقد نجح الجمهوريون بمساندة ما يسمى بـ «حزب الشاي» في فرض أجندتهم مؤخراً خاصة في مفاوضات رفع سقف الدين الذي وصل إلى 14 تريليون دولار.

لم تعد القضية كيف يمكن دفع الاقتصاد للنمو، بل الحد من العجز في الميزانية والإنفاق الحكومي. المدهش أنهم نجحوا في تخفيض الإنفاق دون المساس بالضرائب التي رفضوا زيادتها على الأثرياء والشركات العملاقة رغم أن ذلك سيساعد على زيادة الدخل وتقليل العجز في الميزانية. وقد أبدى كثير من الديموقراطيين استياءهم مما وصفوه بتنازلات أوباما للحصول على تأييد الجمهوريين، حتى إن الكاتب المعروف بول كروجمان قال إن أوباما يحكم من موقع يمين الوسط. إلا أن تلك التنازلات أفقدت أوباما بعض رصيده لدى مؤيديه، دون أن يسترضي الجمهوريين الذين مازالوا يصفونه بالليبرالي الذي يسعى لزيادة حجم وتدخل الحكومة الفيدرالية. ومن يشاهد المناظرات بين المرشحين الجمهوريين للرئاسة يتبين له أن مهاجمة أوباما هي الرياضة المفضلة للحصول على تصفيق الحاضرين، بل وصل الأمر بحاكم ولاية تكساس والمرشح الجمهوري ريك بري لاتهام أوباما صراحة بالكذب.

هذا الوضع السياسي أدى إلى شلل يعوق الحركة والإنجاز للخروج من المأزق الاقتصادي الراهن، وساهم في القرار الأخير لمؤسسة ستاندرد أند بورز بتخفيض درجة الأمان الائتماني في الولايات المتحدة لأول مرة في تاريخها، وإن كان ذلك لم يقلل من ثقة العالم حتى الآن في شراء السندات الأميركية، ومدى قدرة أميركا على سداد ديونها. لكن الثقة اهتزت لدى أغلب الأميركيين في قيادة أوباما ومدى قدرته على استعادة الحيوية للاقتصاد الأميركي المجهد. لذلك فإن هذه اللحظة قد تكون الأكثر حسماً في اختبار باراك أوباما كرئيس للولايات المتحدة. لقد حاول حتى الآن أن يبدو باعتباره الرجل العاقل الذي يرتفع عن خلافات الصغار بين الديموقراطيين والجمهوريين في الكونغرس، وأنه براغماتي يسعى للتوصل إلى حلول وسط ولو باسترضاء الجمهوريين.

لكن ذلك لم يساعده في استطلاعات الرأي العام وهبطت شعبيته إلى أدنى مستوياتها حتى بين المستقلين الذين يحسمون الانتخابات الأميركية، وبالتالي فإن عليه أن يقرر ما إذا كان سيستمر في لعبة «الرجل العاقل» أم أن عليه أن يشمر عن ساعديه ويستعيد روح المقاتل دفاعاً عن معتقداته بما يزيد حماس قاعدته الديموقراطية، وإن كان ذلك يعني المخاطرة بأصوات المستقلين. لكن فشل الاستراتيجية الأولى قد يدفع أوباما للاستراتيجية الثانية، لأنها أقرب إلى عقله وقلبه. لكنها تعني في الوقت نفسه أن أمل العالم في أن تتحرك واشنطن لاتخاذ إجراءات حاسمة تساعد على الخروج من المأزق الاقتصادي الحالي، ربما كان أقرب إلى السراب.

الحكمة التقليدية تؤكد أنه إذا أصيبت الولايات المتحدة بالبرد، يعطس العالم.. وقد تعرضت أميركا مؤخراً لأزمة قلبية اقتصادية وورم مالي خبيث، إن لم تنجح في استئصاله سيمتد لكل أطراف الأرض، خاصة مع تعثر منطقة اليورو، وارتباط النمو الصيني بالأسواق الأميركية. لكن كيف يمكن استئصال الورم أو استعادة تدفق الدم بينما تعاني الشرايين السياسية من التصلب والانسداد؟ وهي حالة ربما يتعين أن يعيش معها العالم إلى ما بعد الانتخابات قرب نهاية العام القادم.



أزمة المديونية في أميركا

خيارات أوباما

أميرة الطحاوي -نيويورك

لم يكن هذا ما ينتظر الأميركيون سماعه الآن: أوباما يقر بارتكاب «أخطاء» في التعامل مع الأزمة الاقتصادية خلال السنوات الثلاث الماضية، مشيراً للعبء الثقيل الذي ورثه ولم يصنعه، ولكن ماذا عن الأزمة الحالية؟

الرئيس الأميركي باراك أوباما، والذي تراجعت شعبيته كثيراً، يعتزم تمويل خطته للتوظيف والتي تبلغ 447 مليار دولار عبر رفع الضرائب (وتحديداً سيتأتى نحو 400 مليار من تقليص الإعفاءات والاستقطاعات الضريبية من الأفراد الذين يكسبون أكثر من 200 ألف دولار والأسر التي تكسب دخلاً أكثر من 250 ألف دولار)، وأيضاً من إلغاء التخفيضات الضريبية على شركات الغاز والنفط أو ما وصف بأنه سد لثغرات ضريبية، وهو بخطته تلك يطمح لتخفيض نسبة البطالة بالبلاد والتي تعدت 9 %.

ولكن الجمهوريين يرفضون هذا الطريق لحل الأزمة، فهم يرون مثلاً أن أصحاب المشاريع والمنشآت الصغيرة سيضطرون وبسبب زيادة الضرائب لتسريح عدد من العمال، أو قد لا يتمكنون من خلق وظائف جديدة، وهو ما ينقل الأزمة أو يرحلها لنقطة زمنية أخرى لاحقة، كما أنهم يسعون لخفض الإنفاق العام.

وقد ظهر بجلاء الخلاف في علاج الأزمة المالية بين الحزبين (الديموقراطي والجمهوري) في تصريح بوب تيرنر لمؤيديه عقب فوزه منتصف سبتمبر/أيلول بمقعد في نيويورك في انتخابات فرعية قائلاً «إنه دخل عالم السياسة فقط لكونه سئم الإفراط في الإنفاق في واشنطن»، داعياً إلى تخفيضات حادة في الميزانية الاتحادية، وهنا الفوز في الدائرة التي يشكل فيها الديموقراطيون 75 % من الناخبين المسجلين وتحسم تقليدياً لصالحهم منذ أكثر من90 عاماً تجعل التفكير في ولاية ثانية لأوباما

نفسه مثار تشكك كبير، خاصة لو لم تؤت خطته لحل أزمة البطالة والديون ثمارها سريعاً.

يذكر أن خطة الإنعاش السابقة التي تبناها أوباما عام 2009، والتي تكلفت 787 مليار دولار لم تنجح مثلاً في خفض معدل البطالة إلى ما دون 8 % بل زاد.

وينظر كثير من الأميركيين بغضب تجاه استمرار الدور العسكري لبلادهم في الخارج والذي يكلف ميزانيتهم العامة الكثير، وبحسب توقعات لاقتصاديين فإن الميزانية الأميركية سوف تتكبد من (1700) مليار إلى (2700) مليار دولار، أو أكثر بحلول عام 2017، إذا ما استمر بقاء القوات الأميركية في العراق وأفغانستان، حتى ولو تغير صيغة وجودها هناك ولو على شكل قواعد عسكرية لا تقوم بتدريب أو تدخل في عمليات ميدانية كبيرة وتعقب لمناوئين.

وهناك غضب آخر أيضاً من مواقف الجمهوريين الذين يشكلون معارضة أوباما في الكونغرس، حيث عرقل هؤلاء غير مرة تسوية للدين العام قبل خطة أوباما الأخيرة، وأشهرها في إبريل/ نيسان ويوليو/تموز من هذا العام، وأصروا على خفض الإنفاق العام رافضين زيادة الضرائب، وكان لجناح حزب الشاي اليميني داخل الحزب الجمهوري دوره في قيادة هذا الرفض، وتشعر بالشكوى من هذه العرقلة الجمهورية في ثنايا مطالبة أوباما نفسه قبيل عرض خطته على الكونغرس، بأن يتم إجازتها «من دون ألاعيب. من دون سياسة. من دون تأخير». وأن «الأمة بحاجة لتدخل سريع»، وبالطبع لم يبق سوى 14 شهراً على الاستحقاق الرئاسي. إنه يريد أن تجاز في موعد أقصاه نوفمبر/ تشرين الثاني المقبل حتى يكون لخطته أثرها في عام 2012.

وقد وصل الأمر أن دعا أوباما مواطنيه للاتصال أو مراسلة الكونغرس لتمرير خطته، التي عرفها بـ «قانون الوظائف الأميركي»، حيث يقول إن من شأنها تخفيف الأعباء الاجتماعية لمعظم العمال الأميركيين واتخاذ إجراءات لمصلحة العاطلين عن العمل وطرح استثمارات في البنى التحتية لتنشيط فرص العمل. وتقليل القيود على الاتفاقيات التجارية لفتح أسواق جديدة للمنتج الأميركي.

وقد ردّ الجمهوريون سريعاً وعلى لسان زعيم الأقلية بمجلس الشيوخ (الغرفة الأعلى بالبرلمان الأميركي) ميتش ماكونيل بوصف اقتراحات أوباما بأنها «ليست جادة ولا يعد خطة». فهو لم يقدم مثلاً حلاً للأزمة العقارية، ولم يدع أن خطته هي لحل أزمة الاقتصاد الأميركي ككل، لكن الجمهوريين لم يقدموا أيضاً خطة متبلورة تقف نداً أمام ما قدمه أوباما. ويريد أوباما الموافقة على خطته التي طرح مواردها / مصادر تمويلها بدقة، مؤكداً أنها ستنجح في تحقيق الهدف، رغم أنه أشار أيضاً إلى أن الاقتصاد الأميركي قد يستغرق بعض الوقت للتعافي بصورة كاملة، كما أنه لم يقدم أو يعد بما من شأنه الحد من الاقتراض طويل الأجل، بينما يري الجمهوريون أن خطة أوباما مجرد حوافز لإنعاش قصير الأمد للاقتصاد، ولم يمنعهم هذا من الإشارة لنقاط جيدة فيها. وقد علق رئيس مجلس النواب (جمهوري) بأن الخطة «تستحق الدراسة» قبل أن يعود لوصف فوز زميله بيرنر في نيويورك منتصف هذا الشهر بأنه رسالة للديموقراطيين بضرورة «إلغاء أجندة التحفيز الاقتصادي الفاشلة».

أجندة أو محفزات وليست حلاً سحرياً (لا يوجد مثل هذه الحلول)، لكنها وكما يصفها بدقة كلايف كروك «أصغر مما يحتاج إليه الاقتصاد.. وربما أقصى ما يمكن إقناع الناخبين القلقين بقبوله». وربما يمكن وصف التراضي بين الديموقراطيين والجمهوريين إذا حدث على أنه تمسك من أوباما بدور للدولة في حل أزمة البطالة مع بعض المسؤولية الاجتماعية، خاصة أن المعني به فئات مثل المعلمين ورجال الشرطة والإطفاء وعمال البناء، بل وسيشجع على عودة البعض لأعمال أتقنوها وبحاجة فقط لبعض التدريب.

وجاء الوصف الأقسى لخطاب أوباما السابق على تقديم خطته من النائبة الجمهورية ميشيل باكمان الذي اعتبرته «حيلة مؤقتة»، بل ووصفت مفاوضات أوباما مع الكونغرس بكونها «سيركاً سياسياً» رافضة اضطلاع الدولة بخلق وظائف كون هذه هي مهمة السوق الحرة حسب قولها.

وبحسب جريدة الشرق الأوسط، فقد قال النائب الجمهوري عن ولاية ميتشغان بيل كورني «إن إجبار الأميركيين على الاختيار بين الرعاية الصحية وإيجاد فرصة عمل غير وارد، وإن أميركا تحتاج إلى استثمارات ضخمة في الوظائف الحكومية، ونحن لا يمكن أن نشكو من نقص التمويل والضمان الاجتماعي ثم نفعل أشياء إضافية لمواصلة ذلك». وبحسم أكبر عارضها السيناتور عن ولاية أوريغون روب بورتمان «إن الخطب الجيدة والمزيد من الإنفاق لن يؤديا إلى حصول الأميركيين على فرص عمل».

وبين هذا وذلك يقف المواطن حائراً حول مدى فعالية هذه الخطة، وخائفاً من تقليل الإنفاق على برنامج الرعاية الصحية، وغاضباً من عدم الحسم لأزمة تتفاقم مع الوقت، ويلعب أوباما على هذه الحيرة أو الغضب، لأن الناخب سيسأل بدوره عن رفض الجمهوريين للخطة دون أسباب أو بدائل. وتجدر الإشارة لما تداولته الوكالات من إحصائيات عن ارتفاع عدد الأميركيين الذين يعيشون دون مستوى الفقر لـ 46 مليوناً العام الماضي، كذا ارتفاع معدل الفقر على المستوى الوطني للعام الثالث على التوالي.

ويفترض أن ترفع خطة «لجنة عليا» جديدة بالكونغرس لقبولها أو تقديم بديل، وتضطلع اللجنة بتخفيض 1.2 ترليون دولار من المصروفات الاتحادية.

قبل أسبوع من الانتخابات الإقليمية والبلدية خرج المئات من الشباب والأقل شباباً ليحتلوا ساحات مختلف المدن الإسبانية، تمثل رمزها في ساحة بويرتا ديل سول في قلب مدريد، وهكذا ولدت «حركة M - 15»، أي الخامس عشر من مايو (آيار).

من ميدان التحرير إلى «بويرتا ديل سول»

خابيير براديس لوبيث

ترجمه عن الإسبانية: أحمد يماني

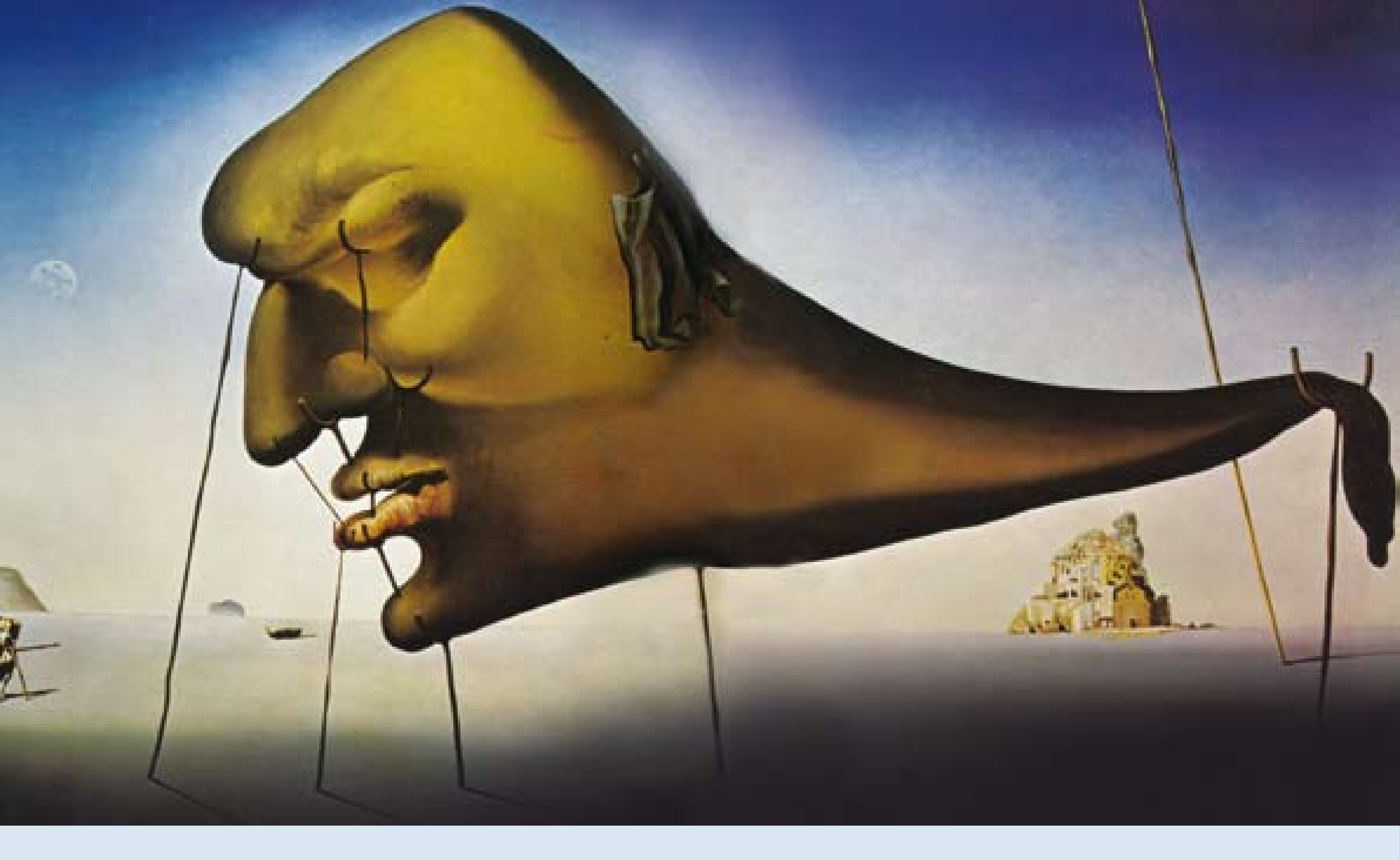
قامت الصحافة سريعاً بعقد مقارنة بين هذه الاعتصامات وبين تلك التي حدثت قبل بضعة أشهر في بعض البلدان ذات الأغلبية المسلمة، وتمثل رمزها في ميدان التحرير.

لكن المقارنة محدودة بشكل كبير كي يمكننا قبولها على إطلاقها. ففي واقع الأمر هي رسالة بعثت بها وسائل الإعلام الدولية لكنها تنتهي بأن تصبح مسطحة تماماً. يتم البحث عن أشباه في جيل الـ«فيسبوك»، والذي تمكن من التحرك بفضل شبكة الإنترنت، وهو جيل غير مرتبط بالأشكال التقليدية للعمل السياسي. تطفو على السطح كذلك طبيعة المطالبات: من ناحية هي غامضة وعامة ولكن من ناحية أخرى فإنها على علاقة بأوضاع ملموسة في الحياة اليومية، إلخ. ومع ذلك، فإن الأحداث في تونس ومصر واليمن وسورية تختلف كثيراً عن تلك التي في مدريد وبرشلونة ومدن إسبانية أخرى، لذلك لا يمكن اعتبار المقارنة مناسبة. فيما يخص منطقتنا هنا، يمكننا القول إن هذه الحركات تعبر عن قلق عميق، وإنه حتى وقت قريب لم يكن من الممكن التفكير حتى بحدوث ذلك، سواء كان ذلك على ضفة البحر الأبيض المتوسط هذه أم تلك.

لنبدأ بوصف سريع: من الذي خرج إلى الشارع في مدريد؟ مجموعة أولى من بعض الأفراد تتشكل بكل تأكيد من شباب مضادين للنظام والذين نشطوا كذلك في الأشهر الأخيرة، مما تسبب في نوبات من الاحتجاج، ولا سيما في الجامعة، وخصوصاً ضد الكنيسة الكاثوليكية. بجانب هؤلاء المتظاهرين هناك أيضاً المناهضون للعولمة وأعضاء الجماعات اليسارية الراديكالية مما جمع كثيراً من الوقائع غير المتجانسة: هناك أناس عاطلون عن العمل منذ زمن طويل، وليس لديهم أية موارد اقتصادية، أو شباب لم يتمكنوا بعد من العثور على أول عمل لهم، مجموعات تكافح الفساد وحدود النظام الانتخابي كدليل على الإرهاق الشديد الذي تعانيه الطبقة السياسية، إلخ. لم تخل الساحة حتى من مجموعة من ذوي الخلفية المسيحية.

لقد أسال الصحفيون الكثير من الحبر باقين عند هذا المستوى من المشكلة، فمن جانب قاموا بالتركيز على العلامات التي لا يمكن إنكارها لتدهور آليات المشاركة السياسية في الديموقراطيات الغربية، ومن جانب آخر لا يفتقرون إلى توجيه اتهامات خطيرة للمعتصمين، لمحاولتهم مساءلة إمكانية المشاركة الديموقراطية الفعالة بشكل جذري. كل هذا لا يشكل جديداً في البانوراما الثقافية والاجتماعية مقارنة بأوقات أخرى تم الإعراب فيها عن قلق الكثيرين، وغالباً بعنف أكبر بكثير، كما حدث في جنوة (2001) أو في الضواحي الفرنسية (2005) أو في ضواحي لندن (2009)، ولعل الاختلاف اللافت في مدريد أن العناصر نفسها المضادة للنظام اختلطت مع غضب أشخاص أرادوا أن يعبروا، على قدر إمكانهم، عن شعورهم بالإحباط، لعدم وجود عمل، أو عن شعورهم بالعجز أمام طبقة سياسية تتزايد أكثر فأكثر مرجعيتها الذاتية. حتى يومنا هذا تمسكوا باللا عنف وتصرفوا على هذه الشاكلة في كل الأوقات تقريباً. رغم ذلك، وبمرور الأسابيع، يبدو أن التباين في الساحة آخذ في التناقص، فقد بقيت فقط تلك الجماعات المناهضة للنظام من اليسار الراديكالي والتي قامت بتفجير الاحتجاجات. وبعد شهر من M - 15 تم إعلان التخلي عن التخييم في الساحة لإتاحة الفرصة أمام مطالبات ليست واضحة المعالم.

ما المهمة قبل السياسية التي على علاقة بنا جميعاً، والتي فرضتها علينا تلك الحلقات الأخيرة من التعصب؟ كي نقول ذلك بإيجاز، فإن لدينا مسؤولية تفسير هذا الانزعاج بشكل صحيح، والذي يتم التعبير عنه بطريقة غامضة جداً وأيديولوجية في كثير من الأحيان، لا سيما في دائرة أولئك الأكثر التزاماً بالاحتجاج. إذا لم نشأ أن نحبس أنفسنا إزاء هذا الواقع، وأن نصل إلى وضع رد الفعل على أولئك الذين يقتصرون على مناقشة، حتى وإن كانت بارعة، ما يعيشه الآخرون، فإن هذا يستدعي أن نكون ذواتاً فاعلة من نوع تعليمي وثقافي. الفرضية التي نطرحها هي أن الضيق دائماً ما يكون علامة على



«مجموعة من المتطلبات والبديهيات» تشكل التجربة الأساسية للكائن البشري. من هنا، فإن هذه الأحداث الأخيرة تتطلب منا مهام مختلفة: المهمة الأولى والأساسية قبول الحاجة إلى التعليم التي لدينا نحن في الواقع، إذا لم نكن قادرين على الاعتراف داخلنا بالطلب غير المحدود للعدالة، فإننا لن نتمكن من التعرف على بصمتها عند المتظاهرين، وكرد على الاضطرابات يمكننا بشكل لا يمكن تحاشيه أن نقترح فقط حلولاً اجتماعية أو مهنية، أي ما قام الكثيرون باقتراحه بالفعل، متحصلين بذلك على نتائج محدودة. في المقام الثاني، فإن الراشدين الذين يتابعون سبيل التعليم لإنسانيتهم نفسها -حسب العبارة الشهيرة ليوحنا بولس الثاني : الإنسان هو السبيل إلى الكنيسة - مدعوون للالتزام بتعليم الآخرين سواء أكانوا شيوخاً أم شباباً، كي يوقظوا وينيروا هذه التجربة الأولية، من داخل الحياة اليومية وفي جميع الظروف وجميع البيئات.

فيما يتعلق بوجهة نظرنا، فإن العامل الأكثر إثارة للاهتمام هو التعبير عن الضيق الذي برز في الساحات. قبل الخوض في جذور هذا الضيق، ينبغي أن نعترف ببساطة أنه كائن بالفعل، وأن التدابير السياسية والاجتماعية فشلت في إزالته.

شكا العديد من المراقبين الدوليين، من أوكتافيو باث إلى جورج شتاينر وإدجار موران، في السنوات الأخيرة، من التعب والسلبية المميتة للأوروبيين.

نبدأ مع ميدان التحرير كي نصل إلى بويرتا ديل سول. لنعود بسرعة إلى العالم الإسلامي. على ضوء الأحداث في الغرب، المقروءة عبر فرضيتنا الثقافية والتربوية، نفهم أنه لا يمكن بسهولة تصدير الديموقراطية إلى البلدان ذات الغالبية المسلمة، كما لو كانت تلك الميكانيزمات تعمل بشكل آلي. لا يمكن لهذا النموذج الرسمي أن يعمل ما لم يكن مصحوباً بعمل ثقافي على المقترحات ما قبل السياسية، والتي لا يمكنها إلا أن تفتح باب المناقشة العامة (الأخلاقية والاجتماعية والسياسية) لمسألة دور الأديان، ولكن قبل ذلك النقاش حول دور الدين في الفهم الإنساني الكامل للكائن البشري، أي في جميع أبعاده من عقلانية وعاطفية وحرية، سواء فيما يسمى بالمجال الخاص أو العام. من الواضح أنه في معظم البلدان الإسلامية يتخذ هذا العمل أشكالاً مختلفة عما لدينا وأعربنا نحن عنه في المجتمعات العلمانية الغربية. في كلتا الحالتين نحن نواجه واحدة من مساهمات المسيحية الحاسمة للصالح العام. إن رؤية الصالح العام الناشئة من فهمنا للحياة الطيبة تجد قواعدها في مفهوم الإنسان الذي وصفناه للتو. بالتالي فإن مسؤوليتنا كمسيحيين هي التحقق من أن الإيمان المعاش يقوم بتربية «المعنى الديني» حتى يمكننا أن نفهم أنفسنا تماماً وتكون لدينا القدرة حينئذ على فهم الآخر بذكاء. بدءاً من نضوج التجربة الأولية يمكن أن يولد وعي نقدي حول الظاهرة الكاملة للضيق هذه، والقدرة على الحوار التي يمكنها أن تقدم لنا إجابة تكون على مستوى الرغبة اللا نهائية التي بدأت في الحركة. خرج هذا الجواب، بالنعمة المحض، في لقائنا بإنسانية يسوع المسيح، الحاضر بجسده الحي ألا وهو الكنيسة.

كاتب المقال عميد كلية الدراسات اللاهوتية، جامعة القديس داماسوس. مدريد



هذا الفقر الجديد على الأوروبيين

| برناردو راباسا آسينخو - مدريد

أزمة إسبانيا، الأزمة الكبرى، هي في الأساس أزمة العالم الغربي إزاء الدول الناشئة لأن ما فعلناه هو أننا نقلنا إنتاج المواد والخدمات لهذه الدول ولذلك نحن نعيش على حساب هذه الدول منذ عشرين عاماً، وميزان مدفوعاتنا يعاني عجزاً مخيفاً، نموله عن طريق هيكلة الديون، كي نستطيع أن ندفع لهم. هذا دون أن ننسى أن ثاباتيرو قد فعل المستحيل لزيادة فداحتها بإسرافه وتبذيره.

جعلت الأزمة، الأزمة الكبرى، إجمالي الناتج المحلي في عالم ناشئ قوامه 3 مليارات نسمة من بين 7 مليارات يعيشون على الأرض، يسجل زيادة ما بين 10 إلى 15 بالمئة وهو ما جعل هؤلاء يستهلكون كما لم يفعلوا من قبل في تاريخهم، مما رفع أسعار المواد الأولية بشطط، وكذلك ازدادت أسعار ما تعرف باسم السلع الأساسية، وهي المنتجات التي تستمد قيمتها من حق المالك في الاتجار بها وليس في استهلاكها.

مثال لهذه السلع الأساسية الأغنية، فباتخاذ معيار جودة عادي، ليس هناك اختلاف بين الذرة أو السكر أو الزيت المصنع في دولة أو في أخرى.

على سبيل المثال فإن زيادة الأسعار بين عامي 2006 و2011 كانت بالنسبة للحوم 40 %، وبالنسبة لمنتجات الألبان 73 %، وللسكر 100 %، وللحبوب 101 %، والزيت 148 %، والذرة 62 %. ارتفع مؤشر أسعار الفاو للأغذية 82 %.

تأمل نظري أم أن الصينيين والبرازيليين والهنود وغيرهم يأكلون أكثر وأفضل؟ وهل هذا شيء سيئ؟ أو هل هذا من العدالة؟ هل علينا أن ندفع لهم بفقرنا الحديث علينا؟ ربما، ألم نعش على حسابهم طيلة قرون؟ تبدي منظمة الفاو قلقها الظاهر بسبب هذه الأحداث خاصةً لأننا عام 2050 سوف نصبح 9200 مليون نسمة، على نفس الأرض ودون إمكانية استعمار كوكب آخر.

هذا وليس سبب آخر هو سبب الثورات في شمال إفريقيا والشرق الأوسط لأن أنظمتهم العلمانية تقريباً كانت عاجزة لتنبؤ الموقف أو حتى حله. لم يكن هناك خبز رخيص هنا إلى جانب زيادة سكانية هائلة بلا مستقبل نهائي للحياة ولكنها تتمتع بمهارة في استعمال الشبكات الاجتماعية للاتفاق على وجهات نظر كل منهم لتحقيق الديموقراطية.

وبالطبع فإن الدول الناشئة لم تكن لديها أية أزمة لأن ثرواتها تعتمد على ثرواتنا، ولكن هذا كانت له عواقبه أيضاً، إحماء اقتصاد وتضخم كما في البرازيل والتي زاد ناتج الدخل المحلي لديها عام 2010 بنسبة 7.5 % وكانت نسبة التضخم 6.5 %. هذا نفسه ما حدث في كل بلدان أميركا اللاتينية، حيث نمت الاستثمارات الأجنبية بحثاً عن أرض لإنتاج المواد الغذائية، التي يزداد الطلب عليها يوماً بعد يوم.

ومنطقياً فإن استثماراتنا الإسبانية ألحقت الضرر بالاقتصاد الداخلي، حتى لو أن شركاتنا المتعددة الجنسيات تعمل جيداً فلن تصبح فعالة إلا إذا أعادت أرباحها للوطن، وهو الأمر الذي أشك فيه.

في اعتقادي أن أسعار المواد الأساسية لن تعاود الانخفاض أبداً، ما عدا بعض التذبذبات للمضاربة. هذا ليس مجرد تغير بسيط في الدورة وإنما تغير عصر.

أمثلة أخرى للسلع الأساسية في الاقتصاد العالمي هي الكهرباء أو البترول والمعادن، الأسمدة والمخصبات وبرود باند الإنترنت، غير أن هذا المفهوم يشمل أيضاً منتجات شبه مصنعة تستخدم كأساس لعمليات تصنيع أكثر تعقيداً. منذ عامين كان من الصعب العثور على نقل بحري حيث إن الصين المتطلعة جداً، كانت تحمل كل ما هنالك. هل فكرتم حضراتكم في سبب سرقة كابلات النحاس بواسطة عصابات

أسعار المواد الأساسية لن تعاود الانخفاض أبداً، هذا ليس مجرد تغير بسيط في الدورة وإنما تغير عصر

منظمة للغاية، مما أضر بالاتصالات في إسبانيا ونقل الكهرباء؟

تستهلك الصين 36 % من النيكل في العالم، و39 % من النحاس، و41 % من الألومنيوم والزنك، و45 % من الرصاص والحديد، و53 % من الأسمنت إلى آخره. ولذا فقد شهدت هذه المواد منذ مطلع عام 2009 زيادة هامة في الأسعار، فقد زاد البترول بنسبة 120 % والألومنيوم بـ100 %، والرصاص 120 %، والزنك 90 % ومؤشرات أخرى كالذهب والفضة، والتي زادت أثمانها عن الضعف في أقل من عام ونصف.

تتسبب هذه الزيادات في التضخم. في إسبانيا فإن التضخم وفقاً للحكومة 3.8 % دون زيادة أي أنه «ركود تضخمي»، لأن 0.8 الزيادة هي فقط ما يعتقده ثاباتيرو وحكومته والبنك الوطني.

هنا، كما في شمال إفريقيا، لا تعرف حكومة ثاباتيرو ما عليها فعله، ما عدا شد الحزام، الذي يفرضه الاتحاد الأوروبي، ولكن أول إجراء يجب اتباعه هو تخفيف تكاليف خلق فرص العمل، قضى متحدثو الأحزاب الاشتراكية شهوراً مسببين لنا الغثيان، دون التوصل إلى اتفاق بسيط.

لخلق فرص عمل ينبغي تسهيل إجراءات تأسيس الشركات، وكما كررت في مقالاتي السابقة، القضاء على المعوقات الإدارية، وتكاليف التأمينات الاجتماعية، والضرائب والمخاطر على الجسور الذي يتجرأ ويخطو الخطوة الأولى.

تساهم منظمة آمنستي العمالية على العكس في خلق بطالة أكثر، بتغليظ الغرامات، لا أحد يحب من يخالف القانون، هذا ما يفعله الريف الإسباني على سبيل المثال، لأنه بأجر العمالة العادي، لن يمكن حصاد المحاصيل التي تحتاج إلى عمالة وفيرة.

لكي أكون إيجابياً، فإن مسرعات خلق فرص عمل إلى جانب تطبيق تسهيلات، يمكن أن تكون: التصدير الذي يمتص 19 % من الوظائف الحالية والذي يجب أن ينمى بالاعتماد على مصنوعات عالية الجودة وفاخرة، أي «ماركات» تستطيع منافسة المنتجات «الرديئة» المصنعة في البلاد الناشئة، إلى جانب إنعاش السياحة التي تضم 6 % من الوظائف الحالية، و8 % من إجمالي الناتج المحلي.

وتبعاً لفيديا ماكينسي فإن تنمية هذا القطاع من شأنها أن تخلق 3 ملايين فرصة عمل دائمة، ومن أجل استكمال هذه الإجراءات، علينا تحسين فاعلية قطاع الخدمات والذي تقل إنتاجيته بنسبة 20 % عن دول الاتحاد الأوروبي و35 % عن الولايات المتحدة.

وبالفعل فإنه من بين 100 % من 18.2 مليون وظيفة حالية في إسبانيا فإن 25 % تساهم كما رأينا (19 % + 6 %) في تسديد الدين الخارجي، وربما أكثر قليلاً بسبب إعادة أرباح الشركات المتعددة الجنسيات، أي ما بين 4 و6 ملايين شخص كحد أقصى. أما باقي الإسبان، من 75 % إلى 90 % من الشعب إما أنهم يعيشون على الخدمات أو أنهم موظفون، أو على المعاش، أو طلاب أو مستأجرون، أو عاطلون.

ثمة أمل أكيد ولكن إن لم تتغير حكومة ثاباتيرو فإن كل شيء سيكون بؤساً وإحباطاً.

عندما يخشى الغرب من الديموقراطية في محمياته!

عبد الله كرمون - باريس

ليست صرخات الشعوب التي انفجرت الآن وليدة اليوم، كما لم تكن هي أولى الصرخات. فقد انتفضت الشعوب الواقعة تحت تسلط الطغاة من المحيط إلى الخليج على مر عقود، وكان الرد القمعي عليها وعلى الدوام شديداً ورهيباً. لم ترضخ الشعوب عبر تاريخها الطويل لجلاديها أبداً. لأنها انتفضت مراراً، رافضة أوضاعها السيئة. ولم يكن تاريخ ما يصطلح عليه بالعالم الثالث سوى تاريخ نضال طبقي دموي مرير، ويا ما أخمدت، بقوة الدبابات، كم من ثورات شعوبه، وكممت أصواته المحتجة بشراسة، على يد زبانية الأنظمة المستبدة، من بوليس، عسكر، مخابرات، ومن يضطلع مثلهم بأقنع ما يمكن أن يسفل إليه الإنسان من همجية.

ثارت كل الأجيال، وشاخ بعضها، ويئس، دون أن يتسنى له رؤية نير الظلم والطغيان والقمع ينزاح قليلاً عن أعناقها. طالت إقامة بعض الجبابرة على صدور شعوبهم، بل إن منهم من ماتوا على بطشهم، وورّثوا سيطرتهم على دماء الناس، وسطوتهم على خيرات البلاد إلى الأبناء والأحفاد، وأحياناً، إلى شجرة امتدت فروعها الفاسدة، عبر الأزمنة، حتى السماء، مفندة، بمخالفتها للعادة، رؤى ابن خلدون حول مصائر الممالك.

أولئك الأجداد المستبدون هم من يسروا للمستعمر الغربي أن يتغلغل في الحِمى. هذا الغرب الذي أنجز ثوراته، وحققها، سياسياً، صناعياً، دينياً، ولم يبق له إلا فضل الاستكشاف. ألم يستنفد، معضداً بأولئك الخونة، خيرات ومعادن أوطاننا، بما فيها بلاد الأزتيك، التي كانت تصل منها عبر البحر إلى أوروبا كنوز أراضيها.

فإذا أخمدت الأنظمة الرجعية، في صمت، كم من صوت حر، فإنها لم تخمد مطالب الحرية والانعتاق أبداً. فقد كانت تركز، تقريباً، في يدها كل الإعلام حينها، وكانت أبواقها الكاذبة تزعق في كل الأرجاء. اليوم طفح الكيل، وتغيرت كل الموازين، إذ صار للحقيقة وجه عار، وصار للخبر جواز يقوده إلى أطراف الأرض الأخرى. لم يعد اليوم ممكناً للطغاة وأذنابهم الكذب على الملأ دون أن يفتضح أمرهم. فقد انهارت في زمن الإنترنت البنيات القديمة الساهرة على تزييف الحقائق. ولم يعد اليوم ممكناً، مثلما كان ذلك بالأمس عادياً، إراقة الدماء، وظهور الديكتاتور على الشاشة الصغيرة، كأن شيئاً لم يكن، نافياً ومتمتماً كلاماً في تحدي إرادة الشعوب!

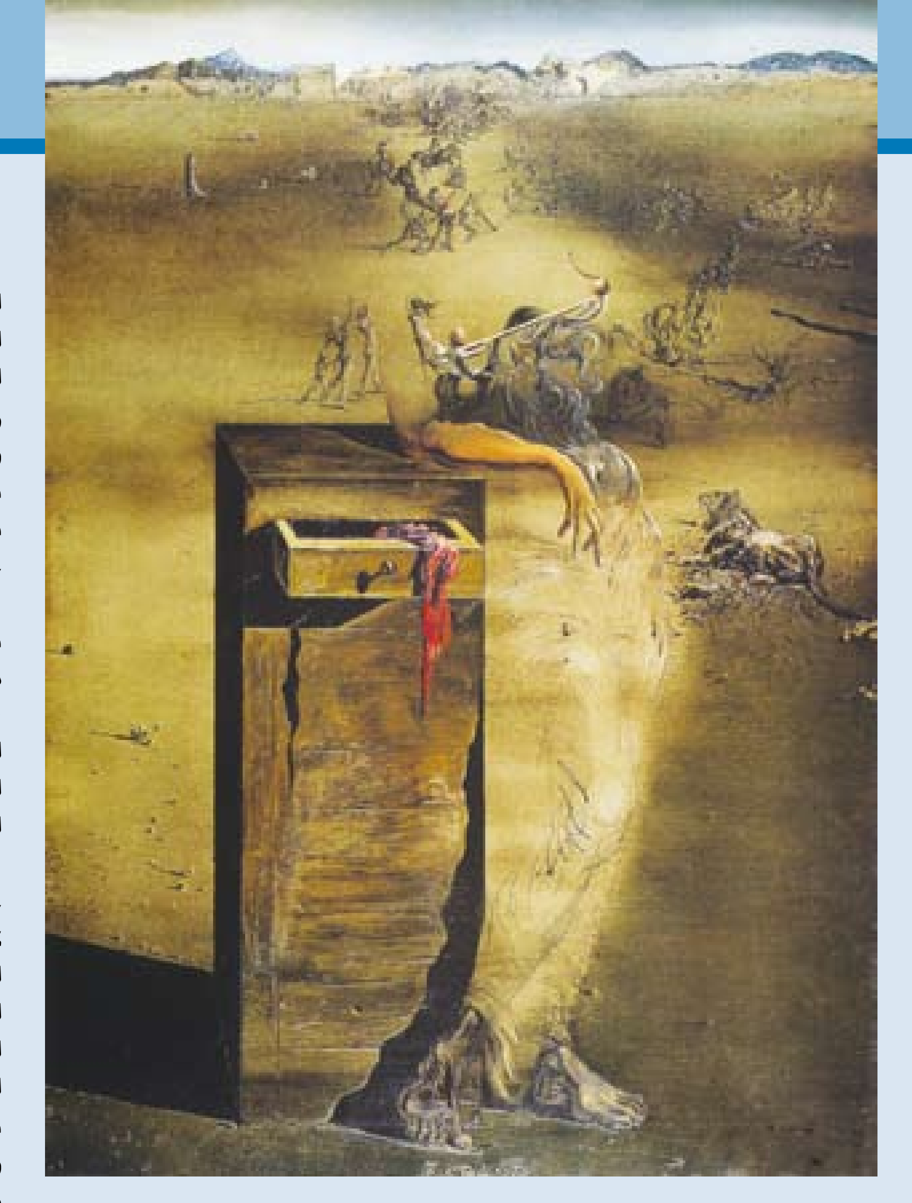
كيف لا يكون هؤلاء الحكام المعمرون على كراسيهم، وعلى كراسي آبائهم، وأجداد أجداد آباء بعضهم، طغاة، إنهم كذلك، وفي أدنى تقدير، وفقط بحكم حكمهم.

ليست هذه الأنظمة القابعة على صدور الناس منذ أزمان قرية، فقد تطورت العلوم، وانفتحت عقول الناس أكثر من ذي قبل، ولم تعد الركائز الدينية والأسطورية كفيلة بتبرير توريث الحكم وجعل الناس رعايا، على أعناقهم ذمم فروض البيعة والطاعة.

وما الانتفاضات الشعبية العارمة التي تعرفها بلدان عربية ومغاربية سوى بداية مسلسل تحرري طويل استمر خلال عهود ممتدة من القمع والتسلط الرهيبين.

وإذا سقط رأسا الشر في كل من تونس ومصر، في حيثيات سياسية معقدة لا مجال للخوض فيها الآن، فإن عمل «الثورة» الحقيقية لا يقف عند هذا الحد، إذ يلزم تطهير كل بنيات الجمهوريتين الجديدتين من جراثيم الفساد، بالإضافة إلى إعادة النظر في العلاقات الجديدة المحتملة مع الغرب الإمبريالي ومع حليفه المستعمر (المعمر) إسرائيل. أقصد بهذا الأخذ فيها بعين الاعتبار بمصالح الوطن والمواطنين، وليس كما كان عليه الدأب من ذي قبل؛ أي مصالح شرذمة متسلطة لوحدها، ثم العمل، بالتالي، على بناء دول وطنية ديموقراطية شعبية علمانية حرة يسود فيها قانون لا يميز بين أهلها كيفما كانت منابتهم، أعراقهم، ومعتقداتهم، يستعيد فيها المواطن كرامته وحقوقه كاملة، بعدما يكون قد أدى واجباته كلها دونما أي تهاون.

إن ما يعضد استمرار اشتعال شرارة الانتفاضات في الشوارع المشرقية والمغاربية، كما أسلفنا، هو قوة انتشار المعلومة على الشبكة، بعدما كانت رهينة فيما مضى بتزييف الإعلام الرسمي،



والصحافة الحزبية اليمينية المتملقة للأنظمة والدائرة في فلكها.

تسعى هذه الشعوب الرازحة منذ الأبد تحت تصرف الأسياد وأسيادهم أن تكسر، اليوم، الطوق وتنخرط في التغيير الشامل، ومادامت تلك البلدان جميعها مستعمرات غربية قديمة/ دائمة لم يغادرها «الرجل الأبيض المتحضر» تماماً، فإن استيقاظ «الأهالي المتوحشين» من غفوتهم الطويلة يزعجه كثيرا. يخشى الغرب الإمبريالي أن يُدحر سدنته الذين نصّبهم على أرض ما يسمى بـ «العالم الثالث»، ويخسر مصالحه وامتيازاته الجمة فيها ونهائياً. لذلك رأينا كيف كانت ردة فعل فرنسا عقب اندلاع الغضب الشعبي في الشارع التونسي، إذ اقترحت على تونس أن تمدها بأجهزتها القمعية المعروفة عالمياً ببطشها، كي تكسر شوكتها، ما يؤكد تماماً بأن حبل سرة الحمايات القديمة لم يقطع تماما.

إن الدبلوماسيات الغربية تتلون بحسب أطوار اللعبة السياسية وحدّتها، فهي تسعى جاهدة إلى أن تحرص على مصالحها الاقتصادية واللوجستيكية والاستراتيجية في بلد معين، وإذا ما أحست بأن حظوظ تحقيق ذلك ضئيلة، تغير مواقفها، متفقدة لشعارات الديموقراطية وحقوق الإنسان التي لم تكن مرتبة سوى في دولاب مجاور.

من هنا تظهر حقيقة الديموقراطيات الغربية، فهي ليست خالصة بهذا المعنى. لأن ما يحرّم في عرينها يُحلّ في أطراف الأرض الأخرى. أولم تزل بعضها مستعمِرة حتى اليوم؟ ألم تساند كلها دولة استعمار في فلسطين؟ ألم تقف جميعها إلى جنب حكام «العالم الثالث» الذين، إن كانوا يقتسمون صفات كثيرة، فمن طبائعهم الثابتة (تكريماً لعبد الرحمن الكواكبي) الاستبداد.

أردت أن أصل إلى خلاصة أولى: إن العالم ينقسم إلى عالمين: أوروبا، أميركا الشمالية واليابان من جهة، وفي الجهة الأخرى باقي بقاع المعمورة. يقف على رأس الأولى أسود يتباهون بسيادتهم، ويشد على الثانية، باستثناءات يسيرة، بنواجذهم (لو كانت لهم) ذوو نباح يحرسون مصالح أسيادهم، ويمارسون على «رعاياهم» أبشع الجرائم.

ما تزال رؤية الغرب لما يسمى بالشرق غرائبية. عالم متخلف. أناس متوحشون. همج. وما زالت أرض «الشرق» مكان استجمام، أرض أنواع السياحة الجنسية كلها، زبالة القمامة النووية وتجاربها، ومواقع القواعد العسكرية الامبريالية، وغير ذلك.

كل هذا يفسر لنا كيف يعيش الغرب على وقع هذه المفارقات جميعها، فإذا كانت مسألة الهجرة مثلاً في فرنسا، اليمينية منذ زمن، مركزية على مستوى التباري في لعبة الانتخابات ما بين اليمين واليسار الاشتراكي، في تلاعب اليمين، واليمين المتطرف بشكل خاص، بورقتها، وهو يذر الرماد في العيون، وذلك بربط الهجرة والمهاجرين بالعنف والإجرام، وحديثاً بالإرهاب، فإن فرنسا تساند مع ذلك النظام المغربي اللاديموقراطي المتسلط، إذ ترغم الظروف القاسية التي يُذيقها لأبناء الشعب لأن يجتازوا أحياناً، في مجازفات قصوى، الخطوط الحمراء لمعانقة أرض الإفرنج. إن فرنسا تستفيد إذن بشكل مضاعف من هذه الوضعية المزرية لشعوب البحر المتوسط الجنوبي. لذلك لا ترتاح نهائياً إلى حركية التغيير الجارية مراسيمه ببطء فيها.

إذا كنا نصادف في تراث الأنوار الفرنسية أدبيات عنصرية لا تمت بصلة إلى جوهر الفلسفة التي أنتجتها، وكانت قلعة حقوق الإنسان قد خرقت هذه الحقوق عينها ببشاعة في الجزائر والمغرب وفي بلدان أخرى، فإنه قد حان الأوان لأن يعمد المثقفون العضويون (غرامشي) من أبناء الشعب إلى إطلاق صرختم المدوية حالاً.

ما تبقى من الدولة الديموقراطية:

قليل من القهر كثير من الأكاذيب

| د. حسين محمود - القاهرة

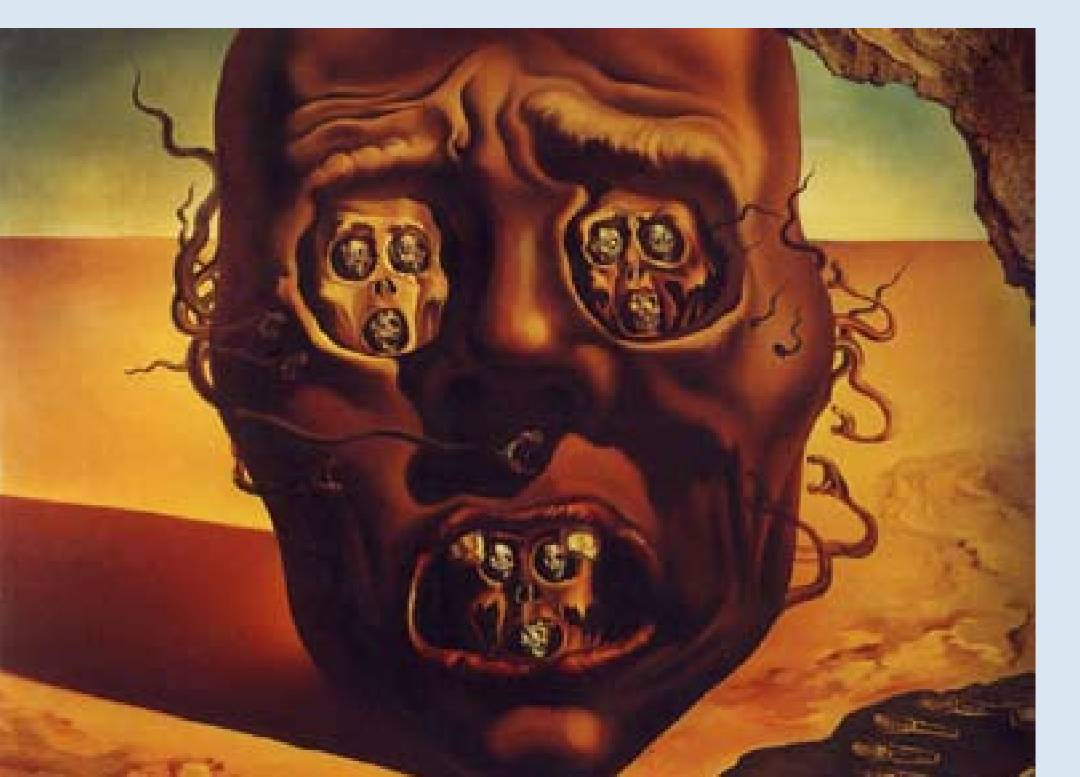
في روايته البديعة «أهل القاع» يقول الكاتب الأميركي جاك لندن إن «الحضارة نمت على الأقل مئة مرة أكثر من قدرة الإنسان على إنتاجها، ولكن سوء إدارتها جعل الناس في هذه الحضارة يعيشون أسوأ من الحيوانات»، كان هذا في أواخر القرن التاسع وبدايات القرن العشرين، فقد نشرت روايته عام 1903، ومن يريد أن يفكر في حضارة الإنسان اليوم، سوف يجد أن التقدم قد تجاوز المئة ضعف بكثير، وأن سوء الحال قد انهار بالإنسان تحت مستوى الحيوانات، وربما اقترب من مستوى الحشرات.

انجلز مفكر آخر، ماركسي طبعاً، يقول كلاماً مهماً عن الدولة ينبغي أخذه في الاعتبار في مراحل التأسيس: «الدولة لا تنشأ مفروضة من الخارج، ولكنها ثمرة تناقضات سياسية داخل المجتمع، وحتى لا تدمر هذه الاتجاهات المتناقضة وهذه المصالح الاقتصادية المتعارضة نفسها وتدمر المجتمع في صراع عقيم، تظهر الحاجة إلى قوة تبدو من الظاهر أقوى من المجتمع، تخفف من الصراع وتبقيه في حدود «النظام»؛ وهذه السلطة التي تصدر عن المجتمع، ولكنها تفرض نفسها فوقه، وتبتعد دائماً عنه، هي «الدولة».

المتاعب التي تعاني منها الأنظمة الديموقراطية، ومنها الإيطالية، التي أخصها بهذا الطرح، تعني أن هذه السلطة التي تعلو على سلطة المجتمع في سبيلها إلى الأفول، بحيث لم يتبق منها سوى بعض القهر وكثير من الأكاذيب. فالدولة في إيطاليا اليوم، طبقاً لرأي المراقبين الإيطاليين أنفسهم، هي تعبير عن الطبقة الأكثر قوة، التي تغيرت علاقاتها الداخلية، فأصبحت تسيطر عليها سيطرة مطلقة ما يسمى بالأرستقراطية المالية، وفي يد هذه الطبقة أداة تهدد بها الدولة دائماً، تتمثل في الدين العام، الذي يسمح لرؤوس الأموال غير المنتجة بالعمل والاستثمار، وتكوين الشركات المساهمة، لتصبح البورصة هي اللاعب الرئيسي في الساحة.

سلطة المال هي التي تستطيع أن تطلب من الدولة أن تدمر رخاء العامة، وأن تمد عمر المعاش، وأن تزيد الضرائب المباشرة وغير المباشرة، وأن تشجع على تسريح العمال، وأن تقهر وتقمع وتجرم المظاهرات الشعبية العامة.

سلطة المال هي التي تطالب الجماهير المحتجة، والتي لم يعد هناك رادع يوقفها عن الاحتجاج، بأن تعود إلى العمل وإلى الإنتاج، وأن المظاهرات والإضرابات تؤدي إلى فشل الاقتصاد والتهديد بإفلاس الدولة. (إفلاس الدولة هو الهدف الذي يسعى إليه المتظاهرون في أوروبا الغربية، وخاصة في اليونان، لأنه الاحتمال الوحيد الذي يعفي الفقراء من الدين العام، الذي تستدينه الدولة لمساعدة الأغنياء،



وتلزم الفقراء بسداده.
سلطة المال هي التي تدفع ساركوزي إلى الاتفاق مع برلسكوني الذي يسمح للمؤسسات البنكية القوية أن تسيطر على مقدرات الشعوب، هناك في أوروبا، وهنا في الشرق الأوسط. سلطة المال هي التي تجعل الدولة تدعم البنوك على حساب الشعب، عن طريق البنوك المركزية، وهو أمر غير مقبول أخلاقياً، وليس من الديموقراطية في شيء أن تكون للبنوك المركزية سلطة تعلو على سلطة الدولة، ولكن الأمر الأهم هو أن مثل هذه السلطة المالية تتعارض مع مفهوم «العدالة الاجتماعية». الطريف في الأمر أن العالم كله ينتظر من أوباما، وهو في أفضل توصيف مندوب لاقتصاديات البنوك وأكبر داعم لها، وأكبر مساند لصناعة السلاح، وهي من الصناعات الكبرى في العالم، وأكثرها ربحية.. فهل ننتظر من أوباما أن يساند الفقراء من الناس؟

ما يحدث في أميركا، وما حدث في بريطانيا، وإسبانيا، يهدد كافة المجتمعات الأوروبية، التي تنتهج منهج الحصار السياسي، ومنها الحالة الإيطالية، التي يرى معظم المفكرين أنها تمر بحالة انحطاط فكري وحضاري، وأن الانحطاط ينتج الضعفاء. الحصار السياسي يعني قمع اتجاه وتنشيط آخر، كما يعني الانحياز لطبقة اجتماعية ضد أخرى، حصار القوي للضعيف، والغني للفقير.

ومن ثم فهناك خطر «أهل القاع» الذين يأتون من الضواحي المهمشة بكل قوة التقدم المعلوماتي ليؤرقوا مضاجع المدن الكبرى. وبهذه المناسبة نلفت إلى أنه إذا لم تنتج الثورات العربية فترة تقدم فإنها لن تنتج الأقوياء، ولن تفرض سلطة الدولة، التي تعبر عن مبادئ دستورية وفوق دستورية، وإنما سوف تعطي «أهل القاع» الفرصة الذهبية لكي تسيطر بمنطقها وأسلحتها على المدن الكبرى، ومنها تدمير الاقتصاد الذي يرون أنه يدمرهم، ويدمرون المجتمع المنحاز للارستقراطية المالية.

النظام الديموقراطي في إيطاليا له مقدمات مختلفة عن النتائج، فبعد قضية شهيرة باسم «الأيادي النظيفة» كان من المأمول أن تسفر عن تجديد شامل في السياسة الإيطالية فإذا بها تسقط النظام القديم وتأتي بدلاً منه بشخصيات مثل برلسكوني وفيني وبوسي وكازيني، ولكل منهم سيرة ذاتية لا تفيد بأن إيطاليا ربحت من عملية «الأيادي النظيفة»، والتي ربما تكون قد قضت على مفهوم «النظافة» وخصوصاً نظافة الأيدي في النظم السياسية المعاصرة.

والحقيقة أن التجديد الذي يحلم به الإيطاليون لتغيير أسس العلاقات داخل المجتمع البورجوازي لم يعد ممكناً، لأن الديموقراطية التي طبقت في إيطاليا ليست هي التي حلم بها جان جاك روسو، بل يذهب البعض إلى أن النظام الفاشي، رغم سقوطه، استطاع أن يفرغ أي إمكانية للتجديد الديموقراطي من مضمونها، وكأن المهزوم هو الذي يستطيع أن يفرض شروطه على المنتصر، وربما كانت هذه هي الحالة التي تجد مصر وتونس نفسيهما عليها الآن، فقط سقطت الأنظمة التي كانت تشبه النظام الفاشي، إلا أنها تفرض الآن شروطها وقوانينها وفكرها، وهي التي تقوم الآن بإلقاء دروس القمع على النظم الجديدة، فهي المهزوم الذي يحاول التأثير على الثورات المنتصرة.

النظام الديموقراطي الذي نشأ عقب الحرب العالمية الثانية في إيطاليا كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالدولة والسوق، ورأس المال، والهياكل الاحتكارية. واعتمد على الشركات الصغيرة، والتي ليس لديها بحكم تكوينها القدرة على الإدارة السياسية للبلاد. اليوم تستطيع الشركات متعددة الجنسيات أن تشتري النواب والشيوخ والتأثير على سياسة البلاد، وعندما تعجز عن إجبار الحكومة على إيقاف حركة الشعب فإنها تورطها في أعمال عسكرية خارجية.

جوفاني سارتوري، هو واحد من أكبر علماء السياسة في إيطاليا، وله شهرة أوروبية وعالمية، يشخص الوضع الإيطالي، بمناسبة الإصلاحات المؤسسية التي اقترحتها حكومة برلسكوني، وهي تعبير عن إصلاحات دستورية في الأساس، ربما تؤسس للجمهورية الثانية في إيطاليا. يقول سارتوري إنه يفضل النظام نصف أو شبه الرئاسي أو نظام يشبه النظامين الألماني والإنجليزي ويعتمد على انتخاب رئيس الحكومة انتخاباً مباشراً. ولكن سارتوري يستدرك هذا الاقتراح مؤكداً على أن النظام في إيطاليا لن يكون هذا أو ذاك، وإنما يعتمد على «العبقرية الإيطالية» التي ترفض كل ما هو نظام، وأن هذه العبقرية تتصور دائماً أن بوسعها أن تصل إلى ما هو أفضل مما وصل إليه الجميع، عبقرية تسرح فيها بعد ذلك فلول الفساد المتخصصة في إشاعة الفوضى والاضطراب. عبقرية – في رأيه – تخترع أعاجيب ليس لها رأس ولا ذيل، أو لها رأس موضوع في مكان الذيل.

ويشير سارتوري إلى عاملين مهمين يتحكمان في النظام السياسي الإيطالي، أولهما العامل B وهو يشير إلى الحرف الأول من اسم برلسكوني، ثم العامل K وهو يشير إلى الشيوعية، وهو الحرف المستخدم لمصطلح الشيوعية باللغة الروسية. وهذا الأخير من اختراع البرتو رونشي عام 1979، لكي يفسر به شذوذ الوضع الإيطالي بين أعوام الخمسينيات وأعوام التسعينيات، بمعنى شذوذ النظام الذي يعاقب الشيوعيين ويمنعهم من الوصول إلى الحكم، ويحجز الحكم، دون تداول، للحزب الديموقراطي المسيحي الذي بدا سداً عالياً لا يمكن تجاوزه. بل ظل هذا العامل يمنع أن يحل الاشتراكيون والاشتراكيون الديموقراطيون محلهم في الحكومة، وكأن العامل K أمتد تأثيره لكي يشمل الاتجاهات الاشتراكية كافة. كان هذا جزءاً من الحرب الباردة، ويعكس أيضاً سيطرة «أسطورية» أميركية على نظم الحكم الأوروبية، وخصوصاً في البلدان التي هزمها الحلفاء في الحرب الثانية.

يرى المفكر الإيطالي أرماندو نيشي أن العالم لا يعيش أزمة سياسية فحسب، بل إنسانية أيضاً، وليس هناك من حل إلا بالقبول المتبادل بين الثقافات وقد وضع أفكاره في بيان ثقافي بعنوان «مانفيستو الثقافة عابرة المسافات» داعياً المفكرين والأدباء إلى الانضمام إليه.

إعادة تربية أوروبا

لإنقاذها من القمامة والأوهام !

| **أرماندو نيشي** - روما

التثقيف العابر للحدود والمسافات يجب أن يقوم بتجريب وترويج ممارسات نقدية لها فعل عابر للمسافات بين المعارف المعاصرة، بهدف إنتاج رؤية كونية جديدة من خلال أشكال من التحرك الإبداعي والصحي: بين البشر، والأجناس، والأجيال، والثقافات، بين البشر وغير البشر، بين الأحياء والكوكب المسكون منا نحن جميعاً والكون، واللذين نتشارك فيهما معاً.

نحن نعتقد، ولسنا وحدنا، أن التعدد الثقافي، والمبادلة الثقافية، مصطلحان يعبران عن مفهومين يجب مراجعتهما مراجعة عميقة في أوروبا الغربية، وفي الاتحاد الأوروبي، حيث لدينا: أوروبا التي تعبر أزمة سياسية واضحة، والاتحاد الأوروبي، وما هو إلا قارب تحت رحمة بحر متوسط يعاني من أزمة معنى.

ونحن نتصور أن الأزمة السياسية الأخيرة التي أعلنتها بضجة شديدة المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل تمثل النتيجة الأخيرة للرؤية العنيدة والمضطربة للمركزية الأوروبية وللسياسة الاتحادية للأوروبيين المتحدين داخل دائرة من النجوم كما يبدو في علم الاتحاد الأوروبي. ولكن، ومن وجهة نظرنا فإن نتيجة عدم تخلص الأوروبيين من الاستعمارية، من داخلهم، مما كانوا عليه وسيظلون عليه: مستعمرين خارج أوروبا وأصحاب بيت داخل أوروبا. هو الطلب نفسه كان قد طلبه في أعوام الخمسينيات من القرن العشرين للأوروبيين مفكران كبيران: أحدهما فرنسي والآخر ناطق بالألمانية، من جزرالانتيل المارتينيك: جان بول سارتر وفرانتز فانون.

لقد فسدت المصطلحات - المفاهيم «التعدد الثقافي والمبادلة الثقافية» بسبب عدم التخلص من الاستعمارية التي لا تزال تعشش في عقولنا رغم أنه مطلب يظل دائماً ملحاً: أولاً، ضد حضارات العالم في العصور الحديثة التي اغتصبناها نحن «غزاة-مستعمرون» ثم أعدنا تكييفها في أوروبا من أجل «استيعاب» الأفارقة والآسيويين، ولا سيما بعد إنهاء الاستعمار غير المكتمل والفاشل للشعوب التي دمرناها، وأيضاً وعلى نحو أساسي كرد فعل على الهجرة الكبرى من «المعذبين في الأرض» في الأقاليم الضيقة التي ازدحمت بساكنيها بالفعل في ذيل شبه جزيرة شبه أوراسيا. إيطاليا على سبيل المثال يبلغ تعدادها الآن 60 مليون نسمة. ومن أجل الأمل في أن نعيش سعداء يجب أن نصبح نصف هذا العدد، مع 20٪ من المهاجرين ينمون معاً.

السعادة بتنظيف كل ما يغطي إيطاليا: من القمامة في الشوارع، من الأسمنت، من الأسبستوس، ومن الفساد ومن أكاذيب الحياة السياسية، من كارثة أن نكون البلد الأوروبي الموحد الأكثر إصابة بمرض الجريمة، والصورة الاجتماعية الوحيدة التي تتطور جنباً إلى جنب مع المجتمع المدني فتجهل شخصيته ثم تقتله. لقد اكتشف الأوروبيون اليوم أنهم عنصريون داخل أوطانهم. هذا النوع من «العنصرية الجديدة للديموقراطية» هو المرادف القوي للفشل السياسي للتعددية الثقافية المتعسفة والمبادلة الثقافية الواهية، والتي يمكن أن نعرفها على أفضل تقدير بأنها: حسنة نية وخيرية.

إننا نعتقد أن أزمة نماذج التكيف الاجتماعي تلك تحملنا على اكتشاف زوال الأطماع الاستعمارية القديمة من الأذهان الأوروبية (سواء في المستعمرات القديمة أو داخل أوروبا) للقوى الإمبريالية السابقة: فهناك الاستيعاب، فرنسا، والاندماج: في المملكة المتحدة وألمانيا، وعلى نحو مضطرب في إيطاليا. من الضروري الاعتراف بأن عقدة العلاقة الكبرى بين ثقافاتنا نحن الأوروبيين وثقافة الوافدين متعددي الهوية القادمين إلينا، هي علاقة مشوهة ومتحيزة. والحقيقة أن المهاجرين لا يأتون إلينا لغزونا أو استعمارنا، وإنما لكي يعيشوا معنا حياة صحيحة وصحية في جماعة لها ثقافة عابرة للمسافات نبنيها معاً، في أوروبا. وعلى العكس، نواصل هذه الرؤية «السطحية» للتطور المشترك، مع أنها تنذر بالخطر. لو واصلنا التفكير فيها تفكيراً جيداً عميقاً لابد وأن نصل إلى إدراك أن المهاجرين وحدهم هم الذين لديهم القدرة على ابتغاء هذه «اليتوتوبيا الصحيحة الملموسة». بل إنهم اليوم هم الذين يحملون الإنسانية الصحيحة على أكتافهم، ويحملون المستقبل.



هنا الاكتشاف بدلاً من أن يؤدي إلى الفزع على الهوية والحنق العنصري، كان لابد أن يؤدي بالأوروبيين إلى تكوين رؤية أوسع للتعايش بين الناس. كما فعلت بعض البلديات الصغيرة في الجنوب الإيطالي، ذلك الجنوب الذي ليس له جنوب، تلك الأرض التي لا زمن لها، لأنه لم يكن لها زمن أبداً. أرض دهمها الفقر، والهجرة، والجريمة.

إن التثقيف العابر للمسافات يساعد على التعرف بوضوح على التاريخ الخاص بكل ثقافة والتهجين مع ثقافات أخرى وتوليد قوالب جديدة «ممتزجة» وغير متوقعة. هذا هو ما علمنا إياه فرناندو أورتيس، واوزوالدو دي اندراد، وأيمى سيزار، وفرانتز فانون، وإدوارد جليسان، ووالتر مينيولو، وروبرتو فيرنانديز ريتامار، وإدواردو جاليانو، وسوبكومانداتي ماركوس، وليوناردو بوف، وكثيرون غيرهم. يشير فكر الثقافة العابرة وممارستها إلى ذلك الذي يحدث في التبادل من الطرفين أو في التحول الذي لا يمكن توقعه، بعيداً عن العنف والتحكم.

وإذ نتابع الفكر في أميركا اللاتينية نريد أن نطرح أنفسنا من أولئك الذين يلبونه من الجانب الأوروبي كلياً وجزئياً. لقد حددنا وفصلنا الفكرة والمشروع، مشروع التثقيف العابر للحواجز والمسافات، في ثلاث حركات، ليست متتالية قدر ما هي متزامنة أو تتطور معاً: التخلص من الاستعمارية، المزج الثقافي، العالمية، وكلها تبادلية فيما بينها. حتى نستطيع أن ينقذ كل منا الآخر، كما كتب الفيلسوف الأبيقوري فيلوديموس دي جادارا.

والخطوة الأولى هي بالتحديد تصفية واستبعاد النواة الحديدية لفكر المركزية الأوروبية في العصر الحديث: فرية أننا نستطيع أن نفعل كل شيء وحدنا، باعتبارنا حاملي نور الحضارة الأعلى. ذلك الشعار الذي طرحه كبلنج في قصيدته عام 1898 «عبء الرجل الأبيض» نضع في مواجهته الشعار الذي طرحه بوحشية اوزفالدو دي اندراد في «مانفيستو آكلة لحوم البشر» لعام 1928: «قبل أن يكتشف البرتغاليون البرازيل كانت البرازيل قد اكتشفت السعادة».

يجب علينا أن نتعلم كيف نربي أنفسنا وننجو معاً، مع المهاجرين ومع جميع ثقافات العالم، والتي بدأنا نحن طريقها إلى الانقراض بحركة «الاكتشافات» التي قمنا بها. وكل هذا لا يعني في واقع الأمر التراجع عن الهوية الأوروبية، أو بالأحرى: الهروب من مسؤوليتنا التاريخية. ولكن يعني أن رغبتنا في اتخاذ القرار في إعادة تعليمنا وتربيتنا، للوصول إلى رؤية الفرصة التي أتاحها لنا القرن الحادي والعشرون والتعرف عليها لخلق عالم جديد في أوروبا أيضاً.

إننا نقصد بممارسة «التعايش بإنسانية صحية» و«التطور المشترك المبدع» أن نبحث في مراجعة واقع الحال ونجرب فيه، وفي تماسك المعارف وسبل التعليم في المدارس والإجراءات الجماعية، والقدرة الإبداعية التي نتقاسمها مع الغير.

«إن لم يكن الآن فمتى؟» هذا هو ما كتبه بريمو ليفي، أحد شهود ضحايا اللاإنسانية الحمقاء لأوروبا.

أرمانو نيشي هو أستاذ الأدب المقارن بجامعة لاسابينسا بروما، وهو عميد مدرسة الأدب المقارن الحديثة في إيطاليا، المتخصصة في نقد المركزية الأوروبية. له كتابات عديدة حول أدب الهجرة في إيطاليا، وكان له فضل تقديم الروائي الجزائري عمارة لخوص، وكتب كثيراً عن الطاهر بن جلون.

لنيشي كتاب «تاريخ مختلف» مترجم إلى العربية، ويرى فيه أن هناك «جنساً» جديداً ولد على سطح الأرض، جنساً تجمعه الأخوة والقدرة على الاختيار.

في فيلم هام وكلاسيكي، قدم أورسون ويلز «المواطن كين» CITIZEN KAEN. ويلز يريد كشف البدايات الأولى لسيطرة الميديا على عقل المواطن الغربي، متخذاً بذلك شخصية «وليام راندولف هيرست» امبراطور الميديا، نموذجاً في الفيلم..

عن المواطنين

مستر سميث..وحنظلة !

رءوف مسعد - امستردام

المواطن الغربي «المستر سميث» كما يطلقون عليه الآن، هو المواطن «الطبيعي» الذي يتنافس السياسيون لإرضائه طمعاً في الحصول على صوته.

إنه النموذج الحي لشريحة واسعة في المجتمع الغربي، تبدأ بالتكنوقراط والبيروقراط، تنتهي عند عمال الياقات البيضاء.. والانتلجنسيا.

نحن نعرف جميعنا من هو «حنظلة» لأننا نحن، هو !

يختلف كل من السيد سميث والمواطن حنظلة عن بعضهما كثيراً.. مع ذلك تنبه فجأة المواطن سميث لأحوال حنظلة - بعد الثورات العربية الأخيرة - وقرر إهداء حنظلة اصطلاحاً جيداً بديلاً لاصطلاح الثورة، فاخترع له مسمى «الربيع العربي»، فالثورة تمثل حالة كابوسية للسيد سميث، حيث إنها لا تقدم له إجابات جاهزة تعود على تلقيها من مبعوثيه و«أصدقائه» في هذه المنطقة من العالم.. بل تقدم له إحساساً بالخطر وعدم الثبات.. لذا فالربيع كفصل سنوي، هو من «ثوابت» الحياة الكونية للسيد سميث، يمثل مرحلة انتقالية وحتمية بين الشتاء الأوروبي الكئيب، والصيف الخانق الرطب.

يأتي الربيع بزهوره ورقصاته ومرحه. آت لا ريب فيه وأيضاً ذاهب لا ريب في ذلك..أي أنه غير دائم.

معروفة بداياته ونهاياته، لكن الثورة؟! من يستطيع التنبؤ بما يعتمل داخلها، ولا حتى أصحابها وموقدو نيرانها. لا أحد يعرف أية بضاعة ستحضر للسيد سميث؟!

حنظلة مغامر - من وجهة نظر سميث، ولعل من وجهة نظره أيضاً - أشعل ثوراته، اقتحم نيرانها وهو يقول «لن أخسر سوى قيودي»..

على العكس من سميث الذي يبدأ منذ يوم عمله الأول، في التحضير لسنوات تقاعده.

بالتالي - وهذا هو أسلوب حياة سميث - سوف يدافع بقوة ضد كل من، وكل ما يهدد هذا الأسلوب.. إنه ضد التلقائية، والمغامرات اللا محسوبة.

وضد الثورات الآن !

لأن الثورة - من ناحية المبدأ - متعارضة مع أسلوب حياته.

لكن ما هو أسلوب حياته ؟

يريد أن يكون المبلغ التقاعدي المتواجد في البنك - والذي يساهم فيه بأكثر من النصف من مدخولاته - يكفي لأن يوفر له متطلباته الأخيرة: أن يقضي بعض الوقت سائحاً في الأرض، ثم بقية أيامه في «بيت للمسنين» مريح.

المستر سميث يقضي ثلاثة أرباع حياته «خادماً» من أجل تحقيق مشروعاته التقاعدية، يعمل بدأب.

ما يدور في العالم الخارجي عن محيطه، لا يهتم به، اهتمامه ينصب على ما إذا كانت الثورات - الحالية - تدمر له خطط عطلاته الشتوية، أو ترفع أسعار البترول، وبالتالي ترتفع أسعار السلع كلها، مما يؤثر على ميزانيته الموزعة بدقة على مستلزمات الحياة اليومية.

هكذا يواجه السيد سميث العالم عبر «التهديدات» التي توحي له بها الميديا بانتظام.

أوهام فوكوياما

لعلها صدفة شيطانية أن «يتنكر» العرب وأميركا والعالم كله - هذه الأيام - جريمة الحادي عشر من سبتمبر - أيلول - 2001 التي «اُتُهِم» فيها الإسلام عبر تنظيم القاعدة.. بعد وقت قليل من وقوع المنبحة التي قام بها شاب نرويجي في النرويج.

«التهديد» القادم من «الآخر» كما يتخيله، القاتل النرويجي، الذي قتل ذات صباح مشمس عشرات الصبية والشباب، في جزيرة جميلة اسمها «الفردوس» ينتمون إلى الحزب الاشتراكي النرويجي.

قتلهم بدم بارد بدعوى أنه يريد تقديم تحذير دموي عما ينتظر النرويج وأوروبا «المسيحية» بشكل عام من الإسلام.. وبالتالي لم يكن صادماً أن نرى صوره في صفحته على الفيسبوك مرتدياً ثياب فرسان الصليبيين وعليها علامة الصليب بارزة.

بالمقابل، كان فرانسيس فوكوياما قد أصدر دراسة في عام 1992 بعنوان The End of History and the Last Man.. نهاية التاريخ، والإنسان الأخير.

كتب معلقاً على انتهاء الحرب الباردة «قد نكون شهودا، ليس فقط على نهاية الحرب الباردة. على هذه



المرحلة المحددة لتاريخ ما بعد الحرب، بل على نهاية للتاريخ ككل»، لمرحلة انتهاء تاريخ الأدلجة البشرية، وكذا انتهاء نظم الحكم الغربية، ليحل محلها الشكل النهائي للديموقراطية الليبرالية، وتختفي «حكومة الإنسان».

كان يظن، أن الديموقراطية الليبرالية سوف تكون البديل «لحكومة بشرية» واعتمد في تحليله - هنا - على انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين العالميين. وهي بالأساس حرب أيديولوجية.

وهكذا ظن أيضاً العديد من المفكرين المثاليين، أن آلاف الملايين من الدولارات، التي تُنفق على ميزانية التسليح، سوف توجه إلى الإنفاق على ما يعود على السيد سميث بالفائدة، من صحة وتعليم وغذاء وسكن، لكننا نعلم جميعاً أن ميزانيات التسليح قد تضاعفت ولم تنقص!

واختفت اليوتوبيا الجماعية لتحل محلها أحلام التقاعد الفردية للسيد سميث!

عبء الرجل الأبيض

هو تعبير نحته الشاعر البريطاني الكولونيالي ريارد كبلنج White Man's Burden كتبرير ديني «مسيحي» واجتماعي، لحروب الغرب الاستيطانية الكولونيالية، في العالم الثالث خاصة الهند وإفريقيا.. أي أن هناك مسؤولية «تاريخية» ملقاة على كاهل الرجل الأبيض، لكي ينهب ويقاتل «الأهالي» في هذه المناطق، حتى يمدنهم ويحضرهم ويهديهم - إن أمكن - إلى أسلوب الحياة الغربية/المسيحية.

وأذكر أن طفولتي وصباي كانتا مشحونتين بكتب مترجمة إلى العربية، وبها رسومات إيضاحية عن رجال بيض يحاربون سوداً عراة واضح توحشهم، بأكلهم لحوم البشر، وخاصة من المبشرين الذين عانوا المشقات لكي يصلون إليهم بالأدوية والثياب!

وبالتأكيد فإن المواطن مستر سميث..آمن ويؤمن بهذه المسؤولية التاريخية، لكنه غير مهتم حالياً بتمدين الأهالي وتحضرهم بقدر ما هو مهتم «بمساعدتهم»، تحملاً لعبئه كرجل أبيض، في إفهامهم التحولات الثورية، في الشرق الأوسط العربي.

قرر سميث مساعدة «موقدي اللهب» في استيعاب ما حدث باختراع مسمى لطيف هو «الربيع العربي» بدلاً من الثورة.

الربيع يرتبط في ذهن السيد سميث بالورد والدفء والأغاني والرقص والتخفف من ثياب الشتاء الثقيلة!

ينزعج السيد سميث وحكوماته من تطورات «الربيع» العربي..وكيف أصبح صيفاً حارقاً متواصلاً وليس ربيعاً مليئاً بزقزقة العصافير.

فبينما يكون الطموح الأساسي للمستر سميث أن يقضي أيامه في دعة وهدوء، حينما يصل إلى سن التقاعد، يكون طموح حنظلة، الذي سيموت بالتأكيد قبل سنوات التقاعد (إن كان له عمل ثابت).. مجرد توفير المتطلبات الأساسية لحياة بشرية - الآن - مختلفة بعض الشيء عن حياة الحيوانات.

آدم سميث والمستر سميث

بالرغم من كل «الادعاءات» الغربية عن التمسك بروح الديموقراطية، التي يقول الغرب إنها أساس «طريقة الحياة الغربية» دعه يعمل..دعه يمر، شعار آدم سميث الاقتصادي، يجد المقيم في الغرب - مثلي - ميلاً سلطوياً متزايداً من القوى الحاكمة لتقليص الديموقراطية بمفهومها الليبرالي ولتزايد دور «الدولة» في الحياة الشخصية للأفراد: إجبار

السكان على عدم التحرك دون «هوياتهم الشخصية» وعمل ملفات كاملة عن المواطن: حالته الصحية، حالته الاجتماعية..وضعه العلمي.. وظائفه وسكنه، بطاقته الضريبة.. ووضعها في شريحة واحدة الكترونية داخل بطاقة الهوية وكذا في جواز السفر!

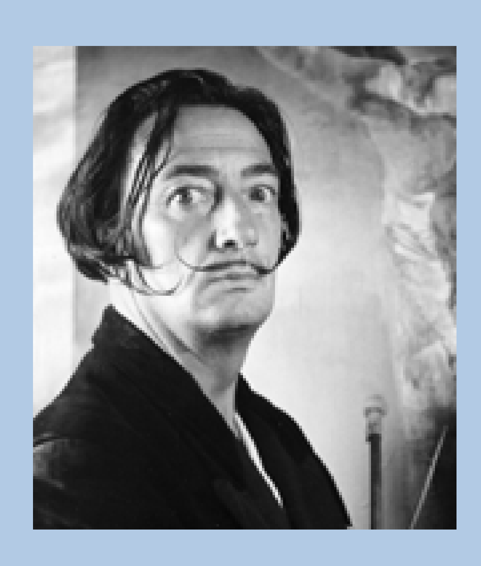
ورغم أن أوروبا رغبت ونجحت إلى حد ما - بعد سقوط الشيوعية - في تأسيس نظام اقتصادي عملاق يضمن لها استقرارا وازدهاراً، بفتح الحدود وحرية السفر بين أكثر من ثلاثين دولة، أي تحقيق بعض من حلم فرانسيس فوكوياما المتعلقة بالحريات..

لكن.. حرية السفر مكفولة فقط للمواطن الغربي، وليست للقادمين من آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية.. بل إن حكومة استراليا اتفقت مع حكومة ماليزيا على «توطين» اللاجئين المرفوضين من أستراليا في مناطق في ماليزيا.. وصفتها منظمات حقوق الإنسان بأنها تشبه معسكرات العزل النازية.

هكذا يبدأ التآكل في الليبرالية، والحق في «وهم» تغيير الإدارات السياسية الحاكمة، بطريقة الانتخاب.. لنجد السيد سميث منزعجاً من حنظلة الذي قرر تغيير الواقع «بالقوة وليس بأصوات الناخبين».

نسي أن «القوة» مختلفة الأنواع، من مظاهرات واعتصامات مصرية، وتونسية سلمية، وقوة شعبية، مسلحة ليبية، هي أيضاً ذات الوسائل التي استخدمها المواطن سميث منذ قرون ليصل إلى ما وصل إليه الآن من أحلام سن التقاعد ومن حقه في استخدام صوته في التغيير السلمي.. ولا يريد أن يعرف أو يعترف أن حنظلة تأخر كثيراً.. كثيراً جداً لقرون طوال !بسببه هو !

لذا فإن شقة الخلاف في رؤية كل من المواطنين سميث وحنظلة، للثورة، ومسمياتها، متسعة وتزداد اتساعاً، بإحساس المواطن سميث بالتهديد القادم من جنوب البحر المتوسط !



سلفادور دالي

جعلوه سرياليًا

سلفادور دالي (1989-1904) ليس مجرد اسم فنان إسباني. صاحب لوحة (العسل أعذب من الدم) يعتبر مؤسس حساسيات وملهم الكثير من الفنانين الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده. بعدما بدأ الرسم والتعلق بالفن في سن جد مبكرة، منطلقا من التأثر بجيل النهضة في أوربا ومعلناً ولعه بأعمال ليوناردو دافنشي، انتقل دالي الى المدرسة السريالية سنوات الثلاثينيات، حيث أبان عن صدمة ما شاهده من بشاعة الحرب الاهلية الاسبانية. الموت والحرب شكلا ثنائيتين في حياة وتجربة الفنان. وخلفت الحرب العالمية الثانية اثرًا عميقًا في نفسيته. فترة عاشها بكل عصبيتها ودفعته للانخراط في نظرة عبثية للحياة ساهمت في حثه على إنتاج كم غزير من اللوحات.

ربما جدد دالي في موضوعات الفن التشكيلي وفي علاقته بالعالم وبالراهن، وأثار من خلال أعماله جدلاً و كثيرا من النقاشات، ولكنه بقي وفيًا، على طول مسيرته، للتقنية الكلاسيكية في الرسم، باستخدام الألوان الزيتية. ومن أشهر لوحات سلفادور دالي نذكر: بورتريه لويس بونال(1924)، لغز اللذة، أمي، أمي، أمي(1929)، فيلة (1948) وغيرها. كذلك كان دالي نحاتًا ومهندسا معماريًا وكاتبًا وشاعرًا. عاشقًا للسينما و للمسرح. فهو يمثل واحدة من التجارب الفنية الأكثر اكتمالا. استطاع أن يفرض منهجا إبداعيا يخصه ويترك بصمة على تجارب إبداعية جاءت بعده.



ستفانو بيني

للتحرير

لدى السياسيين في إيطاليا هوس التدخل في الموضوعات المهمة بسطحية عجول وهراء طنان. يعرفون أن السبق في التعليق يجعل سيرتهم تدور على الألسن ويبدأ الجدل، بينما الحكم المتعقل والجاد لن يثير الاهتمام الإعلامي نفسه.

عندما نفت حكومة البرازيل تسليم المتهم تشيزاري باتسيستي. لم تمض عشر ثوان على إذاعة النبأ، حتى أطلق، جاسباري وهو البرلماني الأسطوري، والفاشي العتيد، المتواجد دوماً على شاشة التليفزيون، تصريحاً يقول: «أقترح عدم إقامة مباراة كرة القدم المقررة بين إيطاليا والبرازيل، حيث إنه لن تتوافر لها أجواء ودية».

في لحظة تم القفز على الدبلوماسية والسياسة لكي ندخل فوراً في أجواء الحرب. ويل للجمع بين القمصان الزرقاء للمنتخب الوطني الإيطالي وقمصان الكاريوكا الكريهة!

خسارة، فعلى هذا المنوال تخاطر إيطاليا بخسارة مباريات كثيرة جداً.

فهي لن تلعب أمام فرنسا لأن ما فعلتموه معها كان أكثر من اللازم. وأجهزة مخابراتكم، طبقاً للصحف الإيطالية، هي التي ساعدت باتيستي على الهرب للبرازيل. ثم تجرأتم على التشكيك في القدرة الجنسية لراقصنا الأسطوري روبرتو بوللي. فضلاً عن المناورات القبيحة لشركة إير فرانس التي وضعت في السانويتشات الذكرية في تموين أغنية شركة اليطاليا مايونيز فاسد.

بل قد تصبح العلاقات مع بلدان أخرى صعبة: العمال الإنكليز والعمال في ويلز واسكتلندا الذين راحوا يحتجون: «أخرجوا العمال الإيطاليين، فنحن لم نعد نريد منافستهم لنا». كان درساً قاسياً. الآن جاء الدور علينا تحمل العنصرية التي نمارسها ضد العمال الأجانب. أما بالنسبة لجاسباري ورابطة الشمال الانفصالية فيكفي عدم لعب مباراة إيطاليا - إنكلترا وإيطاليا ويلز، في كرة القدم والرجبي، وربما في البلياردو.

ثم وداعا أيضاً لمباراة إيطاليا - رومانيا، لأننا أصبحنا نعتبر الرومانيين مسؤولين عن كل جريمة وكارثة قومية، بما في ذلك إفلاس فيات.

ولن تجرى مباريات بين إيطاليا والصين، لأن منتجاتنا سوف تتعرض للضرر من المنتجات الشرقية رخيصة السعر.

لا مباريات بين إيطاليا وروسيا، لأن المليارديرات السوفيات يقومون الآن بشراء مزارع العنب وسوف يحرموننا من أفضل أنواع النبيذ.

لا مباريات بين إيطاليا والولايات المتحدة. في المقام الأول لأن أوباما لا يكن كثيراً من الاحترام لبرلسكوني. وفي المقام الثاني لأن الأميركيين لم يدرجوا فيلم «جومورا» ضمن الأفلام المرشحة للأوسكار. وقد أثار هذا في أوساط صناعة السينما لدينا جوقة من الأنين والتنمر ونظرية المؤامرة، إلى الحد الذي جعلهم يطالبون بمقاطعة السينما الأميركية. كأنها المرة الأولى التي يفضلون فيها الأفلام القبيحة التجارية التي تحبها لجان تحكيم الأوسكار على فيلم إيطالي جميل.

ثم لا مباريات بين إيطاليا وهولندا، لأن الهولنديين في إعلان عن مدرسة لغات صورونا على أننا أجلاف صوتنا عال، متفوقين علينا، ولو لمرة واحدة، في العنصرية السطحية.

ولا مباريات بين إيطاليا والسويد، لأن الوزير برونيتا، الذي يقدم نفسه على أنه عبقرية اقتصادية، اشتكى من أنه لم يحصل على جائزة نوبل حتى الآن.

ولا مباريات بين إيطاليا وإسبانيا، لأن الوزير الإسباني كورباتشو انتقد بشدة السياسة الإيطالية حول الهجرة.

ولا مباريات، طبعاً، مع الفرق العربية. ولا مع فرق إفريقية، لأن دراسة أخيرة أكدت أن إيطاليا في تصنيف تطبيق العدالة جاءت في المركز السبعين، خلف أنجولا والجابون، وقد صدم هذا مشاعر الوزير الفانو.

لا مباريات مع أنجولا، وإلا سوف يهزأون بنا.

ولن يبقى لنا في نهاية الأمر إلا مباريات إيطاليا وسان مارينو، وإيطاليا وجزر الفارويز، وإيطاليا ومالطا.

من المؤكد أنه سوف يكون من المستحسن لو نجح السياسيون في مقاومة سطحيتهم، ويفكرون ولو لحظة قبل أن يقذفوا بمقذوفاتهم لوسائل الإعلام.

لكن المثال الذي جاء من رئيس الحكومة لم يكن أفضل. بعد سلسلة من حالات الاغتصاب، واحتجاج النساء الإيطاليات اللاتي كن يطالبن بمزيد من الأمان، أعلن رئيس الوزراء سيلفيو بابتسامته الخزفية «وهل نستطيع أن نضع شرطياً إلى جانب كل فتاة جميلة».

هذه المرة لم يبتسم حتى خدم منزله، فالنكتة كانت بلهاء. للأسف: لقد انتهى سيلفيو كرجل دولة، وانتهى كساحر الانتعاش الاقتصادي، والآن ها هو ينتهي أيضاً ككوميديان، فلم يعد ينجح في إضحاك أحد.

في خيوا، بلاد القوافل والغزاة على مر التاريخ، وهبت الصحراء نفسها للشمس فكان الجسد منارة الأسطورة واللوغاريتم.

خيوا
صُوَر وكلمات

| خليل النعيمي

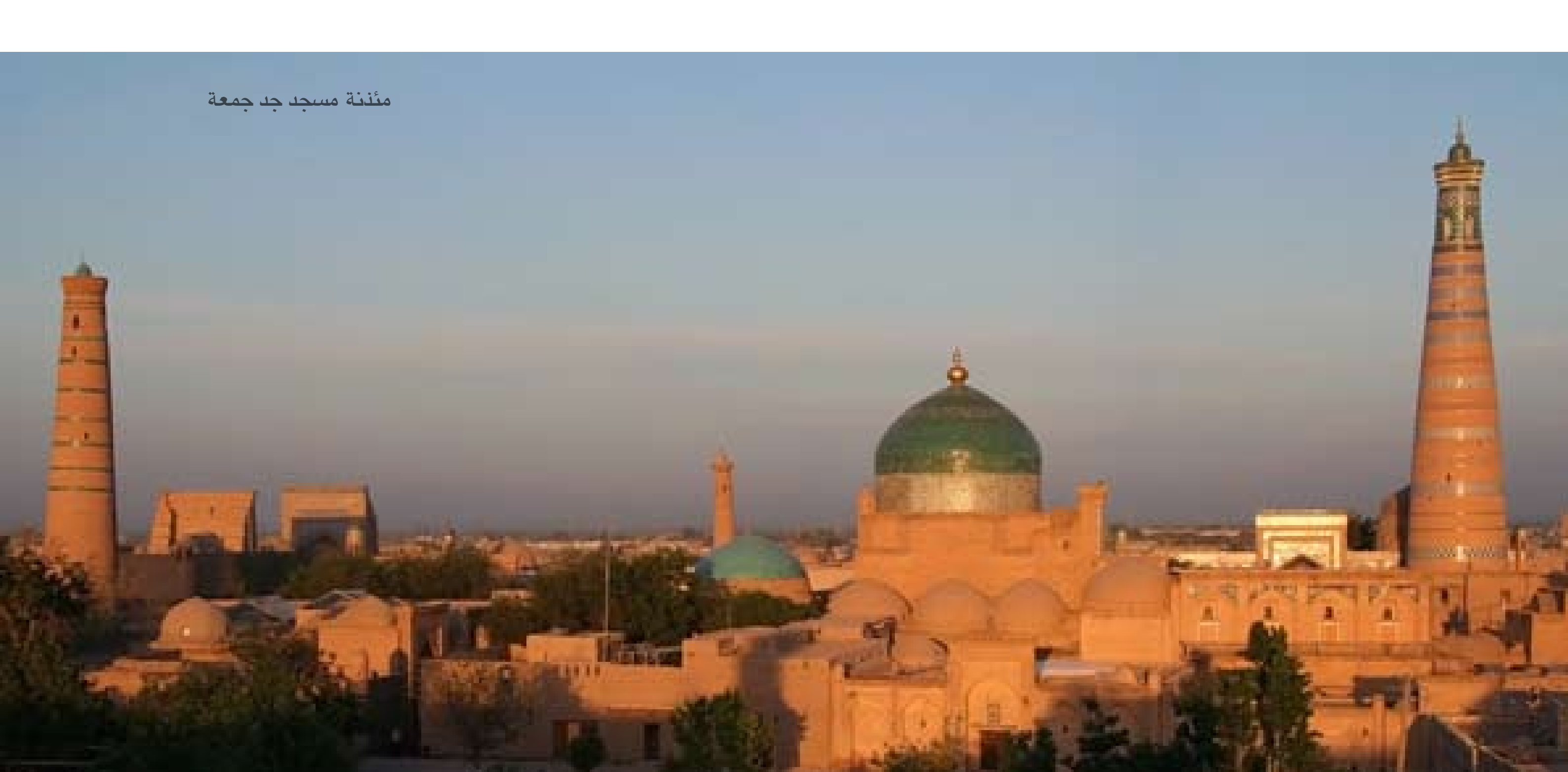
مَـرائـي الكون فـي مُقْلَـة الكائن لا تتجلّى على الـورق، وإنما في حُماضة القلب. وعندما تبدأ تتفاعل في نفسه لا تنتج مشاعر وعواطف، فحسب، وإنما انشطارات. فهي تحمل في أشتاتها المتبعثرة، نثرات من نفوسنا التي تولَّهَتْ بها.

إنها تقبض على الرائي، وتسائله. تفتح أمام عينيه تاريخه الشخصيّ، وتحضُّه على أن يرى اللامرئيّ، دافعة به إلى أقصى نقطة في الوعي. تريدنا أن ندرك أن العالَم بلا ضفاف. وأن طاقة الحب لا تنضب عندما نبتعد عن أمكنتنا الأولى ولكنها تغدو أكثر ثراء. فَمَنْ لا يحب أمكنة العالَم لا يحب مكانه. هنا ما قالتْه لي مدينة «خيوا» التاريخية، الواقعة في سهوب آسيا الوسطى ذات الصلافة التي لا تُحتَمَل.

كانت بئر ماء عذب على دَرْب قوافل «طريق الحرير»، فصارت مدينة أسطورية. ويُقال إن سام بن نوح خَطَّط مداراتها عندما لَمَع البرق في عينيه. واستجاب السراب الناهل لذلك. وقد تحصَّنَت بين صحراوَيْن هما: «كوزيل كومْ» و«كارا كومْ»، ونهرين هما: «سيحون» و«جيحون». النهران اللذان شكّلا، وحدهما، بحراً: «بحر آرال» الذي جفَّفَتْه الشمس.

«أنتَ عبرتها، ونحن عشناها: خيوا»، يقولون لمن يأتي إليها، باحثاً عن أسراها المدفونة في الرمال. «خيوا» مدينة القوافل المتعاقبة على«طريق الحرير». قوافل الكائنات الهائمة في فضاء الكون شرقاً وغرباً. من « كِسِي آنْ» في أقاصي الصين، إلى «فينيسيا»، في جنوب أوروبا، مروراً «بأنطاكية» العريقة. الكائنات المترحِّلة التي تبحث، في تلك الشّساعَّة اللامحدودة عن جوهر وجودها وأسبابه. هنا ترتاح قليلاً، قبل أن تتابع المسير إلى مصيرها المجهول. تتَبَرَّد في مساءات السهوب الصُفْر اللامعة من شدة النُحول (مثل نسائها الفاتنات)، متَنَسّمة عبير الماء الآتي من ضفاف أنهر الجنة.

قوافل تأتي وتعود. لكنها لا تعود كما كانت قبل أن تصل إلى هنا. تعود أُخرى: عَرَكَها الزمن والطريق والكلام. سمعَتْ حكايات. واخترعت غيرها.


مئذنة مسجد جد جمعة



عبور العالم لا يغني عن الإقامة في مكان

تمثال العلامة الخوارزمي

وعاشتْ ما لم تعشْه، من قبل. ورأتْ ما لم تحلم برؤيته. وهي نفسها صارت حكاية: حكاية مدهونة بالحب. وحب القوافل ليس إلا الجنس صافياً ولذيذاً: إخلاصه عابر، وذكراه مقيمة في القلب. إنه الحرمان في قمة تشبُّعه بالمتعة. وقوافل الصحارى المملوءة بالألغاز تتقن ذلك.

صحارى«خيوا» التي تتراءى لي، الآن، مثل سراب طافح في الريح، هي التي ستقيها شرّ الأغبياء والطامعين. لم أكن أتوقع أن الصحارى يمكن أن تُنتِج مثل هذه المدن التاريخية على حدودها. صحارى التتَار الغاضبين باستمرار. أولئك الذين اجتاحوا بلادهم قبل أن يجتاحوا بقية العالَم القديم. يقودهم الطاغية الأعرج، فاتح الدنيا: «تيمور لنك» الذي صار ملكاً للعالَم دو أن يحصل على «اللقب» الذي ظل يحلم به إلى أن مات.

بدأحياته قاطع طريق في «سمرقند». قتل الكثير من البشر، ودمّر العديد من البلدان، ولم يحصل على الـ«خان»: اللقب السحريّ في آسيا الوسطى، آنذاك، والذي لا يمكن شراؤه مهما كانت المبررات والأثمان. فهو لَمْ يُعْطَ لأحد إن لم يكن من السلالة ذاتها: سلالة خانات السهوب الآسيوية التي لاتُهادن.

لكن «خيوا» لم تكن للتدمير. كانت ملجأ للقوافل والغزاة. وكلاهما عامل ثقافيّ كبير. وكان العالم حسّاساً للثقافة، فعاشت «خيوا» طويلاً، وأنجبت «الخوارزمي» العظيم، الذي اشتُقّ «اللوغاريتم» من اسمه، بعد أن «تَلَتَّن». واليوم، نحجُّ إليها زائرين، باحثين في غبار الزمن عمّا ضاع منا.

أعمدة وتزيينات. زخارف وفُسيفساء. العمارة الإسلامية في أبرع تجلّياتها، وأكثر صورها أناقة ورقة، تطلع في وجهكَ أينما سرت في «خيوا». روائع «خيوا» لا مثيل لها.

في زاوية مدرسة «محمد رحيم خان» الأثريّة، في قلب «خيوا» التاريخية، أقعد على القاع. أدع النظر يمر من الفضاء إلى الفضاء. أتابع الضوء الهارب من المسارب والخُتولات. أرى المشربيات وفنون إغرائها. بناء المدرسة هائل المساحة. جدرانه من القرميد الأحمر. له صومعتان جميلتان، وباب عملاق. شجرة واحدة تعلو فوق السورالعالي. في براءة الضوء أجلس ظهراً، وقد سحرتْني المدرسة الأثرية التي ظلّتْ على حالها منذ قرون.

لا بخارى، ولا سمرقند، وإنما «خيوه» (تُكتَب هكذا، أيضاً)، هي التي ستحتويني. «خيوا» لم تتغيّر. حفظَتْها الشمس والصحراء. سكانها مزيج من التتار والمغول والخُراسانيين وأقوام آسيا الوسطى الآخرين. مزاجهم رائق ولطيف، وأجسادهم محشوّة بالفتنة والإغواء. يجعلونكَ تقرأ التاريخ الذي لم تقرأه، من قبل. وتدرك أنْ لا شيء أكثر جمالاً ومتعة من تاريخ لم تُزَيِّفه أيدي الطغاة. فالطغاة «الحقيقيون» هم الذين لا يكتفون بشنْق خصومهم، فقط، وإنما يزيِّفون التاريخ، ويشنقونه أيضاً. فالتاريخ هو الآخر قابل للشنق.

أنتظر غروب الشمس في «خيوا». أريد أن أرى انعكاس الظلال على الكائنات والأشياء. أن أرى المنارة الخضراء غارقة في عتمة الليل. تحت أقدامها أظل قاعداً ورأسي يدور. أتجوّل في أنحاء نفسي التي امتلأت بالغيم. الشمس تُتابع دورانها حولها دون أن تقترب منها. أخيراً، تغدو الظلال مائلة بعد أن كانت عمودية. وأحس برودة العصر البهيج تداعب جسدي. وأنتظر الغروب. آه! ها هي ذي الشمس تختفي خلف المنارة الخضراء العالية. ويصبح الهَبوب أكثر كثافة وبرودة. وتتوضّح الأشياء، وكأنها خرجت للتو من بحر النور. ألوان الوجد الشرقي للمنارة تغدو أكثر نُصوعاً. لكأن الشمس كانت تغرقها بالضوء، فلم نكن نرى منها إلاّ سرابها.

مساحة المنارة مملوءة بالتصاريف والأحوال. على جسدها الأملس الجميل تأخذ الكتابة العربية كل أبعادها، وتتوضّح لنا نواياها. الحروف المرسومة بتوق إلى الكمال الإلهيّ تصير كلمات، والكلمات جملاً، والجُمل آيات. وتأخذ الزينة بعدها الفلسفيّ الغامض الذي يُنزِّهها عن الابتذال. وأحسُّني أطير. أسقط من فوهتها العليا، هابطاً إلى أعماق بطنها المكتنزة بالأساطير. وفجأة، أصير آتنفّس هواء المساء المنعش في «خيوة».

للغروب هنا رائحة الجنة. مساء آخر يمر عليّ، وأنا بعيد عن «دمشق». أنا في أرض أخرى: أرض صرتُ أتمَنّى لو كنتُ من أهلها. وأكاد أسمع صديقي الهنديّ يهمس في أذني، ونحن نجلس في جذع شجرته العملاقة، مكانه الوحيد، فوق الأرض:«عبور العالَم لا يغنيكَ عن الإقامة في مكان». «أنتَ من أين»؟ ولا أعرف كيف أجيب!.

من فلسطين إلى أميركا..

حلم مختلف

| **هبة نجيب** - واشنطن

- Where are you from؟
من أين أنت؟
Form Palestine من فلسطين
Pakistan باكستان؟!
No, Palestine لا، فلسطين
Where؟! أين تقع؟!
عادة ما يجيب الطالب الفلسطيني بسؤال: هل تعرف مصر؟، هل تعرف إسرائيل؟، حسناً.. تقع فلسطين على حدود الدولتين.
دعتني مؤسسة مهتمة بمساعدة الطلاب الفلسطينيين في الالتحاق بالجامعات الأميركية، للانضمام لبرنامج خاص بالطلاب المقبولين لاستكمال دراستهم بالولايات المتحدة، لقضاء أسبوعين في العاصمة الأميركية واشنطن. يمهد البرنامج الطلاب للتعرف على الثقافة الأميركية قبل التحاقهم بجامعاتهم، كما يتيح الفرصة لصناع السياسة الأميركية للالتقاء بطلاب «حولوا الواقع المزري في الأراضي المحتلة لقصص نجاح».
هناك مساحة ما بين الرؤية والسمع، بين المعايشة والمعرفة. نعرف كيف هو الوضع في غزة، ولكن القضية لطول وقتها استنزفت المشاعر، واعتدنا الوضع، كما اعتاده كثير من سكان غزة.
قصص الطلبة عن تفاصيل حياة يومية غارقة في التعقيدات والممنوعات دفعتني لتذكر المثل الشهير: «أن من رأى بلوى الناس هان عليه ما ابتلي به». بعيداً عن جدل ما إذا كانت مصر دولة مدنية أم تنقصها مؤهلات الدولة، لنحمد الله لكونها دولة على أي حال.
ماذا يعني أن تكون بلا دولة، بلا جواز سفر، غير قادر على مغادرة بقعة تحيا عليها دون إذن دولة مجاورة.
لدى سؤالهم عن المشكل الرئيسي، عادة ما تكون إجابة الطلبة الفلسطينيين: ليس لدينا أية حرية.
ليس الوضع صراعاً سياسياً، ليس عن احتلال الأرض، ليس حماس أو فتح،القصة عن شباب يشبهني ويشبه أصدقائي تنقصهم الحرية الممنوحة من الرب لهم.
حكت لي إحداهن كيف استلمت كتبها المفضلة عن طريق تهريبها عبر الأنفاق، الأنفاق الواصلة بين سيناء وقطاع غزة ليست للأسلحة أو للطعام فقط، هي سبيل للكتب أيضاً، للحالمين بمعرفة تتخطى حدود مقر الإقامة الجبري (غزة).
المعرفة حلم يطارده الطلاب الفلسطينيون، إبراهيم تحدث عن رحلته من غزة لأميركا عبر باكستان ثم اليمن، حتى كللت رحلته بالنجاح في الحصول على منحة من كلية أميركية هذا العام.
سكان المخيمات في لبنان، نقطة سوداء في دولة لا أعرف لها صورة غير بيروت، حيث يُمنعون من دخول الجامعات أو العمل خارج المخيم في وظائف تضمها قائمة تشمل 37 وظيفة، كالطب والهندسة والصيدلية، ولكن يمكن للفلسطيني إن أراد العمل خارج المخيم أن يكنس شوارع بيروت.
ريم وريان تصفان عناء الانتظار في مطارات دولية في رحلة المجيء لهنا. كيف تنقضي الساعات وهما رهن الاحتجاز لحملهما وثيقة بدلاً من جواز السفر.
في لقاء الطلاب الفلسطينيين القادمين إلى واشنطن مع الساسة الأميركيين في أروقة الكونغرس، كانت عيونهم تلمع بينما يؤكدون: «أنتم لا تسدون لنا معروفاً بإرسال الطعام والدواء.. نريد حرية».
من المثير للاهتمام ما سمعته منهم عن حل الدولة الواحدة، لا أحد منهم يؤمن بحل الدولتين، لا أحد يأبه بما نثرثر به نحن وساستهم. هم جيل جديد لديه رؤية مختلفة يحاول أن يخرج من مأزق دام ستين عاماً ومرشح للاستمرار، على طريقته.
سألت سامر: ما الاسم المقترح للدولة الجديدة، أجاب لست أهتم، أهتم بدولة يعيش الكل فيها متساوياً، لكل الحرية في إقامة شعائره.
في أحداث غزة الأخيرة، علقت نسرين «إن هنا رد فعل، وعلينا ألا ننسى من أحدث الفعل». في رأيها: إسرائيل

أخطأت وعليهـا أن تبحث عن المجرم بدلاً مـن معاقبة غزة بأكملها.. الرحمة في قلب سـامر ونسرين لا تتوقف عند شهداء فلسطين فحسب، وتمتد لتشمل قتلـى الإسـرائيليين كذلـك. هو جيل تربى على رائحة الموت.. وضاق بها. أتساءل: كيف امتلكوا الشجاعة لإقصاء مشـاعر الثأر والغضب وبدأوا التفكير في حلول قد تبدو لنا خيانة للأرض؟.
سـامر الذي سـيتخرج قريبـاً بدرجة الشـرف ويسـتعد لاسـتكمال دراسته العليا، أجاب عندما سـئل ماذا ستفعل بعد ذلك: سأعود وسأقوم بالتدريس في جامعة النجاح (بنابلس الفلسـطينية).

العزلة وعدم استقرار الوضع سياسياً واقتصادياً لم يمنعا هؤلاء الشباب من العودة لوضع هـم أدرى الناس بعدم آدميته، فقط لأنهم يحلمون بمسـتقبل أفضل، بثورة ووطن.
من المؤسف أن يكون ما اعتدنا سماعه عن فلسـطين وإسـرائيل واليهود في أغلبه كليشيهات تناقلها «العروبيون» والإسلاميون، وتكاسلنا، أو تكاسلت أنا، عن أن أعرف دون معونة أحد.
اللوبـي اليهودي فـي أميـركا عميق ومؤثر ويملك الإعلام.. إلخ.
من يدعم إسـرائيل في أميـركا بتأثير ليس اليهـود، بل المسـيحيون الذين يؤمنون أن المسـيح سـيظهر هناك، ويساندون إسرائيل من منطقهم الديني لا من المنطق اليهودي.
كثيـر ممـن يدعمـون إسـرائيل هنا لا ينظرون/يعرفـون أو يعترفـون بالماضي، الحاضر هو الحاضر، دولة وحيدة محاطة بمجموعة عربية تترقب الفرصة المنتظرة لمحوها.
الحاضـر.. كفى بكاء علـى الأطلال، هنا ما يراه الجيل الناشـئ في غزة، وكان علـيّ ألا أسـتمع بغضـب، الأرض أرضهم ولهم الحق في تقرير المصير حتى ولو خالف ذلك المصير توجهاتنا ورغباتنا الرومانسية حول استعادة الأرض.
سـامر، مواليـد 1990، رغـم عـدم إيمانـه بحـل الدولتين، يشـارك بجهـد كبير في كسـب أصوات مؤيدة لحصول فلسطين على مقعد في الأمم المتحدة، في رأيـه: إنها فرصة جيـدة للحديث عن فلسطين، عن خلق وعي بحالة اللاحرية المتواجدة هناك.


العمل الفني: نهاد العزاوي - العراق

هبة نجيـب – طالبة بالسـنة الجامعية الأولى- وحاصلة على منحة لدراسـة العلوم الإنسـانية بولاية نيويورك الأميركية.



أمجد ناصر

الصلابة الهشّة

ركزت الكتابات التي تناولت سيرة إدوارد سعيد المعنونة بـ «خارج المكان» بحسب ترجمة فواز طرابلسي لـ Out of Place على المنفى بوصفه الحاضنة التي شكلت حياته وطبعتها، على نحو حاسم، بطابعها. وهذا الاهتمام بسيرته منفياً، وفلسطينياً، على نحو خاص، صحيح تماماً، فهو ولد في القدس ونشأ بين مصر ولبنان وأقام، منذ التحاقه بالجامعة وحتى وفاته، في أميركا. هذا التوزع بين الأمكنة نموذج مثالي لغياب المكان الأصل، وتساوي الأمكنة، بعد ذلك، بعضها ببعض.

النفي في حالة الفلسطيني مضاعف، فهو يعني مشقة العيش المتقلقل في المكان الغريب واستحالة العودة إلى المكان الأول. لهذا السبب المركّب استقطبت سيرة إدوارد سعيد الاهتمام أجنبياً وعربياً، وتحولت أداة للسجال في موضوعات تؤرق كثيرين في هذه اللحظة العالمية الراهنة، كالاقتلاع والمنفى والهوية. لكنّ العيش خارج المكان الأول ليس كل ما عناه إدوارد سعيد في عنوان كتابه الذي يحمل البصمة الكاملة لتعقّد أفكار الراحل الكبير وسجالاته الذكية، الحادة، والنزقة، فهناك معنى داخلي، يضمره الكتاب حيناً ويعلنه حيناً آخر. ففي آخر فقرات الكتاب يشير سعيد، صراحة، إلى ذلك قائلاً: الواقع أني تعلمت، وحياتي مليئة إلى هذا الحد بتنافر الأصوات، أن أؤثر ألا أكون سوياً تماماً وأن أظل في غير مكاني. ولكنه قبل ذلك ينبهنا ألا نسجنه في فكرة الشخص الصلب، المتماسك، كأنه كتلة مصمتة، لا فراغ ولا تشقق فيها، قائلاً: بين الحين والآخر أرى إلى نفسي كتلة من التيارات المتدفقة، أؤثر هذه الفكرة عن نفسي على فكرة الذات الصلدة، وهي الهوية التي يعلق عليها الكثيرون أهمية كبيرة!

لا يباغتنا إدوارد سعيد بهذا الاعتراف. فمن قرأ الكتاب لا تشكل هذه الكلمات مفاجأة أو صدمة له، فهو لا يكفّ عن تحليل، بل وتشريح، شخصيته طوال الكتاب حتى يكاد لا يترك نقطة معتمة في ذاته لا يسلط عليها ضوء الكشف المزعج أحياناً. إن مبضع التشريح القاسي لا يطال الآخرين، فقط، في هذا الكتاب، بل إنه، لا يوفر أقرب الناس إليه: عائلته المباشرة والممتدة، وقبل ذلك وبعده، نفسه.

فهو يحيل غياب فلسطين، كبيت ووطن، في حياة عائلته وفي عزّ تفجرها كقضية وطنية، إلى والديه، فنادراً ما وردت فلسطين، حنيناً شخصياً أو موقفاً سياسياً، على لسان والديه. الغريب في الأمر أن والده أخبره الكثير عن أميركا (التي التحق بجيشها مجنداً ونال، بالتالي، جنسيتها) طفلاً، ولكن بالكاد سمع منه شيئاً عن فلسطين، وبالكاد نظر والده إلى نفسه بوصفه فلسطينياً، بالعكس فوالده كان، دائماً، يذكّره أنه أميركي، رغم أن ابنه إدوارد لم يطأ، حتى تلك اللحظة، أرض أميركا!

ولكن ماذا يعني إدوارد سعيد المفكر السجالي، حاضر البديهة، سليط اللسان، عندما يقول إن التيارات التي تتدفق في داخله هي «نوع من النشاز» أو في غير مكانها؟ هل يعني بذلك الذوات العديدة التي سكنته: الناقد، المفكر، الأستاذ الجامعي، الموسيقي، المنهجي، البوهيمي المقموع، الابن الوحيد لعائلة ثرية؟ أم يقصد الفلسطيني المحتجب الذي أقام في مصر ولم يكن مصرياً، وفي لبنان ولم يصبح لبنانياً، والذي يتحول إلى أيقونة فكرية عربية وعالمثالثية ولم يكن، تماماً، من هذين المكانين، وأخيراً الذي يحظى باعتراف فكري ونقدي وأكاديمي في أميركا، ولكنه لا يشعر، في العمق، أنه أميركي؟ يخيل إليّ أنه يقصد هذه الانشطارات كلها، وهذه الذوات المتعددة، المتضاربة أحياناً، بل التي يحرص على بقاء تضاربها محتدماً في داخله.

يبدو لنا إدوارد سعيد، بسبب تماسك خطابه وصرامة شخصيته الفكرية والسياسية، ذاتاً صلدة، متماسكة، لا سبيل إلى الفراغات والتشققات فيها، والحال، أنه، هو نفسه، يعترف بضلال هذه الفكرة، وأن الأقوى فيه كان نزعة التشكيك. إن هذه «التيارات المتدفقة» في داخله، هذه التصدعات، والانتماءات المتعددة التي قد يتحرك أحدها أحياناً، على نحو طباقي ضد الآخر، بحسب تعبيره، لا تستدعي التصالح، بل إنها، كما يظن هو نفسه، قد جعلت ذاته في حراك دائم في الزمان وفي المكان.

هذه الصورة الجوانية لإدوارد سعيد ما كان لها أن تظهر لولا تلك الفصول من سيرته. هذه الصورة الجوانية هي، حسب ظني، ما يتطلع إليه المرء وهو يقرأ كتاباً في السيرة الذاتية. فما السيرة الذاتية الصادقة، المؤثرة، إن لم تكن كشفاً لما لا نعرف. إن لم تكن مطالعة في النقد الذاتي والمراجعة الفكرية. إن لم نقع فيها على أمارات الضعف الإنساني، ونرى النقط المعتمة، المجهولة في أعماق كاتبها. هذا، في الواقع، ما فعله إدوارد سعيد بقدر كبير من البصيرة والشجاعة. فتحية له في ذكرى غيابه - حضوره المتجددة.

كمال الصليبي وخيري شلبي

معاندة التاريخ!

غيّب الموت الشهر الماضي اثنين من رموز الثقافة العربية: كمال الصليبي وخيري شلبي.

الأول مفكر وباحث في التاريخ الحضاري، استطاع أن يحرك المياه الراكدة بعدد من الكتب تجاوز أصابع اليدين بقليل. والثاني روائي وحكاء عاش من أجل نزوة القص المباركة، وأعطى نحو خمسين كتابًا في الرواية والقصة وفن البورتريه.

عاشا نمطين من الحياة في مكانين مختلفين (بيروت والقاهرة) وتبدو اهتماماتهما ونتاجاتهما متباعدة، لكن أحدهما كان أقرب للآخر مما يظنان أو يظن القارئ الشغوف بأحدهما؛ فهما لم يفعلا طوال حياتيهما سوى معاندة التاريخ ومحاولة نقض الرواية الرسمية.

كمال الصليبي عاند المستقر من التاريخ الرسمي، لا التاريخ السياسي فقط بل تاريخ الأديان، في كتب أثارت ولم تزل تثير الجدل الكبير، مثل «التوراة جاءت من جزيرة العرب».

وخيري شلبي الذي نذر نفسه لكتابة تاريخ من لا تاريخ لهم من الحرافيش والمهمشين استطاع - مثله مثل نجيب محفوظ - أن يحفر في رواياته شخصيات مثل فاطمة تعلبة وصالح هيصة تنزل من الرواية إلى الواقع رأساً لرأس مع الست أمينة وسي السيد في ثلاثية محفوظ.

كمال الصليبي

انقلاب الأفكار

| صقر أبو فخر - بيروت

في النصف الثاني من القرن العشرين قُيض لخمسة من أعلام الثقافة العربية المعاصرة في بلاد الشام أن يهزوا، بقوة، الفكر العربي الراكد، وأن يضربوا، بالسوط، العقلية الخرافية الغافية حتى الغفلة، وهؤلاء أربعة سوريين ولبناني. أما السوريون فهم: قسطنطين زريق ونزار قباني وأدونيس وصادق جلال العظم، وهؤلاء عاشوا سحابة من الزمن في لبنان، أما اللبناني فهو كمال الصليبي.

بين هؤلاء جميعاً يبدو كمال الصليبي أخطرهم بالفعل. فهو الذي قوض، بجدارة، المسلمات الموروثة منذ ألفي عام على الأقل، ومس المحرمات المقدسة في شأن العهد القديم والعهد الجديد معاً، وتمكن، بثقة العالم، ولا سيما في كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، من أن يدير أدمغتنا ويبلبل معارفنا المستقرة.

صاغ كمال الصليبي نظرية لم يتجرأ أحد حتى الآن، على الرد عليها بالحجة الدامغة والرأي العلمي والدليل المقنع. لذلك استحق أن تقوم عليه قيامة العالم القديم كله، بكهنته وشياطينه، وأن تطاوله الأشداق بألسنتها، والآراء بسهامها ونبالها معاً.

عائلة الصليبي أصلها من قرية عين حليا الواقعة بالقرب من بلدة سرغايا في سورية اليوم. وهذه القرية القريبة من لبنان غريبة عجيبة، وقلما يوجد لها مثيل في تاريخ لبنان غير بلدة إزرع في حوران. فمن إزرع وجوارها جاءت معظم عائلات مرجعيون وزحلة والأشرفية في بيروت أمثال عائلات عقل (ومنها سعيد عقل) وزيدان (ومنها جرجي زيدان) وصفير (ومنها الكاردينال صفير) ونعيمة (ومنها ميخائيل نعيمة) والمعلوف (ومنها المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف والشعراء فوزي ورياض وشفيق المعلوف) وغلمية (ومنها الموسيقار وليد غلمية) وغيرها كثير جداً. ومن عين حليا، التي تنازع أهلها وتقاتلوا ثم رحلوا عنها، جاءت إلى لبنان عائلات كثيرة جداً. ومن أعلام «العناحلة» في لبنان فرج الله الحلو والبطريرك يوحنا الحلو والقديس شربل مخلوف والبطريرك الياس الحويك (مؤسس الكيان اللبناني) وأحمد فارس الشدياق والرئيس شارل حلو والشاعر المتفرد شوقي أبي شقرا. وكمال الصليبي واحد من الأحفاد الذين سكن أجدادهم بلدة بحمدون بالأمس، وتنقلوا بين الخليل والسلط ودمشق. وعلى غرارهم عاش والده بين مصر

والسودان ونال الجنسية المصرية لخدماته، بينما اختار هو أن يقيم في عمان بعد أن اضطر إلى مغادرة بيروت مرغماً.

ولد كمال الصليبي في بيروت في 1939/5/3، ونشأ في بحمدون، ودرس التاريخ والعلوم السياسية في الجامعة الأميركية، وتعلم اللغات السامية على الأستاذ أنيس فريحة، ثم التحق بجامعة لندن، ودرس التاريخ الأوروبي على برنارد لويس، مع أن علاماته في مادة التاريخ كانت أدنى العلامات بين المواد الدراسية في المرحلة الثانوية.

وضع كمال الصليبي، بالعربية والإنكليزية، نحو عشرين كتاباً، لكن ثلاثة من بينها أثارت زوابع من السجال هي:

1- «منطلق تاريخ لبنان» (1979)، الذي تخطى فيه ما ورد في كتابه «تاريخ لبنان الحديث»، وخالف الحكاية التقليدية المتهافتة عن تاريخ لبنان الممتد ستة آلاف سنة إلى الخلف.

2- «التوراة جاءت من جزيرة العرب» (1985)، الذي نقض فيه الرواية الشائعة عن تاريخ اليهود في فلسطين.

3- «البحث عن يسوع» (1999)، الذي خلخل القصة الراسخة عن ولادة المسيح في بيت لحم وظهوره في الناصرة ثم في القدس. وتوصل إلى أن ثلاثة أشخاص كانوا يكنون بـ«المسيح»: عيسى ابن مريم، ويسوع المتحدر من آل داود المطالب بعرش جده؛ وهذا ولد في وادي جليل في منطقة الطائف وصلب في القدس، وإله العيس في الحجاز، أي إله الخصوبة (كلمة «العيس» تعني بالعربية القديمة «ماء الفحل»). وأكد أن مريم هي خالة المسيح وليس ذلك اسم أمه. وعن الطبري ينقل أن قبر عيسى ابن مريم كان موجوداً حتى القرنين الأولين من ظهور الإسلام على رأس جبل جمناء جنوب يثرب.

كانت خياراته العلمية عجيبة: فمنذ البداية كان لديه ميل إلى البيولوجيا، ثم راح يهتم بالرياضيات وعلم الفلك، علاوة على الآداب الأوروبية. لكنه في المرحلة الثانوية شغف بالعلوم الطبيعية وقرأ كتب الطب. وكان قبل ذلك درس الموسيقى في المعهد الموسيقي الوطني على الموسيقار وديع صبرا، ثم تابع دروسه في الأكاديمية اللبنانية على ألكسي بطرس، وتعلم العزف وإن لم يتقنه. ومع ذلك تخصص بالعلوم السياسية، وقادته السياسة إلى التاريخ الذي تعلق به بتأثير من نبيه أمين فارس وقسطنطين زريق وأنيس فريحة وزين نور الدين زين.

كمال الصليبي المؤرخ اللبناني المتحدر من عائلة ذات أصول سورية، والذي عاش أجداده الأقربون في فلسطين والأردن، وتنقل والده بين مصر والسودان، وتتلمذ على نبيه أمين فارس الفلسطيني، وقسطنطين زريق السوري، وزين نور الدين زين الفلسطيني ذي الأصول الإيرانية، وكان أصدقاؤه الأكثر قرباً إلى نفسه عرباً من العراق والشام وفلسطين والبحرين أمثال يوسف إيبش (الدمشقي) ورامز شحادة (الازرعي الأصل) وأسامة الخالدي (المقدسي) ويوسف الشيراوي (البحريني)، كان من المتوقع أن يكون عروبي الهوية، وعضواً في جمعية العروة الوثقى في الجامعة الأميركية مثلاً، ومع ذلك انتمى إلى «رابطة الطلاب اللبنانية» التي كانت متآلفة مع أفكار القومية اللبنانية، لكنه لم يستمر طويلاً في هذه الرابطة، وسرعان ما غادرها حينما اتضحت له خفايا مسلكها السياسي. وكمال الصليبي، في أربعينيات القرن العشرين، ما كان ليكتشف أي فوارق بين السوريين واللبنانيين في ذلك الزمن. فهو يقول «لا أذكر أننا كنا في أي وقت سابق نفرق بين لبنانيين وسوريين، فقد ذهبت في إحدى المرات إلى دمشق رفقة أهلي لزيارة أقرباء لنا هناك، فلم نقطع شيئاً في طريقنا يمكن تسميته بالحدود، ولا نحن مررنا بجمارك، جل ما حصل أن ضابطاً على الطريق أوقف سيارتنا للحظة»، وسأل السائق: «الإخوان من لبنان؟»، وعندما سمع الجواب ابتسم لنا وقال: «أهلين وسهلين». الطريف أن صديقه مكرم عطية، وهو صديق ليوسف الشيراوي (الوزير البحريني في ما بعد)، كان لا ينفك محدثاً إياه، في كل يوم تقريباً عن لبنان كبلد إشعاع، ثم يقع اشتباك بين مهربي حشيشة الكيف في وادي زحلة يسقط فيه القتلى والجرحى، فيبادر يوسف الشيراوي صديقه مكرم عطية ساخراً: «ترى مكرم، صار اليوم إشعاع في وادي زحلة».

عندما التقى كمال الصليبي أحمد سامح الخالدي، وهو المؤرخ والمربي الفلسطيني المعروف بادره الخالدي بالقول: «عندما يأتي اليوم الذي تكتب فيه التاريخ لا تكتب كما يفعل المؤرخون اللبنانيون عادة. قُل مثلاً إن فخر الدين كان عاصياً على الدولة العثمانية ونال عقابه. ولا تقل إنه كان بطلاً يقاوم الظلم العثماني ليجعل من لبنان دولة مستقلة، وهو الذي ربما كان لم يلفظ كلمة لبنان مرة واحدة في حياته».

كمال الصليبي مؤرخ قليل الكلام، لكنه مثير للزوابع حقاً. ولعله أراد، عندما التقط من تراث الأدب الإنكليزي عبارة «طائر على سنديانة»، وجعلها عنواناً لمذكراته، أن يبوح بفضيلة نادرة وهي الصمت البليغ. أما أصل العبارة فهو: «طائر حكيم مسن حط على سنديانة. كلما رأى أكثر تكلم أقل، كلما تكلم أقل سمع أكثر».

من طرائف أيامه أنه تعرض لتهديد إحدى المجموعات الأرمنية القومية لأنه كان يدرس التاريخ العثماني في الجامعة الأميركية. لكنه لم يلتفت لهذه المراهقة السياسية، وبقي مثل سنديانة وعريه باسقة، ناعمة سطوح أوراقها، جارحة أطرافها. وهذه هي بالتحديد مهمة المؤرخ الصارم والمفكر النقدي والناقد الثاقب والمبدع الألمعي. وهذه الصفات قلما اجتمعت لأحد مثلما اجتمعت في كمال الصليبي.

في الساعة التي أمضيناها معه، كنا متوجسين من أننا نستغل لطفه على حساب صحته. كمال الصليبي الذي لم نحتج لنجعله يستضيفنا في بيته في الحمرا إلا إلى اتصال هاتفي واحد، بدا أميل إلى أن يكون مرهقاً، ثقيل الهمة قليلاً، يتكلم بتمهل.

في آخر حوار قبل موته:

أخفيت هويتي الدينية حتى لا يتلاعبون بجثتي

| حوار: **جهاد بزي وحسن الحاف**

خفنا أن نتعبه، ومع ذلك، كان علينا أن نسأله كثيراً، ونحن نعلم أن هذه فرصة قد لا تسنح ثانية، لا لشيء، إلا لأننا لن نجرؤ على الإثقال على المؤرخ والباحث الكبير ثانية. وأخذتنا حماستنا إلى السؤال تلو الآخر، والصليبي، بوجهه النضر الذي لا يشي قط بعمره، يجيب، مقتصداً ما أمكن، ذاهباً، بحرفة الأكاديمي، إلى خلاصات الكلام، وذاهباً، حيث أمكن، إلى تهكم ذكي، لا يكمن إلا ندرة مقاربته بكل هذه الأناقة.

مر وقتنا سريعاً، مع الرجل الودود، لكنه كان غنياً. كانت حجتنا للقائه السؤال عن النظام السياسي الطائفي في لبنان، عن أسبابه وعن إمكان إسقاطه، الذي ظن لبنانيون أنه لم يعد مستحيلاً، وبلاد العرب تموج من حولهم بالأنظمة التي تسقط.

كعادته، لم يكرر بديهية، ولم يفرض فكرة.. الباحث الذي فيه أبقى على هامش الخطأ، والمتواضع الذي فيه أبقى على هامش التهذيب الجميل لمن لا يدعي كل معرفة.

أما الانطباع الذي لا يرقى إليه أي انطباع آخر عن هذا الاسم الكبير فهو تفاؤله.

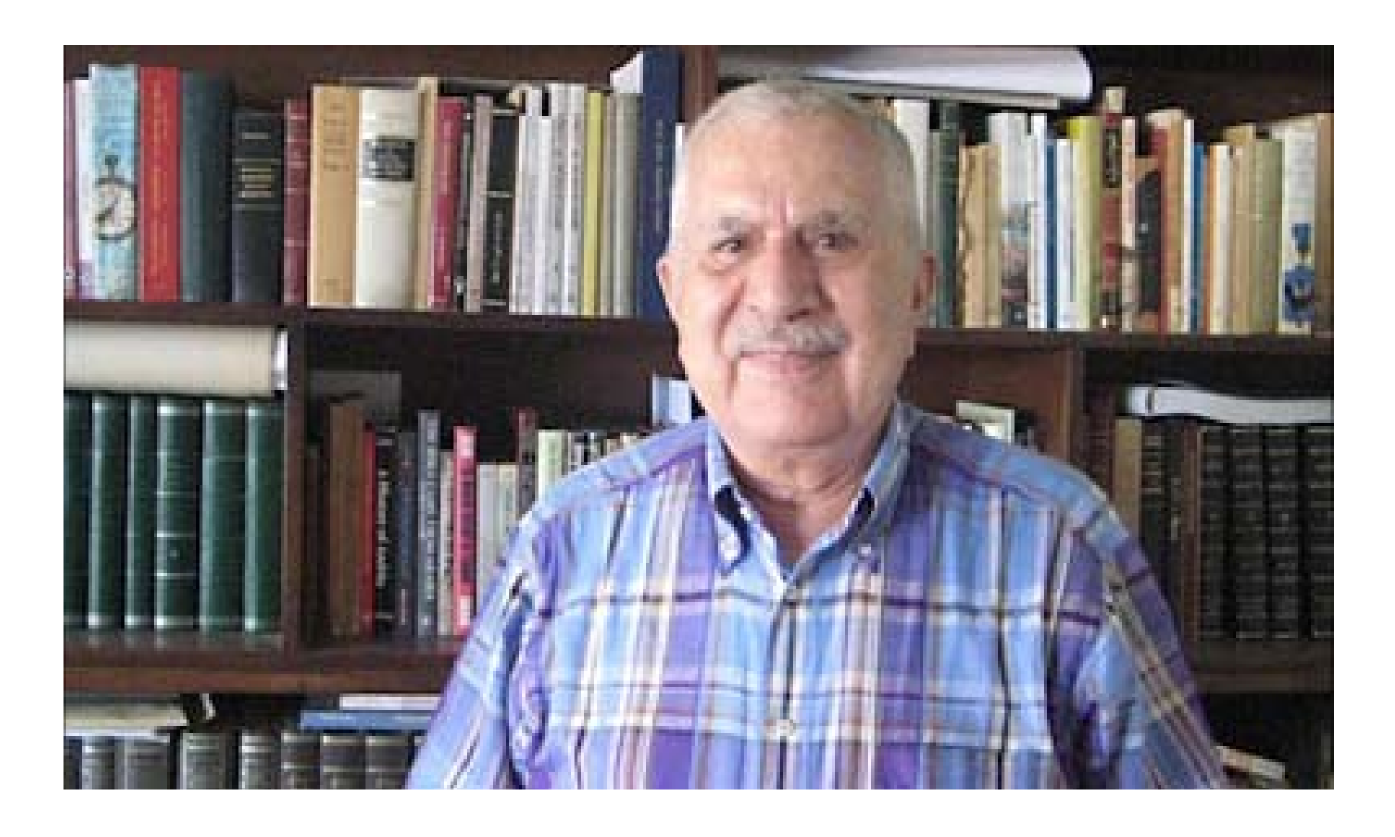
الآن، ونحن نستمع إلى صوته العميق، بعد أشهر على وفاته، ننتبه إلى التفاؤل الذي لقّنا به حينها. ابن الثانية والثمانين كان متفائلاً بأبناء بلده، وبالجيل الشاب منهم على وجه الخصوص. قال إن اللبنانيين لا يبغضون بعضهم البعض بقدر ما يظنون. وقال إن استقرارهم الحالي دفعوا ثمنه حرباً أهلية. وكان ليقول أكثر، في هذا الحوار غير المنشور، لولا أننا شعرنا بأننا أكثرنا عليه، ففضلنا أن نطلب منه، في الدقائق الأخيرة معه، أن يوقع لنا على نسخات من كتبه حملناها معنا.

وبكل طيب خاطر، وبابتسامة جميلة على الوجه النضر، راح كمال الصليبي يكتب بصبر، كلمات رقيقة بحروف ترتجف.

كيف تعرّف النظام الطائفي؟ وإلى أي حدّ شكل هذا النظام حلاً لمشكلة الأقليات في لبنان؟

- النظام الطائفي محاولة حل مشكلة. الطائفية بنظري مرض نفسي. المسألتان مختلفتان إذن. فإذا كان الإنسان طائفياً، فهو كذلك بينه وبين ربّه، ولا شك أنه يعاني نقصاً كبيراً في بهجة الحياة بسبب ذلك. وإذا كان الإنسان متمسكاً لمدة معينة أو لأجل غير مسمى بنظام طائفي، فهذا يعني أن عليه إيجاد طريقة كي لا تتسبب الطائفية المقيمة فيه، وفي غيره، بمشكلة.

استطاع النظام الطائفي أن يلعب دوراً كبيراً في حل مشكلة الأقليات في لبنان، وفي أحيان كثيرة بدا كأنه الحل الوحيد. أما استغلال هذا النظام من قبل سياسيين فهو أمر ممكن وسيئ في آن. فالسياسي بالتعريف شخص يريد الوصول إلى مركز كي يستغله. وعندما يستغل السياسي النظام



الطائفي يستغله كما يستغل أي شيء، كمـا يسـتغل الانتخابـات وأية قضية أخرى.

ما هي المشـكلة التي وضع النظام الطائفي لحلّها؟ وهل ما زال النظــام الطائفي ناجعـاً في طمأنة الأقليات؟

- اليوم، أستطيع القول إن المشكلة التي يخلقها النظــام الطائفي أكبر من المشكلة التي يحلّها، لكني غير متأكّد من هــذا. النظام الطائفي وضع في الأصل من أجل المشاركة في السلطة، وآنذاك كان هذا الحــل الأفضل. وهو كان فكرة فرنسا، لأن بعض المسيحيين المحليين لم يعجبهــم النظام لأنه يحجّمهم، فيما أحلامهــم كانــت تذهب أبعــد من ذلك. الفرنسيون فكروا بأن هذه هي الطريقة الجيدة لحل الأمــور. وأنا أعتقد أن كل لعبة الاســتقلال أو بالأحــرى تمثيلية الاســتقلال هي صنيعة فرنسية أرادوا من خلالهــا أن يوحوا بــأن اللبنانيين اتفقــوا مــع بعضهــم البعــض عندما تعرضوا لضغط خارجي. وهذا الشكل من التسـويات حصل في التاريخ بهذا الشـكل أكثر من مرة. إلــى ماذا نحتاج كــي نهمس فــي أذن شــخص أن أعلن الاســتقلال شــرط أن توافق على هذا النظــام. ثم جمــع الفرنســيون أركان الاستقلال ووضعوهم في قلعة راشيا. وبعض الناس حبكوا قصة التظاهرات في بيــروت. أنــا كنت صغيــراً وقتها لكــن أذكر أن إخوتي الأكبر مني ســناً تحمّسوا لها واشتركوا فيها. هذه اللعبة جعلت الناس تعتقد أنها توحدت لفترة كافية من الزمن بما يعطي انطباعاً بأن مشــاكل البلد قد حلّت. أذكر هذا الشيء جيداً، وقــد كتبته فــي مذكراتي، ومن تلك الصور مثلاً التي ما زالت عالقة في ذهني ما حصــل لي ولإخوتي فيما كنا جالسين، إلى العشاء مع أهلي ذات يوم. وكان إخوتي راجعين من القسم الثاني من البلد، بعد مشــاركتهم في تظاهرات طلابية مشــتركة (إسلامية - مسيحية) مــن أجل المطالبة بالاســتقلال، وكان والدي غير متحمس وغيــر مبال بتلك التحركات، فراحوا يحاولون تحميسه. عندهــا انبرى والــدي قائــلاً لإخوتي بالإنكليزية: «مهلكــم، إن الناس الذين تظاهرتم معهم لو أتيح لهم أن يخربوا رأس بيروت لخرّبوها، لا لشيء سوى أنهــم عاجزون عن فهم نمــط حياتنا». هــذه كانت وجهة نظر والــدي وهو ما أذكــره تماماً. وبقيت هذه الفكرة عالقة في ذهني ودونتها في ملاحظاتي كي لا تنسى. الظاهر أن البلد كان بحاجة إلى تعليم أكثر والى تدريب أكثر قبل إنهاء الانتداب كي يولد المواطن الصالح.

> إذا كان الإنسان طائفياً، فهو كذلك بينه وبين ربّه، ولا شك أنه يعاني نقصاً كبيراً في بهجة الحياة

لــو وضــع لنا الفرنســيون وقتها نظاماً سياســياً مدنياً يجعل «ما لله لله ومــا لقيصر لقيصر»، أمَا كانت حياتنا اليوم لتكون أحسن؟

- أنا شــخصياً أفضــل ألّا يكون لي ديــن علــى الهوية. وأعتقــد أنني أول شخص أو ثاني شخص في الجمهورية اللبنانية يقوم بشطب هويته الطائفية من سجل قيده في الأحوال الشخصية. وكانــت محاولــة رمزيــة ليــس مــن الضروري أن يكون لها أية قيمة عملية. وكان قصدي من ذلك الفعل القول إنني لا أريد لبعض الذين ينصبون أنفســهم أوصيــاء علــى الآخريــن أن يتلاعبوا بجثتي ســاعة أموت أو أن يقرّروا لمن يعطــون أموالــي، إلى ما ســوى ذلك مــن الأمــور.. ولا أريد أيضــاً أن يقرر الآخــرون عنــي طبيعة التعليــم الذي يتلقاه أولادي، وهو موقف ضد النظام كنظام كامل. لكــن بعض الناس، على المقلب الآخر، يتحجــجــون بأنه علينا أن نكــون كذلــك لأن الكينونــة بهــذا الشــكل تســهم في حل بعض المشاكل حتى الصغيرة منها إلــخ... وآخرون يصرون على أن الطائفية أصل البلاء. الموضــوع باختصار حمّــال لوجهات نظر عديدة، وهو مغرٍ كمادة لمشــروع بحثي خصب.

مــن جهة ثانيــة، يمكــن القول إن النظام الطائفي كان التسوية الوحيدة التــي أتيحــت للبنانيين آنــذاك، ولو حَسُنت النيات كان ليكون تسوية جيدة آنذاك. لكن الناس تغيرت نحو الأحسن. الجيــل الجديد برأيي أحســن من جيلنا علــى ســبيل المثــال لا الحصر. وحجم «التمثيــل» في ســلوكه أقــل بكثير من حجمه لدى الأجيال الســابقة. والتمثيل قديــم، وهو في أحســن تعبيراته فن، وفي أسوأها غلاظة! كما أنه ومن خلال مواقع التواصل الاجتماعي (الفايسبوك وغيرها) صــار بإمكاننا أن نقرأ القليل مما ينوجد في النفس البشــرية. عندما نرى مــا يقوله الشــباب والشــابات، خصوصاً أنهــم صاروا اليوم يتكلمون مــع بعضهــم البعض، يظهــر جلياً أن الطريقــة التــي يتكلمون بها، وســعة الصــدر التــي يتحلــون بها، لــم تكن موجودة في أيامنا، ومستوى التمثيل فيها أقل. أيامنا، في الخمسينيات، كان التمثيل هو السائد والمواقف الخطابية. اليوم، ربــط الكلام بالواقــع المعاش بات أوثق بكثير.

برأيك ما الــذي أوصلنا إلى الحرب الأهلية؟

- أولاً، وهذه مسألة غالباً ما أرددها على مســامع طلابي، الحــرب الأهلية ليســت عيبــاً، الحــرب الأهلية تحصل في كل المجتمعــات. وهناك مجتمعات تحصــل فيها حرب أهليــة من دون أن يتبع ذلك نمــو مجتمعي. فليأتني أحد ببلد لــم تحصل فيــه حــروب أهلية، حتــى الــدول المحترمة، وأنــا لا أحبذ هذه التسمية، تاريخها يضج بالحروب الأهلية. في أميركا حصلت حرب أهلية أكلت الأخضــر واليابس. فــي إنكلترا قطّعوا رؤوساً وقتلوا ملوكاً.



> أنا أول أو ثاني شخص في لبنان يقوم بشطب هويته الطائفية من سجل قيده في الأحوال الشخصية

لكــن، ألا تشــي خطابــات السياســيين اللبنانييــن وزعمــاء الطوائــف بأنهم مســتعدون لتكرار تجربة الحــرب؟ وما الــدرس الذي اســتخلصه اللبنانيــون من تجارب غيرهم؟

- لا أشعر بأن اللبنانيين مستعدون لتكرار تجربة الحــرب. وربما أنا على خطأ. ما يجــب أن نكون تعلمناه يكمن في ما قاله الشاعر العربي زهير بن أبي سلمى في هذا المجال:

وَمَا الْحَرْبُ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ
وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّمِ
مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيْمَةً
وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ
فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا
وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

الحرب شــيء مؤلم في وقتها، لكن بعدما تنتهي تفسح المجال أمام التأمل فــي نتائجها وأمام تســاؤلات من نوع ما قالــه أحدهم ذات يــوم: هل الحرب الأهلية خفيفة الدم، أم أن عودة الدولة غليظة؟ أيهما أحلى من الآخر؟!

أيــام الحــرب الأهليــة كنــا نقول الحقيقــة لبعضنا ونتصــرف على هذا الأساس، وأكلنا هواء حتى شبعنا. بعد الحرب الأهلية رجعنا إلى الســخافات ذاتهــا التي كنا نقولهــا قبلها. هذا رأي يعتنقــه البعض. ولكن ثمــة رأياً آخر مفــاده أنه الآن وبعدمــا انتهت الحرب يصير المطلوب أن نستفيد منها. وأننا إن لم نســتفد منها فهــذا يعني أنه ثمة خطأً فينا.

وفي هـذا المجال، مـن الضروري أن نعـرف أن لا بلد أفضـل من الآخر. ثمة بلاد يطبـق فيها القانون، وأخرى لا يطبـق فيهـا. بلادنا لا يطبـق فيها القانون. وتطبيق أي قانون أفضل من انعـدام تطبيقه. ولدينـا طريقة جيدة جداً لتغيير القوانين إن لم تعجبنا. كل أربع سـنوات يتاح لنا أن نمارس فعل الانتخاب من جديد، ونستطيع من خلال ممارستنا تلك أن نجيء بأناس يسنون قوانين مغايرة. من هؤلاء الناس هناك نسبة معينة من الصادقين، وثمة نسبة أخرى من غير الصادقين وهي موجودة في كل العالم. في الأزمنة الغابرة كانت بريطانيـا مضـرب المثل فـي مثالية الحكم، اليوم نسمع أخباراً عن حالات فساد.

هل نحن بحاجة إلى استفتاء للسـؤال ما إذا كان الشعب اللبناني من حقه أن يقـرر أي نظام يريد أن يعيش؟

- نحن لدينا اسـتفتاء أوتوماتيكي كل أربع سـنوات، أقصد الانتخابات. الناس الآن معجبون بالتغيير في العالم العربـي. فمـا الذي يجـري؟ ما يجري جـزء صغير مما يحـدث عندنا يومياً. لا نستغله كما يحلو للبعض استغلاله أو كما يجب أن يستغل؟ هذا بحث آخر. لكننا لا نحتاج إلى أن نذهب إلى ساحة البرج (وسط بيروت بالتسمية القديمة) عشـرين سـنة وسـبعين يومـاً لكي يذهب رئيـس جمهورية ويأتي رئيس جمهورية. الشـيء الذي نراه ونعجب به هـو خلفنا بكثير. نحـن متقدمون. ليس علينـا أن نفاجأ، بل أن نقول إن هذا أقل الواجب، لكن يجب ألا نقلل من قيمتنا.

نحـن كنا نظن أن لبنان سـيحدث فيه كل شـيء بعد حرب تموز/يوليو (2006) ومـن ثم الاعتصـام (2007) والصـراع الداخلـي، فـإذ بالشـرق الأوسـط ينفجر بكامله بينما لا شيء يحـدث لنا ونحـن نتفرج. هـذا ليس



> الحرب مؤلمة، وبعدما تنتهي تفسح المجال أمام تساؤلات من نوع ما قاله أحدهم: هل الحرب الأهلية خفيفة الدم؟!

عيباً. نحن دفعنا ثمن استقرارنا حرباً أهلية. سنظل نمر في صعوبات ونُمرر في صعوبات. وأنـا لا أقلل إطلاقاً من رغبـة الخارج فـي تمريرنـا من خرم الإبـرة، وكلما تغير سـفير مـا تتغير معـه معايير خرم الإبـرة، وهناك من اللبنانييـن من يحب المـرور في خرم الإبـرة. يضحـك متابعـاً بتهكم: لأنه لدينا تشكيلة عظيمة من السياسيين.

هل الحـروب الأهلية حتمية في صيرورة تطور المجتمعات، أم هناك خيارات أخرى أقل كلفة على المجتمعـات عليهـا أن تتبعها حتى تتقدم؟

- عمومـاً الحـروب الأهلية، كيف أقولهـا؟ It's more fun.. يضحـك طويلاً. تصور أن نعيش 15 سـنة من الحوار المتواصل.

تشـعر أن اللبنانييـن فـي أمزجتهم أميل إلى أن يتحاربوا؟

- اللبنانيون لا يختلفون عن غيرهم من البشـر. ليسـوا سـيئين بقـدر ما يتصـورون، لا يبغضون بعضهم بقدر ما يتصورون. هذه أشـياء لا أستطيع أن أقيـم البرهان عليها، لكنني أشـعر فيها.

هنا سؤال من خارج السياق. هل هناك مؤرخ بجرأتك؟

- يبتسم: لا أعلم.

أنت نقلت التاريخ برمته إلى مكان آخر؟ هذه شجاعة.

- هـل هي شـجاعة؟ الشـجاعة ألا تكون تريد شـيئاً من هـذا العالم، وألا يكون لديك الرغبة بالمنافسة. إذا كنت تريـد أن تنافس، فسـتكذب. أنا خُلقت كذلك. لا يهمني أن أكون أحسن من أحد أو يكون أحد أحسن مني.

هل لديك جديد ما؟

- لدي ثمانـون، بل اثنان وثمانون سنة.. (يبتسم) أحب أن أكتب ما رأيت. لأن ما رأيته في 82 لم يعشـه غيري. وواجبـي أن أخبـر عما رأيـت، حتى الناس تعرف أن الدنيا تغيرت.

أتعبانك؟

- أهلاً وسهلاً. دعني أقل، في ختام حديثنـا إن على اللبنانييـن أن يحبوا بعضهم.

نقول له ممازحين: نحن نحبك دكتور.

- يضحك مجيباً: بس أنا مش دايم إلى الأبد.

خيري شلبي ملهم شهرزاد

برحيل شيخ الحكائين خيري شلبي (1938-2011) تفقد شهرزاد واحداً من أهم ملهميها في الحكي، ولعل ما فاته في عزائه أن يحضر بنفسه ليكتب بورتريهاً عن الشخصيات المتناقضة التي حضرت، ما بين فلول الحزب الوطني وسدنته، وما بين ثوار 25 يناير وأحلامهم، استطاع خيري شلبي أن يكون شجرة وارفة الظلال تتسع للجميع كما كانت المرسى لجيل الستينيات الذي ينتمي إليه إبداعياً.

لا يختلف بناء الحكاية الشفاهية عند خيري شلبي عن بناء حكاياته المكتوبة، ولذلك يمثل نموذجاً منفرداً وسط جيل الستينيات في مصر، كماً وكيفاً، كان يكتب كأنه يحكي، لا فرق، ويبدو أنه كان مجبراً ليكون كذلك، فهو صاحب خبرة طويلة، فضلاً عن كونه قارئاً نهماً، في واحد من مقالاته بجريدة الأسبوع المصرية كان عنوانه اسم روايتي الأولى «مواقيت التعري» حدّد كيف تكون ذائقته في قراءة الروايات، فهناك رواية يحبها، ولكنه لا يحب مؤلفها، وأخرى يحبها ويحب مؤلفها، وثالثة لا يحبها ولكنه يحب مؤلفها.

كان العديد من الكتّاب يأخذون عليه أنه لا يهتم بالبناء الروائي، وغاب عنهم أنه يملك ما هو أهم، يملك ما يكتبه وما هو قادر على إدهاشنا به فعلاً، يملك حكايات جمعها في عشرات الأعمار التي عاشها، ويكتب كما يحكي وكما يحيا، فالكتابة والحياة لهما نفس الصورة عنده، وربما هنا ما يفسر غزارة ما كتبه سواء كان صحافياً أو أديباً، وقد كان يعرف ذلك في نفسه، وأتذكر أنه في أحد الحوارات الأخيرة معه قال إنه يحب حياته التي عاشها، ويرى فيها «شهادة» بأنه إنسان حاول بقدر المستطاع أن يكون شريفاً ما أمكن، ونقياً ما أمكن، ومبدعاً ما أمكن.

كانت حياته في القاهرة صاخبة بقدر جعله يبحث عن الصفاء في المقابر، فاستأجر حوش مقبرة ليكتب فيه، وكان يجد هناك متعة لم يجدها بين الأحياء، لدرجة أنه كان يدعو أصدقاءه إليه.

صاحب «فاطمة تعلبة» في «الوتد» و«وكالة عطية» و«رحلات الطرشجي الحلوجي» و«لحس العتب» و«اسطاسيه» و«الأوباش» وضع نفسه ضمن قائمة متفردة من المبدعين العرب منذ أن نزح من قريته «شباس عمير التابعة لمركز قلين» في محافظة كفر الشيخ - شمال الدلتا - إلى القاهرة، ليسكن لياليها الموحشة، بل وقبورها ليكتب مؤمناً أن القبر بداية ونهاية، وسيرة وحكاية، كما سيره الشعبية التي ولدت من ألف ليلة والفلاح الفصيح وأبي زيد الهلالي

وها هو يعود مرة أخرى إلى قريته محمولاً في نعش، لا يستطيع أن يقفز منه ويعود إلى صعلكته القديمة، لتكتب فيه «مراثي العمر الجميل» وهو صاحب المرثيات البديعة، لعل آخرها ما كتبه عن الصحافي الساخر محمود السعدني صديقه المقرب، حيث كانا يلتقيان بشكل دائم كل خميس في نادي الصحافيين بشارع البحر الأعظم ومعهم أساطين الفكر والأدب والصحافة، وكان من يجلس إليهما يعرف أنه يجالس عصراً بأكمله.

نعت وزارة الثقافة المصرية الكاتب الكبير في بيان رسمي، وبث الموقع الإلكتروني للوزارة كلمة نعى فيها الكاتب الراحل، وعدّد مآثره الإنسانية والإبداعية، وينظم المجلس الأعلى للثقافة ندوة في ذكرى الأربعين لرحيله، حيث تقدم فيها شهادات ودراسات من مجايليه، وكان شلبي قد عمل مقرراً للجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة. كما قرر المهندس أحمد زكي عابدين محافظ كفر الشيخ إطلاق اسمه على أحد الميادين العامة في قريته بكفر الشيخ.

في المقالين التاليين قراءة مختلفة لخيري شلبي لروائي مخضرم، وكاتب شاب حقق مكانة متميزة في الكتابة الروائية.



يقطع كعكة ميلاده



مع الأسرة.. البركة في اللّمة

مع نجيب محفوظ بالمقهى

بورتريه لصاحب البورتريه

| وحيد الطويلة -القاهرة

فجـأة أصبح خيري شـلبي زعيماً، دون أيـة مقدمـات أو هواجس أو ثورة بالتظاهر أو الدم.

أنجز زعامته وحده بين جمهور ربعه بالـكاد طيب، زعامـة من نـوع جديد، عمادها حيـاة كاملة تكفـي نصف أمة، تيمتهـا الجلـوس في المقابـر، وقودها حكايا الموتى الذين وجدوا الوقت الكافي بعد موتهـم ليحكوا له وحده، وحكايات الأحياء الذين لم يقطعوا بطاقات رحيلهم بعـد، ووجدوا من ينصـت بلهفة ومزاج عامر.

لم يخيب خيري ظن أمواته أبداً، لملم كل الحكايـات حتـى حكايات الأمشـاط والفلايات، لم يترك مشطاً في رأس، لم يعتبـر كثيراً للكتب التي ينهبها كل يوم، حكاياته أكبر من الكتـب، تفيض عنها، راح يحكي وحده كل ليلة حتى الفجر قلب الحكاية شـهريار جديد يكتب ولا يقتل، يحكي ألف ليلة وليلـة جديدة، لم يصل إليها خيال أحد، قطار سريع إكسبريس عابر لكل التنظيرات، لا يعبأ بالوقوف في محطات الحداثة ولا الواقعية السـحرية، كتـب واقعه بكل زفارته، فظهـرت من حيث لا يدري فانتازيـا الواقع طبعة خيري شلبي.

كانـت السـاحة مكتظة بتعبيـرات الحداثـة ومـا بعـد الحداثـة وعبـر النوعيـة، الكتابـة العابـرة للأنـواع والحسا سـية الجديدة، لكنه لـم يعبأ ولا





من اليمين هشام السلامون (واقفاً) فؤاد حداد، خيري شلبي، ومحمد كشيك.

تأثر، كأنهم يحكون عن منتج آخر لن ينقصه شيء إن لم يستخدمه، كأنهم يعلنون عن شامبو بالنخاع، وهو مفتون بالصابون النابلسي، غارق حتى شوشته في رائحته، لم ينحت شيئاً، بل استخدم المنحوت في المكان الذي يحتاجه، التعبيرات النائمة بين الفصحى والعامية تدل عليه، تقليب المواجع، غيرها، لم يترك شخصاً هامشياً بأي شكل إلا واصطاده ونقله من هامشه إلى متنه، يوماً بعد يوم راح يقلب مواجعه وحده، وكانت كتابات أخرى قد راحت تنزل إلى ملعبه من ملاعب مشابهة تماماً، لا تختلف إلا في بعض التفاصيل وهو يضحك من بعيد، راحت الكتابة تتراكم وتصنع جيلاً جديداً، كل واحد يعتقد أنه جاء وحده وحين تجمعوا وكونوا حالة أو شجرة أو شعباً، تلفتوا حولهم وجدوا رجلاً نائماً على تلة قريبة من سفح جبل قريب، مدوا خيالهم إليه مدوا أياديهم، راح يصعد الجبل بعينين حانيتين، لم يعطهم ظهره حتى صعد عند السفح وهم يهتفون باسمه، نصبوه زعيمهم دون عناء، وقبض هو أيضاً على ثورته دون مأرب، ثورة استوت بمزاج وطول بال على الفحم المتوهج.

نهر حكايات متدفق لا يتوقف ليأخذ شربة ماء، شلال من المعرفة، الشعر على ألوانه وعلى عصوره المختلفة، التراث بعبله وبألوانه المختلفة ودهاء ابن الرومي ورذالته، لا يكاد يكتب رواية إلا وتسطع له الأخرى وهو في منتصف الأولى، حكّاء من طراز نادر عبر كل العصور، سيد الحكي بالرواية وخارج الرواية، ولولا أن ماءه يصب في النهاية في نهر الحكايات الشعبية لاستغنت به الناس ربما عن أبوزيد الهلالي والجازية والزير سالم، هذا الشلال الهادر بطبيعته كان لا بد أن يبلع المدون في طريقه، ولا يسمح له بالكثير، لكأنه كان على الحكّاء أن يستريح قليلاً ولا يملي عليه، أو لم يغافل النوم عين الحكاء ويتركه ليكتب أحلامه.

بحث عني خيري شلبي كثيراً، بدأب المحب وفرحة الأب، لكنني هربت منه، أنا الذي لا أهرب إلا من الموت، قال سعيد الكفراوي مرتين : يا أخي خيري يريدك، كنت أهرب من السؤال الذي توقعته، قال روايتك جميلة وتستحق مكافأة، أنا وهو من مركز إداري واحد تقريباً، يتم حل مجلس الشعب فنصبح دائرتين، يعود مجلس الشعب فنصبح مركزاً واحداً، هو من قرية على تخوم البندر وأنا من قرية اخترعها ذئب عتيد ليدلل أولاده فيها بعيداً عن أعين الحكومة، لم يترك خيري شلبي لنا شيئاً، كتب عن كل حلم، وحكى حكاية كل كابوس، نفّض المنطقة بكاملها، لم ينس أن يكتب عن أول بدلة دخلت قرانا وكانت لعمه، دشن مواعيد شراء القماش ومواعيد البروفات والفطير الذي صنع يوم قدومها ومنشة الذباب التي اشتروها باعتبارها من المكملات، وعن الضحكات المكتومة حول القمل السارح في شعر أمثالنا القادمين من القرى عند زيارة أقاربهم في المدينة، لم يترك وجهاً أحبه إلا وكتبه، منذ شهور كتب عن طاسة الخضة، قلت لزين ابنه وصديقي (خلي أبوك يخف ايده شوية).. وحين كلمته كان سؤاله المتوقع (هي الحتة دي فين بالضبط يا ولد ؟).

في عزائه، استقبلني بنفسه على الباب، لم يره أحد غيري، قال بعد أن تسلم على من يأخذون العزاء قف في آخر الصف، خذ عزائي معهم ولا تجعل أحداً يشعر أنني غير موجود، إن تثاقل أحدهم وسألك عني قل ذهب في مشوار قصير وسيعود حالاً، وبلهجة حازمة : لا تترك سعيد الكفراوي وحيداً، لا تترك إبراهيم أصلان.

ومضى.

له الآن أن يقرأ موال البيات والنوم ؛ كتابه الذي أحبه كثيراً واعتقد دائماً وبلطف شديد ودون إلحاح أنه لم يأخذ حقه ولم يُقرأ جيدا، له الآن أن يبيت وحده حيث يشاء مع أمواته الكرام، ويترك لنا أن نغني مواله وحيدين أيضاً.

عنده الآن روايات كثيرة يحكيها للموتى.



مع هدى سلطان الشهيرة بـ «فاطمة تعلبة» في مسلسل الوتد

حاور شاعر «عندما يأتي المساء» الذي ظنه عبد الوهاب ميتاً..
وكتب عن مغامرات «لص» في هروبه من الشرطة

مؤرخ المنسيين

هدرا جرجس - القاهرة

«خيري شلبي .. مات» ..

فاجأتني الرسالة، بكلماتها السوداء الجافة، على شاشة تليفوني المحمول، وكنت لحظتها على أعتاب مجلة الإذاعة والتليفزيون، حيث أعمل، وحيث عمل خيري شلبي طوال أربعين عاماً، أطل من خلالها على قرائه، محرراً فنياً صغيراً ينتظر التعيين الذي تأخر لسنوات، ثم أديباً يقدم نفسه من خلال رواياته المسلسلة على صفحاتها، ثم كاتباً تخصص في كتابة «البورتريه» الذي ارتبط باسمه وبأسلوبه الخاص وبطريقته غير المسبوقة في وصف من يكتب عنهم وكأنه ينحتهم نحتاً.

أمام «صالة التحرير» بالمجلة وقفت متردداً، خصوصاً بعد أن تذكرت المقولة الساخرة التي كان يرددها خيري شلبي دائماً «إن عربة نقل لن تكفي لحمل مقالاتي بمجلة الإذاعة»... وذلك ما دفعني لأن أستدير بهدوء متوجهاً إلى «الأرشيف» وهدفي التنقيب عن كتاباته البكر، تلك التي بدأ بها حياته كمحرر صحافي صغير، وللوهلة الأولى أدركت أن الكتابة عن المهمشين والمنسيين والصعاليك لم تكن في رواياته وقصصه فحسب، بل كانت في أعماله الصحافية المبكرة أيضاً.

ففي عدد المجلة رقم (1883 بتاريخ 17 إبريل/نيسان 1971) أجرى حواراً - وهو لا يزال تحت التمرين- مع الشاعر «محمود أبو الوفا» الذي كتب قصيدة «عندما يأتي المساء» التي غناها الموسيقار محمد عبد الوهاب قبل 35 سنة على إجراء خيري شلبي لهذا الحوار المكتوب بلغة راقية جداً، لم يكن فيها «س» و«ج» كما هو متبع في الحوار، إنما جاءت كتابته كما لو كان قصة يحكيها لنا، كانت عناوين الحوار صادمة «الشاعر الذي غني له عبد الوهاب (عندما يأتي المساء) يعيش في محنة»!! فضلاً عن عنوانين فرعيين «لماذا لا يساعده عبد الوهاب ..؟»



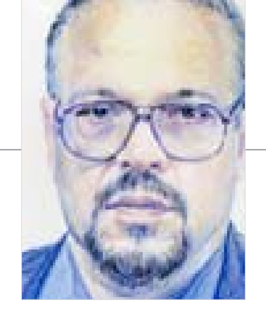
مع محمد منير.. الابتسامة لم تزل ممكنة

و«لماذا لا يساعده وزير الثقافة..؟».

في مقدمة الحوار يحكي خيري شلبي كيف بحث عن الشاعر الكبير في «حارة المدابغ» وهي إحدى الحارات الصغيرة جداً بميدان باب الخلق، وعندما توصل إلى منزله قالوا له إن الشاعر الذي يمشي بعكازين يقضي أغلب يومه في صيدلية اسم صاحبها «زيتون» فقد كان يعيش وحيداً ولم ينقذه من هذا المصير 12 ديواناً هي مجمل إنتاجه الشعري، وعندما سأله خيري شلبي عما إذا كان يتقاضى معاشاً بسط يديه في حركة ريفية قائلاً «كرامتي هي الآن معاشي الوحيد..»! موضحاً أن استمساكه بكرامته أفقده الكثير من حقوقه، كان حزيناً لأن محمد عبد الوهاب قال في الراديو إن أفضل قصيدة غناها هي قصيدة «عندما يأتي المساء» التي كتبها... وقال اسمه مسبوقاً بكلمة «المرحوم» وقال ساخراً إنه في المرة القادمة سيتصل بصديقه القديم عبد الوهاب كي يثبت له أنه حي يرزق.

كان خيري شلبي يمتلك ثقافة غنائية واسعة، يعرف أغاني وألحاناً ومواقف وتفاصيل وأسراراً لا يعرفها كبار الموسيقيين، وعنده في ذلك حكايات لا تنتهي، ولعل أغلب تلك الثقافة اكتسبها من خلال حواراته وتحقيقاته ومتابعاته لعالم الموسيقى والطرب في بداية حياته الصحافية، ولذلك نجده يبحث في العام نفسه 1971 عن فنانة منسية، ربما لا يعرفها الموسيقيون أنفسهم ليجري معها حواراً، كانت .. «بهيجة حافظ» التي كتب لحواره معها عنوان «مشهد من الفصل الختامي .. قصاصات طائرة من أرشيف فنانة منسية» .. كانت ملقبة بـ « البريمادونا» لنجاحها الكبير في التمثيل والغناء والعزف على البيانو والتأليف الموسيقي، والتي اشتهرت بعزف موسيقى الفرانكو آراب، وقد بدأ خيري شلبي حواره معها من خلال سؤال وجهه لها المصور الذي يرافقه، حيث كان يسأل عن مكان في شقتها تكون الإضاءة أو الشمس فيه أشد سطوعاً، حتى يلتقط صوراً واضحة، فأرسلت «المدام» ضحكة وهي تنكره بأن الموضوع سيكون عن «الشمس الغاربة» في إشارة إلى النجوم عندما تأفل فينسى الجميع أنها في يوم من الأيام كانت تضيء لهم بقعة صغيرة في سماء حياتهم، ولم ينس خيري شلبي أن يكتب بأسلوب قصصي كيف فقدت «بهيجة حافظ» كل ثروتها «16 ألف جنيه» في عملية نصب فأصبحت فقيرة بعد عز ..!.

كان لخيري شلبي أصدقاء غير متجانسين، فكما يقول الأديب عبد الوهاب الأسواني: كلما التقيت به في جلساته الخاصة، كنت أرى أن الشخصيات التي تجلس معه من النادر أن تجلس مع أديب أو صحافي، مثلاً المعلم فلان صاحب محل الجزارة، أو فلان تاجر السمك، أو فلان الذي خرج لتوه من السجن، ويضيف الأسواني أنه كان يلاحظ أن خيري شلبي كان يتحدث معهم بطلاقة شديدة تدل على أنه خالطهم جيداً ويعرفهم تماماً، ولذلك ليس من المستغرب أن يكتب خيري شلبي في عدد المجلة رقم (1899 الصادر بتاريخ 7 أغسطس / آب 1971) عن «لص».. وهو لص تائب اسمه «حافظ نجيب» تحت عنوان «اعترافات آرسين لوبين مصر.. قصة المغامر المصري الذي دوخ البوليس ربع قرن» قدم لذلك الموضوع باعتباره صورة حية ومثيرة من تاريخ المجتمع المصري قبل ثورة 23 يوليو/تموز 1952 وأعتقد أن في هذا الموضوع بالذات ظهرت موهبة المحرر الصغير وقتها في كتابة فن «البورتريه» وعندما يتذكر خيري شلبي هذا الموضوع يحكي كعادته كل التفاصيل، فهو واحد من الموضوعات التي لم ينسها وظل يفخر بكتابتها، يقول إن رئيس التحرير وقتها الكاتب الكبير «رجاء النقاش» طلب منه مواصلة تلك المقالات التي كتبها عن «اللص» لأربعة أو خمسة مقالات متتالية، وأن بسبب تلك المقالات تقدم ابن اللص وكان اسمه أبو الخير نجيب بشكوى للنيابة، يتهمه فيها بتشويه صورة والده، والغريب أن الدعوى رفضت في التحقيقات لأن خيري شلبي ذهب إلى وكيل النيابة بما كتبه عن اللص «حافظ نجيب» وبين له أنه كتب عنه بشكل مهذب وجمل فيه صورته من البشاعة التي صور نفسه عليها ..!!



عبد السلام بنعبد العالي

الحدود والجدران

بسقوط جدار برلين، اعتقد الجميع أن عهد الجدران قد ولّى، وأن الإنسانية مقبلة على عهد الانفتاح والتواصل. إلا أن العشرين سنة الأخيرة عرفت إقامة أزيد من عشرين جداراً مختلفة الأحجام والأطوال والأدوار، أكثرها «شهرة» بطبيعة الحال الجدار الذي أقامته الدولة الصهيونية، وذاك الذي بنته الولايات المتحدة جنوبها.

تنطوي إقامة الجدران على مفارقة كبيرة. فبقدر ما تسعى لأن تظهر عظمة الدولة التي أقامتها وقوتها و«صلابتها»، بقدر ما تشهد على إخفاق تلك الدولة في ضبط حدودها ونشر سيادتها، أو فرضها فرضاً. يكفي دليلاً على ذلك عجز أكبر الدول العظمى عن وقف الهجرة المكسيكية عن طريق إقامة الجدار.

لعل هذا هو ما حدا ببعض الدول «النكية» إلى إقامة جدران من «طينة» أخرى، جدران أقل «صلابة» وأخف حضوراً، وأقل وضوحاً، لكنها ربما أكثر فعالية. هذه الجدران ليست تلك التي تقام بالحديد والأسمنت، والتي تتبدى عاتية عالية نحو السماء، وإنما تلك التي تتخفى وراء قوانين تشريعية، أو مؤسسات إدارية، أو وزارات تحمل أسماء مراوغة، كوزارة الهجرة، أو وزارة الهوية الوطنية، أو حتى وزارة «الاندماج» والتكافل.

ليست مهمة هذه المؤسسات بطبيعة الحال «السهر على الحدود»، وإنما «بناء» جدران «غير مرئية» وغرسها في وجداننا وعقولنا. أخطر الجدران وأشدها صلابة ليست بطبيعة الحال، هي المكوّنة من أسمنت وحديد، وإنما هاته التي تقطن أدمغتنا وتسكن عقولنا. هنا لا يُقتصر على الحدود، وإنما يُستعان بالجدران لتفصل البشر وفق ألوان بشرتهم، وأنواع قيمهم وأشكال ثقافاتهم.

الحدود ليست هي الجدران، الحدود وليدة اتفاق، أو تفاوض على الأقل. نعلم أنها مرتبطة بميلاد الدولة الحديثة كما نشأت في أوروبا بين القرنين الثالث والرابع عشر. الحدود منذ نشأتها اعتراف متبادل، أما الجدران فتبنى ضد الآخر ورغم أنفه. الحدود لا تفصل ولا تفرق، وإنما تميز الأطراف لتربط فيما بينها. فبينما تدل إقامة الجدران على عجز الثقافة عن الاعتراف بالآخر والتساكن إلى جنبه، فإن الحدود على العكس من ذلك هي ما يسمح بلقاء الآخر.

الحدود تعج حركة رغم ثباتها، أنها تُفتح وتُغلق، أما الجدران فهي صامدة صامتة صماء. إنها تقف ضد كل تواصل. في أحد «أبحاثه» يشير بورخيص إلى أن الامبراطور الصيني الذي أمر بإقامة جدار الصين العظيم هو الامبراطور نفسه الذي أمر بتدمير جميع الكتب.

الجدران تسد الأبواب والنوافذ وكل الفتحات في وجه الآخر، بينما الحدود هي حدود، لأنها بالضبط تعترف بالآخر. لاستضافة الآخر ينبغي أن يكون لي بيت. حينما تفصلني عن الآخر حدود فهو يعرف أن بإمكاني أن أستضيفه وأفتح له أبواب «بيتي». لكنني أعرف أن ليس من حقي أن أعلن أنني في بيتي حينما أعبر الحدود متنقلاً نحو «الضفة» الأخرى، وإلا لغدوت معمّراً في تلك الحال. ذلك أن الاستعمار لم يكن إلا خلطاً بين الحدود أو إلغاء لها على الأصح، إنه إقرار المستعمر أنه في بيته أنّى كان البيت، إنه إلغاء الآخر ذاتاً ومكاناً.

على هذا النحو فإن إقامة الجدران هي إلغاء للحدود وعدم اعتراف بأهميتها و«فضائلها». ربما يصعب علينا اليوم أن نقبل أن تكون للحدود فضائل. ففي عالم غدا قرية صغيرة، أو على الأقل مسرحاً للتجمعات والتكتلات، في عالم ما تفتأ تظهر فيه «جمعيات بلا حدود» ومجتمعات مدنيّة تحاول بالضبط أن تتخطى الحدود وتخترق الحواجز لتنجز ما لم تستطع الحكومات أن تنجزه، في عالم هذا حاله، لا بد وأن يُنظر إلى الحدود على أنها حدّ للتكافل والتواصل والاندماج، وبالتالي على أنها حواجز وعوائق وشرور.

ما بالك إن أضفنا إلى ذلك العلاقة التي يقيمها كل منا مع الحدود، وما يستشعره وهو يعبرها من تخوّف وارتباك وفقدان للثقة في النفس وتشكك في سلامة أوراق التعريف، وشعور ملازم باقتراف ذنب من الذنوب.. هذا قبل أن تتفنن الإجراءات الأمنية في «ضبط» الحدود الذي ما فتئ يتعقد.

على الرغم من ذلك فلا مفر لنا من «امتداح الحدود»، لأنها وحدها تلقحنا ضد الجدران. ذلك أن العالم من غير حدود لن يكون إلا صحراء تتشابه حبات رملها، يفقد فيها كل شيء تفرده، ويغيب فيها الاختلاف لتعم التسوية المسطحة والتواصل الموهوم.

محمد بنيس
المغرب

حنين عمر
الجزائر

وجيه القاضي
عيد صالح
مصر

هدى جعفر
محمد عبد السلام منصور
اليمن

خالد النجار
تونس

إياد الدليمي
العراق



رسوم
Henri Matisse
فرنسا

نصوص

طرفٌ آخر من الأزرق

محمد بنيس

1

هُنا البعيدُ كأنّهُ
يأتي إليّ
عبْر أمْواجٍ منَ الضّوءِ

صُخورٌ ينْشأ منهَا العُلوُّ
أزرقُ بين البحْرِ
والسّماء
يَسيلُ نحوَ ما لستُ أدْري

عندمَا البَارحةَ كنتُ أنزلُ الدُّرجَ
سمعتُ
ماءَ اليَنابيع
يَصعدُ إلى عُروقي

لَمْ تتأخّر الحَياةُ
عنْ أنْ تكونَ عَزيزةً
عَلى نفْسي

2

في الأُفُق
جَمرةٌ تضُمّ الغمامَ إلَى اللهيبِ
أحسّني أمْشي
على المَاءِ في إثْر دانْتي يُنشدُ
«راغباً في الكَلامِ لكنْ لا أعرفُ ما
أقولُ»

يَشفّ المَاءُ عن حَجرٍ منْ مَعادنَ
انطفأتْ
والبَحرُ أزرقُ
بشـياته
قريبٌ من أحَـدٍ

هذا النبيذُ وأنَا
نتبادلُ الصّمتْ

3

لا يَسْتقبلُ البَحرُ سوَى
مَشّائينَ أشدّاءَ
بحكْمة
يَعْبرونَ مَسالكَ منها آخرُونَ عبرُوا

انْحدارٌ تتعلّمهُ القدَمان
كمَا لوْ كانتا تتعلّمَانِ أداءَ صَلاةٍ
في مَعْبد
سَيسْتريحُ فيه ذاتَ يوْمٍ إلـهٌ
بينَ البحْرِ والسّماء
قليلٌ همُ المَشّاؤونَ هُنا
يَنظُرُ إليْهِمْ
أزرقُ الماءِ أصدقاءُ الأمْس
أوْفياءُ يَظْهرونَ من أعْلى القرْيةِ
علَى
الوجُوه نعْمةُ مَا لا يُ ي

4

برمَاديّ أجْنحَتها
النّوارسُ تُبقّعُ الفضَاءَ
رُبّما
تركْتُ جسَدي يَسقطُ في دَورَانهَا

أجْنحةٌ سَريعةُ اللّمعانِ
تذوبُ
مَنْ رآني
عَاجزاً عن فهْم سرّ انْحجَاب المَاءِ
أنصتُ إلى فَراغٍ يَطوف حوْلي

كذلكَ أشاهدُ
النّوارسَ في شمْس ظهيرةٍ
هُنا تبْتكرُ ذهبَكِ أيّتها السماءُ –
البحرْ

5

خُذ الشّمسَ والقمرَ مُجتمعَيْنِ
ألْقِ بهمَا
في هَذا المَاءِ

لنْ ترى



غيرَ أمْواتٍ هُنا
مُبتهجينَ بنَشيدهمُ الذي
لكُلِّ واحدٍ

قُبالتَهمْ سَهرْتَ
في نفَسكَ شيْءٌ مَا يتمزّقُ ويتكلّمُ

دائماً هناكْ

6

جَلبةٌ في المَاءِ

وافدونَ على طَرفٍ آخرَ منَ الأزرقِ
الذي يشْملُ البحْرَ

(هلْ تذكّرتْ أحْجارُ
الميناءِ
وُجوهَهُمْ)

تركُوا المَراكبَ في مَكانهَا القديمِ
وبالْكلمات التي لمْ أتعوّدْ عليْهَا
رأيْتُ البحْرَ يكْبُرُ

أيّامٌ مُتتاليةٌ فيهَا
الوَافدُونَ كانُوا يبدأونَ
أحاديثَ عنْ طرفٍ آخرَ منَ الأزرقِ

معَهمْ
يَتضامنُ الضوْءْ

7

ليكُنْ ذلكَ ما سَمعْتُ
عندَ الْتمَاع
في مَرْكز اللّيْل
انْهَضْ إلى مُقامكَ
كُنْ
أنتَ لا أنتْ
ماءٌ بلوْن الفضّة
بينَ الأبعَديْن يمَتدُّ
بيَديّ أحْملُ الماءَ أمْلسَ
رافعاً
وجْهي
نحوَ
مَا
لا هُوَ
البحْرُ
لا هيَ السّماءْ

8

مِنْ جديدٍ
تخْتفي الشّمْسُ بينَ ماءٍ ومَراكبَ
قربَ النّافذة ظلٌّ
بمُفْرده يَسْتنشقُ هواءَ الصّبَاحِ

مَنْ غرسَ تلكَ النّخْلةَ
سألتُ يَدي التي معَ الكلماتِ
تجْلسُ

إلَى هُنا
كتابُ ابنِ عَربيٍّ وصلَ

قبْلي

لن أقرأ لك هذه القصيدة أبداً

| حنين عمر

لا تنتظرها..
هذي القصيدةُ لن تجيءَ لأنّها قد قررتْ ألا تجيءَ لتنتهي بين الشفاه حياتها.
هذي القصيدة قررتْ أنّ الحياة تُحبها..
قالت بصوت حاقد : لا تكتبي../ فكتبتها..
سرقت من الصّوتِ الشياطين الحزينةَ / ثمّ صاحتْ في المدى : لن تقرئيني !
هذي القصيدة ذاتها..
تلك التي :
لا تعرف الأحلامَ حين مع الهواء بحبلِ شريانٍ معلقةً تكونُ/
فتلتهي ريحُ الحقيقةِ بانتهاك علّوها /
تهوي.. / وتنكسر الثريات الجميلةُ فجأةً /
نبكي عليها.. / والشظايا حولنا..
تلك التي.. لا صمغ يجمع تيهها /
تدمي يدينا../
يمشي النزيف مغامراً..
ينسابُ فوق تمردي../
ويحيلني للموتِ في نفس الحنينِ الـ كان في هذا المساءِ يلفنا ويدسنا في جيبهِ حتى ننامْ..
هذي القصيدة : صمتنا / إذ ينتهي شوق الكلامْ..
و إنّها هذي القصيدة : وجهنا / لما نضيّع دربنا بين الذين توارثوا أرض الزحامْ..
وإنّها هذي القصيدة : بعض نفسي / إنّما../ قد بعتها للغائبينَ../
وذلني هذا التّذكرُ/ ذلني ثمن السّكوتِ الـ كان يبحث عن رحيق الوردة البيضاءِ في شعري الطويلِ لكي يقص جدائلي..
وجدائلي : خبأتها بين السّطور الـ كنت تكتبها عن الحب الذي ما بيننا/
ووعدتني بقصيدةٍ ليست سوايَ.. فهل مازلت تكتبها ؟؟ / ستقرؤها..؟؟
لن بعدي ترى – لّما ستنساني – ستقرؤها ؟؟
ستنساني ؟؟ /
إذن أترك على شفتي عناوين ابتساماتٍ لها سحر يحوّلني إلى دمعٍ /
لعلي ربمّا اشتاق قبل الموت أن أحيا قليلاً مرة أخرى بشكل لم يكن شكلي / ولكن كان شكل قصيدتي..تلك التي : لا تنتظرها !!!



الاحتفال الكبير

وجيه القاضي

الموعد الثامنة مساء، الليلة الاحتفال بتكريمي لأنضم إلى كوكبة من عظماء مصر، أخذت أدور أمام المرآة لأتيقن أن كل شيء على أكثر مما يرام.

كانت المرآة تشاركني فرحتي، تبدو فخورة باحتوائي، وأنا أنظر لمن تحتويه، أكاد أنحني أمام غلالة البهاء التي تلفه، آهٍ، الألوان، يجب تغير أزرار أساور القميص السوداء، انتقي أخرى لونها طيف من البني، فالحلة التي أرتديها بنية.

هكذا أنا الآن مكتمل، ظهرت بجانبي روحية، لتضيف بهاء ليس راجعاً إلى أناقتي ووسامتي، لكن روحية تشع بجمالها حولي هالة أخرى، ليست بمنظورة، كالتي يسميها العلماء بمجال الطاقة الحيوية، فعندما تكون روحية على غير ما يرام، إذا ذهبت إلى احتفال أو ندوة، أحس أنا أيضاً أنني لست على ما يرام.

الساعة الآن السادسة والنصف، ما زال أمامي وقت لاسترخي على الشيزلونج لأرتب كلمتي، لا أحب أن أقرأ من أوراق.

روحية دائماً ما تشجعني وتمازحني عندما نكون في الطريق إلى مثل هذه المناسبات لا أدري لماذا هي صامتة اليوم، قد يكون هنا راجعاً لإرهاقها من الترتيبات والحسابات، فهذه مناسبة تحدث مرة واحدة.

في طريقنا إلى باب قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة، لم تضع روحية يدها في يدي كما كنا دائماً، في عروة وثقى لا تنفصم، اليوم تفصلهما فرجة.. دخلنا القاعة، كانت تضج بأناس كثيرين، توقعت تصفيقاً حاداً عند دخولنا، لكن بدلاً منه كان وجوم وصمت، تتخلله بعض الهمهمات، طمأنت نفسي بأن ضخامة الحدث ورسميته قد يكونان السبب. أحسست أني أخطأت في اختيار لون الحلة، فقد كان جميع الحاضرين بمن فيهم الجالسون على المنصة يرتدون حللاً سوداء.

تمنيت لو أني اخترت البني المحروق، نظرت إلى حلتي، كدت أقع مغشياً عليّ عندما وجدت لونها أبيض.

كدت أجن، فأنا متأكد تماماً من أنني ارتديت حلة بنية، لا شيء أستطيع أن أفعله إلا أن أتماسك حتى ينتهي الأمر.

جلست في المقعد المخصص لي في الصف الأول، وكانت دهشتي عندما جلست روحية في المقعد الذي يلي الملاصق لي.

بدأ المتحدثون على المنصة بسرد تأريخي، ثم استطردوا في تعديد مآثري وأفكاري، أخذت أحدق في وجوههم، لا أعرف أياً منهم، ولا الحضور.

دعاني رئيس الاحتفال لأتسلم الشهادة، صعدت إلى المنصة، وكانت الشهادة ورقة صغيرة، كتبت بخط يد رديء، وضعتها على المنضدة.

كي أرتدي رداء الجامعة، الذي كان أبيض، على غير لون رداء جامعة القاهرة.وشرائط على الأكمام.

الرداء يحتويني من قمة رأسي حتى أخمص قدمي، تفوح منه رائحة ذكرتني بعطر زهور الناردين الذي يفوح في الكنائس القديمة. رغم أنه كان يغطي رأسي، ولكني كنت أرى. لا تصفيق، سكون تام. رجعت إلى مكاني لأجد روحية قد تزحزحت عدة مقاعد بعيداً عن مقعدي. نظرت إلى المنصة لأعرف ماذا سيتلو، وجدتها فارغة، ليس عليها إلا الشهادة التي تركتها. بدأ الحاضرون في الانصراف، أخذت أصرخ فيهم كي لا يتركوني، لم يبق منهم إلا صوت خطواتهم تتباعد، تحولت ببصري إلى روحية، شعرت بغصة من المرارة في حلقي، أحسست أن حوائط هذه القاعة الضخمة تتقارب على جسدي، رنوت ببصري إلى روحية علّها تنقذني، وجدتها تسير تاركة إيايّ حتى وصلت إلى السلم المؤدي إلى بلكون المراقبين، أخذت في الصعود إلى أعلى.

البعض يذهب للميدان مرتين.. دون جدوى

| هدى جعفر

إنهـا الخامسـة عصراً والذبابـة تحوم في أرجـاء الغرفة الفخيمة وتحط على (المج) الذي يحمل بقايا (نسكافيه) الليلة الماضيـة، ثم تنتقل بين أدوية مضـادات الاكتئاب والصداع وعبوة سـم (السـيانيد) المختومـة – عملاً بمقولـة بيدي لا بيـد عمرو - لتحط على إصبع نجمنـا المحبوب الذي حرص على تغطية جسـده كاملاً ماعدا إصبـع أو اثنين خرجا دون إرادته، هنا يكشف النجم اللحاف ليظهر بوجه متعكر وغارق في العرق، لسوء حظه أن المرآة مثبتة أمام السرير مباشرة وعليـه فإن أول ما يراه في يومـه النحس هو وجهه، يتأمله طويـلاً في المرأة، بوده أن يبصـق عليه، ولكن لا فائدة من هكذا نشاط وقد قام الشباب في ميدان الثورة بما يجب وأكثر، ينادي خادمته بصوت عال لتحضر له المزيد من الويسـ.... عفوا (النسكافيه)، ولكنه تنكر بأنها حتماً في الميدان، يحاول الاتصـال بمدير أعماله لسـؤاله عن رد المنتج حول تسـوية أجره فـي فيلمه الجديد، حيـث إن الأخير ارتـأى بأن العمل معـه مجدداً فيـه مجازفة بإيرادات الفيلم، فإما أن يسـتبدله بنجم آخر – من الذين كانوا مع شـباب الثورة من أول الأيام بالطبع- أو أن يقبل بثلث أجره السابق.

يهبـط النجم إلى الـدور الثاني ليفاجأ بوجـود الخادمة، يصرخ في وجهها لأنها تأخرت وهمَّ برميها بمنفضة السجائر كالعادة، ولكن (زورة) منها جعلته يرتخي ويهمهم بالاعتذار، يرتمي على الكنبة ويتجه مـن فوره إلى قناة الأخبار ليتابع مستجدات المظاهرات في بلده، يتمعن في وجوه المتظاهرين/ات، ولم يفته أن يختلس نظـرة لوجهه المنعكس في المرآة الكبيـرة المعلقة في الصالة، يرى وجهـه مرتين في أقل من عشر دقائق.. إنه نذير شؤم لا محالة.



يتجه بعدها إلى قناة الأفلام والتي كانت تعرض بالصدفة أحد أفلامه القديمة، يتحسر على تلك الأيام الباسمة، وقتما كانت الجماهير طيعة سهلة الانقياد بلا إنترنت ولا فيسبوك ولا تويتر، مكتفية بأخبار القنوات الحكومية ومسلسل السابعة إلا ربعاً والمسلسل الأجنبي في القناة الثانية، حيث عدد القبلات أكثر بما لا يقاس في مثيله العربي، قاطعه صوت رنين الهاتف، كان ذلك مدير أعماله يذكره بضرورة حضور الحفلة الخيرية التي يقيمها صديقه رجل الأعمال المعروف، رد عليه بحدة بأنه غير مستعد نفسياً، بل وعبر بصراحة عن رأيه في أدائه وكيف بأنه غبي وبطيء الفهم طوال مدة عمله، لم نعرف ما الذي قاله مدير الأعمال بالضبط، ولكن وجه النجم احمرّ وغرق في عرق بارد، لكننا نستطيع أن نخمن، حتماً ذكره بوضعه الحالي وأن الأمور لم تعد كما كانت وأنه مضطر لتحسين صورته بأي طريقة حتى لو قيل له أن يذهب إلى عطارد، وكيف أنه - أي المدير - يضع مستقبله المهني على كف عفريت بعمله معه وأنه مستمر فقط من أجل العيش والملح والكافيار والفودكا، يرمي النجم بجواله على الكنبة ويغمض عينيه في بؤس واضح، يصل مسج من قريبه يحمل خبراً من سطر واحد: إنشاء صفحتين في (الفيسبوك) و(تويتر) تدعو إلى مقاطعته ومقاطعة أفلامه متبوعاً بوجه الكتروني حزين. تنكر بمرارة ما حصل له في الميدان حينما ذهب هناك للمرة الثانية محاولاً اللحاق بركب الجماهير بعد أن تأكد سقوط رئيس البلاد، هزّ رأسه لإبعاد هذه الذكرى الأليمة التي تركت على وجهه صفعة مازال يحس بسخونتها حتى الآن، لماذا اختاره القدر دون غيره ليكون ضمن أول من عبر عن رأيه المخزي عن الثورة وأصحابها؟ ولماذا هو الوحيد الذي تم تسجيل رأيه كاملاً دون نقصان يسمح له لاحقاً بالتلاعب بالحقيقة؟، لماذا تم توزيع مداخلته المشؤومة في ذلك البرنامج الإخباري الشهير على جميع المواقع والفضائيات؟ إن هذا أقسى من أن يكون حقيقة وحلم أبشع من ألا يتم الاستيقاظ منه.

يتصل على صديق عمره المنتج الكبير، الهاتف يرن طويلاً دون فائدة، وقبل أن يغلق الزر بثوان سمع صوت ناعس في الطرف الآخر، إنها زوجته الممثلة التي كانت مغمورة، ولكن بفضل أفلام هذا النجم في الألفية الجديدة استطاعت أن توجد لها مكانة مميزة بين محملي المقاطع (الخاصة) من الإنترنت، سألها عن أحوالها ردت بفتور إنها بخير ودون أن تترك له فرصة للكلام قالت إن زوجها غير موجود وإنه لن يعود قبل الثالثة صباحاً، ودون أن تستمع لرده أغلقت السماعة، ولكنه استطاع سماع الجملة التي قالتها لزوجها الجالس بجنبها وهي تنهي المكالمة وبصوت ضاحك «إنه ذلك المجنون مرة أخرى».

نادى على خادمته مرتين ولم ترد، اتصل على مدير أعماله مرتين ولم يرد، انسل إلى غرفة نومه واندس تحت اللحاف الثقيل، أغلق جواله وغطى نفسه جيداً باللحاف، وعادت الذبابة لتحوم من جديد، وتيقن بأنه لا جدوى من أي عمل يقوم به، حتى الذهاب إلى الميدان مرتين!.

قصيدة الأسئلة

| خالد النجار

هل تولد العصافير من البحر
أم تنبثق من صخور جبال غواتيمالا

والفراشات
هل تنبثق من ساعة الليل القصوى
أم تولد من رياح سبتمبر
أم هي تنبثق
من جزر السبوراد مع الربيع
أو من قصيدة لجورج تراكل

والبواخر هل تولد هي أيضا من مياه البحر
أم تطلع

من أشعار سان جون بيرس

وكم حصان يصهل الآن في براري آسيا

وهل لنواقيس الكنائس
فضة زائدة

وهل حقيقة أن عصافير أمستردام
تعيد أغاني جاك بريل بصيغتها العصفوريّة

وكم بذرة تحمل رياح البروفانس
عندما تهبّ على مرسيليا

وهذا الأرنب
هل جاء مع الأمطار
بكلّ هذا الذّهب

وأين هم أولئك الذين يحلمون بالعصافير
التي تسبح في البحر
وبالأسماك الطائرة تحت سقوف الكنائس
وبالأرنب الذي يأتي من القاهرة
هل عاشوا حقيقة في آرل
أم كانوا حلماً لحلم آخر

حياتنا المؤجلة

| عيد صالح



1

كعربة تحت الأنقاض
كحفرة هائلة
لدانة حاقدة
لعب تتأرجح
وسقف منهار
حائط وحيد وجدار
خرائب وميازيب
بغير أسطح ولا هوائيات
حيث تصفر الريح
وتمرح الفئران
بين الركام والأنقاض..!!

2

هذه الأروقة والنوافذ المفتوحة
تلك الأصفاد والأسلاك
الشائكة
ريح خامدة
وأسطرلاب معطل
منطاد معلق و هواء يختنق
فرجال يئز في خريطة ممحاة
بلادة الصمت تؤلب السابلة
والحمقى والمخنثين
قلت : لا تؤججوا اللاشيء في
غفلة الحراس
والمرابطين

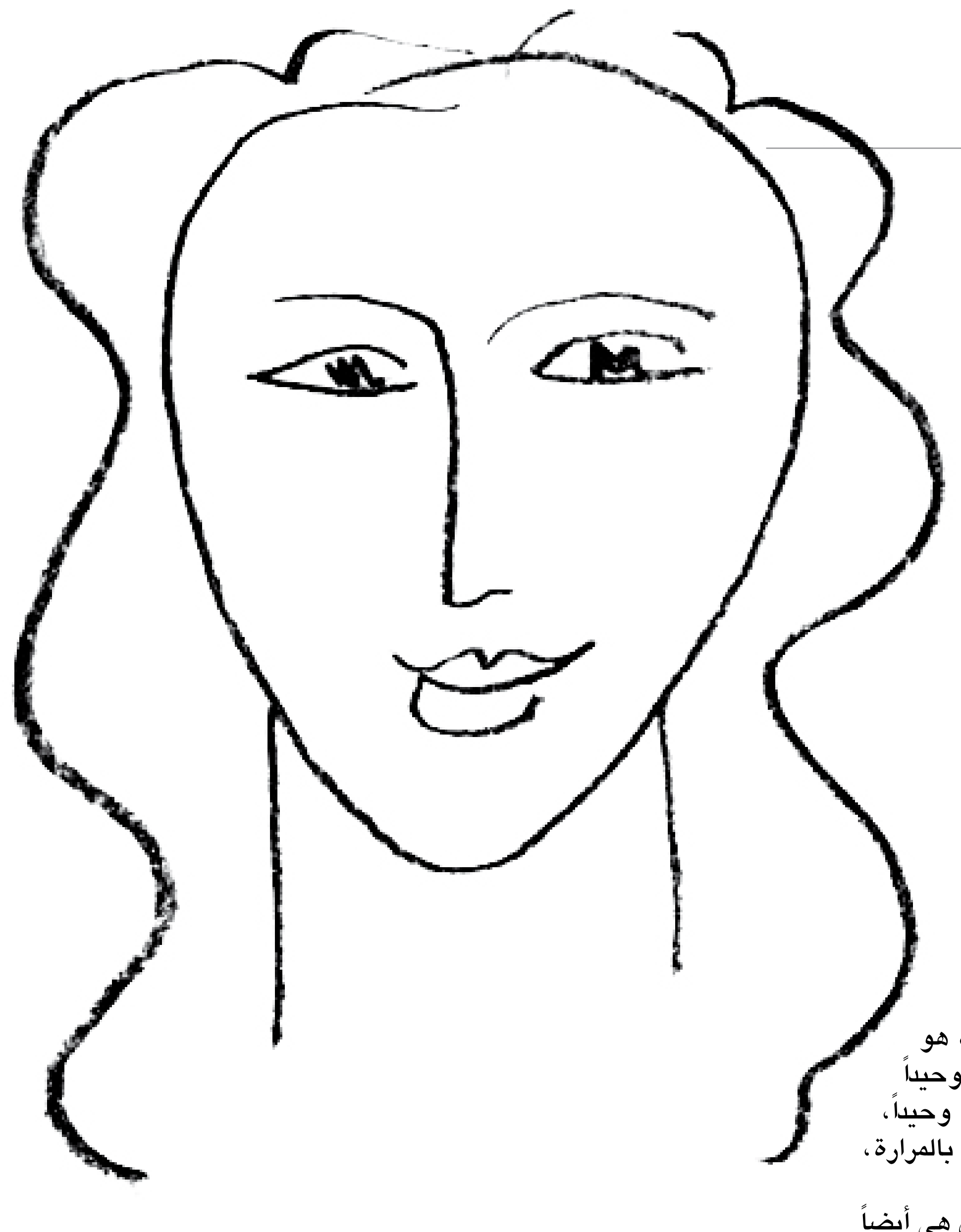
فثمة جائزة للفراغ
وولائم للجوع
وثمة أغيار يدبجون التلاشي
بالياقات المنشاة، والأحرف المدماة
في وليمة افتضاض الخرائط
والانتحار الجماعي
في محفل البلاهة والجنون

3

إلى شريف الشافعي
ولد لا يلوي على شيء
منطاده الريح والأسئلة
فضاؤه الكون
وكونه الإنسان
ذات لا تأكل في وعاء الآخرين
والآخرون يتنمرون
والطريق محض غواية وجنوح
لا غرابة للغريب
ولا صدفة في المجهول
لا جهالة أو رطانة
أنت في الحضرة
لا خرقة
لا ورقة توت
لا يرى عورتك إلا العراة
ولن تسترك غلالة أو سحابة
لن تستحم بغير مائك
ولن ترى إلا ما خط في نسيجك
الحي
حيث لا مسودات أو براءة اختراع
وجينك الأريب
يؤلب الخيال في فضائه المقطب الضحوك
يشق بطن ضفضعة وحوت
والمذنب العفريت لا يني يرجف
في جهامة الطقس
بين لا وأين
كيف ربما وهل
لا تفلح الماشطة الحيزبون
ولا غواة القصف في الفراغ
ولا الزناة والمسوخ
أن يسرقوا مشيمة المجاز
لأنك الطفل الخرافي النجيب

4

إلى محمد داوود
ثمة غسق لولبي
وأراجيح طفولة
وطريق ترابي
بين جبانة ونورج قديم
وأمنا الغولة
تعلك الملالة وتهش صغار العفاريت
كنت منصتا للريح والثعالب المتسللة
لم تكن تخاف من ألاعيب الظلام
وأنت تقدح الزناد
في استعادة الخطى لوقعها القديم
وأنت تزفر الوجود في الدعاء
خلف شيخك الزنديق
في صلاة الاستسقاء
ليس جينك الشقي
ولا نواتك المشاغبة
ليست العصافير والغربان
في مواسم الحصاد
ولا عودة العفاريت
في الليالي الدامسة
ليس ثعبان الجسر
الذي طاردك حتى فأس أبيك
الذي قطع رأسه بضربة ساحقة
كنت مشدوداً لسحابة زرقاء
وأنت تتابع طائرتك الورقية
في جنوحها الأخير قبل السقوط
لم تكن الكرات
ولا مشاغبات الاصطفاف في الصباح والفصول
ولا مدرس الألعاب في وقاره المجنون
لكنها فتاتك المغرورة المراوغة
و العاشق الصغير
والتجريس في الطابور
والمعلم المنقض كالبهيمة المهتاجة
وأنت في شموخك النحيل
صامد كالطود.. كالنخيل



عائداً إليها

| إياد الدليمي

في الفضاء، كل شــيء كان يتراءى له ســراب، هو لم يقرر تلك اللحظة الشــاردة، فرضت عليه، كان وحيداً يقف خلف الأســلاك، كل من كان معه دخل إلا هو، وحيداً، مثلما جاء أول مرة، حاول مراراً أن يغالب إحساسه بالمرارة، حاول، دائماً ما تنتهي الأشياء بخلاف ما نتمنى.

وقــف بعيداً هنــاك، ابتعد أكثر، كانت الشــمس هي أيضاً تبتعد، اصفرَّ لونها، احمرَّ، ســقطت، ســقطت، لبست قناعها الأسود، لم يبق أحد، بقي وحيداً مرة أخرى، سكن كل شيء، حتى أصوات العصافير التي كانت تحط على الشجرة القديمة خفتت، بقــي صوته، وحيداً كما جاء، حاول، ســعى لإقناع نفسه أنه سيدخل، عبثاً، فلقد دخلوا وبقي وحيداً.

هو يتذكر جيداً، يوم ارتمى في أحضان معشوقته، لم يكن يريد أكثــر من ذلك، فهو لا يعرف إلا لونــاً واحداً للحب، كان يمني النفس بقصيدة عشق سيكتبها، تضاهي في روعتها كل قصائد العشــق العربية، كان يمني نفسه بالبقاء إلى جانبها، إلا أنها كانت قاســية، قاســية معه كانت، ولــم يتغير، بقي عاشقاً.

في يوم كان النهار كئيباً، امتلأت السماء بالدخان الأسود، هطلــت، مطراً أســود، ما عاد للشــمس من وجــود، تغيرت الوجوه، تغير لون النهر، لم يبق من شــيء ثابت سوى ذاك الظلام، خيَّم على كل شــيء، دخلت أفواجٌ من موتى، جراد، بل ربمــا كانوا ديناصــورات، عبثت بكل الأشــياء، صاحت بالموتى، شــاب الولدان، وتصابى كثيراً من شــيوخ، داسوا المكان بسنابك سود، سود، كل شيء كان أسود.

وكانــت هــي ذات الضفائر، تقف وحيدة، لم تكن تخشــى الموت، ولكن كانت تخشــاهم، هتكوا سترها، وبقيت، داسوا بطرف أقدامهم السود خمار وجهها، وبقيت، نادته، اخرج أيها الحبيب، كان يرى ويموت كمداً وغضباً، كان يرى، ولكن...

يتذكر جيداً كيف صاحت به أمه، «هل ســتبقى جالساً، لقد خرج الجميع إلا أنت»، قرر أن يخرج، لم يخرج، ولكنه خرج، كانــت أول رصاصة يطلقها فــي حياته، قتلــت ديناصوراً، وتمكن من صرع جرذ، وجرذ آخر، كان يشــعر أنه ينتقم لها، ولكنها كانت تريده أن يخرج، فالمكان لم يعد له.

هناك عند حافة الأشياء وقف، ساعياً نحو الخروج، ساعياً نحو أمنه المفقود، ولكن لا أحد، بقي وحيداً، دخل الجميع إلا هو، فوثائق ســفره كانت مرفوضة، بقي عند السلك الفاصل بين الوطن والوطن.

تذكر أن الموت واحد، كان يقرأ ذلك كثيراً، وكثيراً ما غاب كنــه ذلك عنه، عاد، هو أدرك جيداً أن لا أحد خلف هذا المدى الواسع يمكن أن يقبله.

في الصباح، عندما كان ينام تحت شــاحنة عابرة للحدود، فتــح المذيــاع «قررت الســلطات الأردنية إغــلاق الحدود مع العراق إلى أجل غير مسمى» شعر أنه حر، قرر العودة إليها، إلى بغداد.

ذكرى

| محمد عبد السلام منصور

دنت الـمنى فتبســم الأمـل ... واغْرَورَقَتْ بـالـفرحة المقـلُ

هبت نـسيماً عـاطراً خـجلاً ... فـتضمخي بالـحب يـا قبـل

ثـم اسـكبـيـني قبلـةً لـيـذوق صلاةَ عشقي عطرُهـا الخَجِـلُ

ألـثمتهـا؟ لا! إننـي ثـمـلٌ ... مما سـقاني طـرفها الـثَّمِـلُ

لكننـي مـا زلتُ أذكـرني ... أجري كـطفـلٍ ضائعٍ يَصِـلُ

حين انثنت نـحوي كـظـامئةٍ ... وأنـا كماءِ الغيثِ أنـهَمِـلُ

أشـعلتُ فـيهـا مُنيتي قبستْ ... مني مـناهـا فـالمنى شُعَـلُ

وتمـاهتِ الأحـضـانُ دافئةً ... أنـفـاسُهـا والحبُّ مُكْتَمِـلُ

وتبسّمَ التفاحُ بالشّغَفِ الـمفتونِ طـابَ بثغرِهِ العسـلُ

فنسيت مـن منّـا أتـى ومتـى ... جئنا فـكـان الـعشـقُ والغزَلُ

إمّا أفقنـا الـدمـعُ شـاهدُنا ... غِبنـا وفينـا للهـوى نَهَـلُ

فسلوا العيونَ فإنها وطنُ العشـاق غيرَ الدَّمعِ لا تسلوا

هو كـاشفُ الأسرارِ يـحفظها ... ذكرى تـخلّـدهم وإن رحـلوا

فـجنونهـم دِيـنٌ ولـهفتُهـمْ ... وحيُ الجَوَى والأدمعُ الرُّسُـلُ

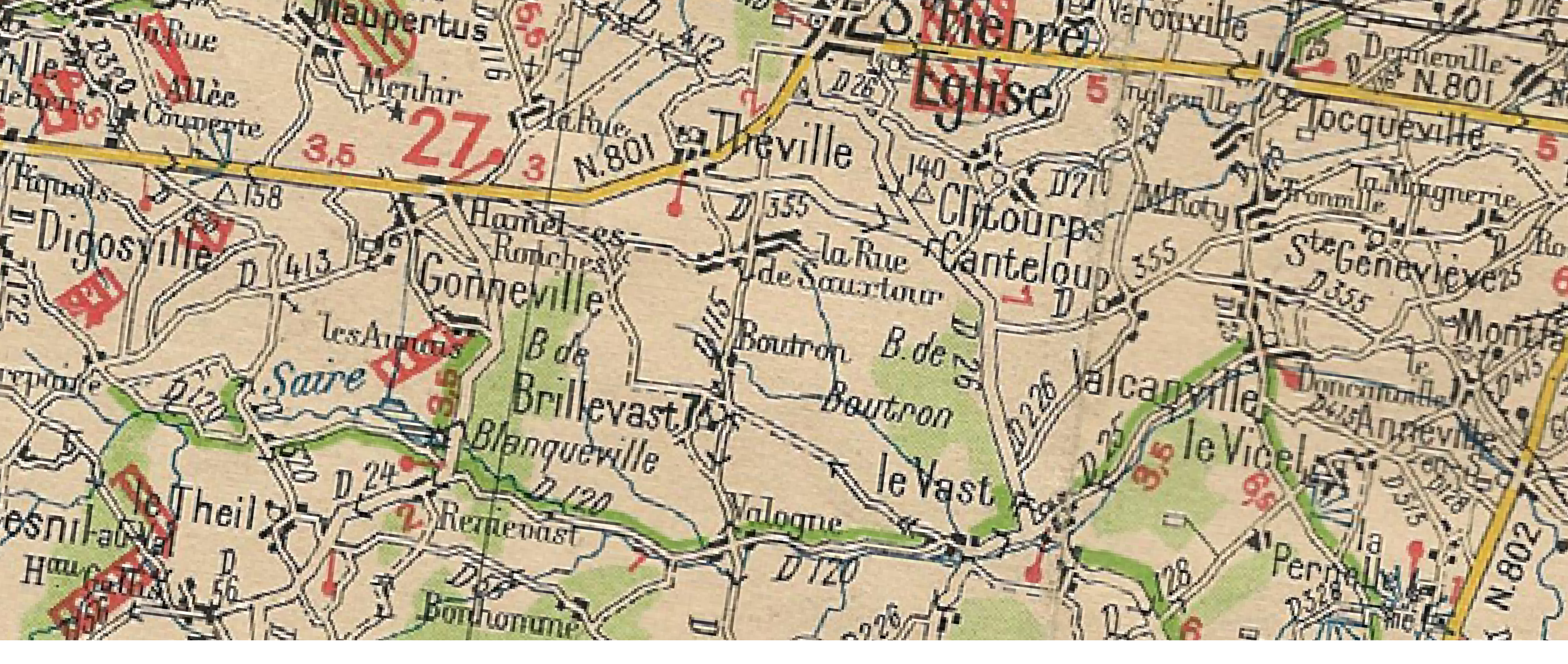
عشقوا صَفَتْ أرواحُهم وسرتْ ... نـوراً بمـا قـالـوا ومـا فعلوا

مـنحوا الحبيبَ القلبَ فالتحفا ... بـصفـائـهم وتـشـرّد المللُ

الـوصلُ يُبكيهم ويـذبَـحُهم ... جَفوُ الحبيبِ ومـا لهم بـدلُ

غنّى لـهم داوودُ فـانغمرت ... جنيةٌ في الـعشـقِ تـبتهـلُ

لترى جـمالَ الـكـائناتِ على ... قبلاتِهم إذْ جـاءَ يـغتسـلُ





ميشال ويلبيك.. حداثة كلاثيكية!

يعتبر ميشال ويلبيك (53 سنة) بمثابة «الطفل المرعب» للأدب الفرنسي الحديث بسبب كتاباته المثيرة للجدل التي تعالج بطريقة انقلابية قضايا العزلة وعبثية الحياة والبؤس العاطفي الذي يرزح فيه الأفراد في المجتمعات الحديثة. تخلى عنه والداه وهو طفل فربته جدته لأمه تربية متقشفة قادته في وقت مبكر إلى الانعزال والتأمل، وتكريماً لها سيتخذ من اسمها لقباً أدبياً (اسمه الحقيقي ميشال طوماس). تخرَّج في المعهد العالي للزراعة مهندساً متخصصاً في البيئة ولكنه بعد فترة بطالة طويلة سيقرر احتراف الكتابة الأدبية ويختارها مصيراً شخصياً بعد أن تبناه الكاتب ميشال بولطو مدير المجلة الفرنسية الجديدة ذائعة الصيت.

سينشر ديوانه الشعري الأول «مطاردة السعادة» سنة 1992، وينال عنه جائزة تريستان طزارا، وينشر له موريس نادو روايته الأولى «توسيع مجال المقاومة» سنة 1994 التي ستترجم إلى عدة لغات وتوطد شهرته بين القراء (30 ألف نسخة)، وفي سنة 1996 سينال عن ديوانه «معنى المقاومة» جائزة فلور، ثم جائزة نوفمبر عن روايته «الأجزاء الثانوية» سنة 1998، كما سينال في نفس السنة عن مجموع أعماله الجائزة الوطنية الكبرى للأدباء الشباب.. كما سيحرز سنة 2005 جائزة أنتير أليي عن روايته «إمكانية جزيرة» التي سينقلها بنفسه إلى السينما. وأخيراً سيتوج هذا المسار المظفر بجائزة الغونكور الشهيرة عن روايته «الخريطة والأرض»(430 صفحة) الصادرة عن دار فلاماريون أواخر 2010، والتي ننشر هنا مقطعاً منها.

بفضل كل هذا النجاح الساحق يعتبر اليوم ميشال ويلبيك في نظر النقاد دون منازع الكاتب الفرنسي الأكثر أهمية في الداخل، والأكثر شهرة في الخارج.

نقرأ على غلاف هذه الرواية (500 ألف نسخة) الكلمات التالية: «الفن والمال والعلاقة مع الأب والموت، وفرنسا وقد صارت فردوساً للسياح.. تلك هي بعض موضوعات هذه الرواية التي تقدم نفسها بكل تصميم كرواية كلاسيكية، وفي نفس الوقت تعلن عن انتسابها المفتوح إلى الحداثة».

إن ويلبيك، الذي نقدمه هنا للقارئ العربي، يعتبر روايته هاته بمثابة رسالة رمزية لأولئك الناس الذين يعتقدون بأن التعرف على الخريطة يُغنيهم عن اكتشاف الأرض.

الخريطة والأرض

| ترجمة: **حسن بحراوي**

غالبـاً ما كان عمل جاد مارتـان يُقدم على أنه صادر عن تأمل محايـد ومجرد للوضـع العالمي حتـى أن بعضهم جعل منه وريثاً لكبار فناني القـرن الماضي. غير أنه وتحت تأثير نوع من الاحتقان العصبي سـوف يقوم، مباشرة بعد عودته إلى باريـس، باقتناء جميع ما وجده معروضـاً للبيع من خرائط ميشلان، أي أكثر قليلاً من مئة وخمسين خريطة. وقد توصل سـريعاً إلى اكتشـاف أن أكثرها أهمية هي تلـك التي تنتمي لسلسـلة «ميشـلان الأقاليم» التي كانت تغطي جزءاً كبيراً من أوروبـا، وخاصة منهـا تلك التي تهم المقاطعات الفرنسـية حصراً. وهكذا سـيدير ظهره للتصويـر الفوتوغرافي الفضي التقليـدي الذي مارسـه حتى الآن، ويقـوم باقتناء تجهيزات رقمية عالية الدقة:

Betterlight6000-HS/48 bits RGB/6000x8000 pixels

وخلال قرابة سـتة أشـهر لم يكن يغادر منزله إلا نادراً، وإذا ما حـدث ذلك فلأجل القيام بنزهة يومية تقوده إلى السـوق الممتاز كازينو الواقع في ناصية شـارع فانسـان-أيول. أما علاقاته بزملائه مـن طلاب الفنون الجميلة، التي كانت أصلاً جد محدودة خلال فترة الدراسـة، فقد تناقصت حتى تلاشـت تماماً. وهكذا تفاجأ وهو يتوصل في بداية شهر مارس برسالة إلكترونية تقترح عليه المشـاركة في معرض جماعي بعنوان «لنبقَ لطفاء» ستشـرف عليه خلال شهر مايو مؤسسة شركة ريـكار. وقد أجـاب بالقبول مع رجوع البريـد الإلكتروني من دون أن يفطـن إلى حقيقة أن اعتزالـه، المقصود تقريباً، هو الـذي خلق حوله هالة من الألغاز والغموض وجعل العديد من زملائه القدامى يتطلعون إلى معرفة المآل الذي يكون قد صار إليه.

وفي صبيحة افتتاح المعرض، سيكتشف أنه لم يتلفظ بكلمة واحدة منذ قرابة الشهر باستثناء تلك «اللاء» التي كان يرددها على مسـامع القيمة على صندوق السوق الممتاز (التي كانت تتغير كل يوم غالباً) عندما تسـأله إن كان يتوافر على بطاقة نادي الكازينو. غير أنه سيتوجه في الساعة المعينة من مساء ذلك اليوم نحو شـارع بواسـي-دانغلا، حيـث كانت القاعة تكتظ بنحو مئة شخص، وهو رقم تقريبي، ذلك أنه لم ينجح أبداً في تقدير أعداد البشر. وإذا تغاضينا عن هاجس الدقة فقد كان المدعوون يعدون بالعشرات، وقد شعر في البداية ببعض الانزعـاج وهو يلاحظ بأنه لم يتعـرف على أي واحد من هذا الحشـد، حتى أنه خشـي في لحظة ما أن يكون قد أخطأ يوم الافتتـاح أو لم يهتد إلى مـكان المعرض، بيد أن صوره كانت هناك ماثلة أمامه وهي معلقة تحت إضاءة حسنة على إحدى الجـدران الداخلية. بعد تناول كأس من الويسـكي سـيطوف على القاعة عدة مرات متخذاً مسـاراً مختزلاً، متظاهراً في كل مرة بالاسـتغراق في تأملاته، بينمـا كان دماغه في الحقيقة عاجـزاً عن تشـكيل أدنى فكرة، اللهم ما فاجـأه من أن صور زملائه القدامى قد تلاشـت من ذاكرته وانمحت تماماً، الشيء الذي حمله على التشـكك فيما لو كان ما يزال ينتسب للجنس البشـري، كان عليه على الأقـل أن يتذكر جونفياف، نعم كان على يقين من أنه سـوف يتذكر عشيقته القديمة، وهذا اليقين على الأقل كان بوسعه أن يتشبث به.

عندما انتهى جاد من دورتـه الثالثة أثار انتباهه وجود امرأة شـابة كانت مستغرقة في تأمل صوره بكثير من الاهتمام. لقد كان من العسير عدم الانتباه إليها: ليس لأنها كانت قطعاً أجمل امرأة في هذه الأمسية، بل لأنها كانت على الأرجح أجمل امرأة يراها في حياته قاطبة، كانت بسـحنتها الشـاحبة وشعرها الأشقر المائل إلى الرمادي ووجنتيها البارزتين تتوافق تماماً مـع صورة الجمال السـلافي التي روجت لهـا وكالات عرض الأزياء والمجلات في أعقاب سقوط الاتحاد السوفياتي.

عندما كان يقوم بدورته الموالية، لم يعد لها وجود هناك، ثم رآهـا من جديد حوالي منتصف دورته السادسـة، كانت تبدو مبتسمة وبيدها تمسـك بكأس من الشامبانيا وسط مجموعة صغيرة مـن الرجال الذين كانـت أعينهم تلتهمها بشـهوانية معلنة، بل إن أحدهم بدا فاغراً فاه تماماً.

عندما عـاود العبور، كرة أخرى، أمام صوره المعلقة وجدها مـن جديد هنـاك، لكنها كانـت وحيدة هذه المـرة. وقد تردد للحظـة ثم تقدم وجاء ليتوقف بـدوره أمام الصورة التي راح

يتأملها وهو يهز رأسه.
التفتت جهته ونظرت إليه مفكرة لبضع ثوان قبل أن تسأله:
- « هل تكون أنت هو الفنان»؟
- نعم
أعادت النظر إليه مــن جديد، بانتباه أكبر، خلال خمس ثوان على الأقل، قبل أن تقول:
« أجدُ ما صورتَه جميلاً جداً»
قالت ذلك ببســاطة وهدوء، ولكن باقتنــاع حقيقي. وبما أنه كان عاجــزاً عــن أن يجد جواباً مناســباً فقــد أدار بصره نحو الصورة وقد شــعر بالفعل في قرارة نفســه بأنه ســعيد بما أنجزه. فلأجل هــذا المعرض كان قد اختار تصوير ذلك الجزء من خريطة ميشــلان الخاصة بمنطقة كروز، حيث تظهر قرية جدته. وكان قد استعمل لالتقاط الصورة محوراً شديد الميلان، مكوناً من ثلاثين درجــة أفقياً، مع ضبط علامة الرجحان في مداهــا الأقصى لكي يحصل على عمق كبير في المجال، ثم قام بعد ذلك بإدخال عنصري تشويش المسافة، وأثر الزرقة على الأفق، باستعمال مستنسخات الفوتوشوب.
فــي مقدمة الصورة كانت تظهر بحيرة بروي وقرية شــاتلو-لو-مارشي. وفي البعيد تتعرج الطرقات وسط الغابة مخترقة قرى سان-كوســو، لوريير وجابراي-لي-بــورد التي بدت كأرض من الحلم، ســحرية ومتمنعة. وفي العمق، على يسار الصورة، كنا نستطيع بكامل الوضوح تمييز الشريط الأبيض والأحمر للطريق السيار رقم 20.
« هل تلتقط دائماً صوراً للخرائط الطرقية؟
- نعم...نعم في غالب الأحيان.
- وهل تصور على الدوام خرائط ميشلان؟
- نعم».
فكرت لبضع ثوان قبل أن تسأله:
«هل التقطت صوراً كثيرة من هذا النوع؟

- أكثر قليلاً من ثمانمئة صورة».
فــي هــذه المرة حدقت فيــه بحيرة واضحة علــى الأقل خلال عشرين ثانية قبل أن تواصل:
«يجب أن نتحدث. علينا أن نلتقي لكي نتحدث. سيبدو لك هذا الأمر مفاجئاً..ولكن باختصار.. أنا أعمل لدى ميشلان».
أخرجت مــن حقيبتها الصغيــرة من نوع بــرادا بطاقة زيارة نظر فيها جاد ببلادة قبل أن يحتفظ بها: أولغا شــيرمويوفا، مصلحة التواصل. ميشلان فرنسا.

نــادت عليه بالهاتف صبيحة الغــد واقترحت عليه أن يتناولا العشاء سوياً مساء نفس اليوم.
« أنا لا أتعشى كثيراً..» قال معترضاً على دعوتها.
« أقصد لا أتعشــى كثيراً فــي المطاعم، بل أظنني لا أعرف أي مطعم بباريس.
- أنا أعرف الكثير منهــا» أجابته بتصميم، «بل يمكنني القول إن ارتياد المطاعم يدخل في صميم مهنتي».
سيلتقيان مســاء عند «أنطوني وجورج»، وهو مطعم صغير يتســع لحوالي عشــر موائد يقــع في شــارع أراس. كان كل شــيء في الصالة، بما في ذلك الأواني والمفروشــات، يبدو أنه قد تم اقتنــاؤه لدى باعة الأثريات ويشــكل خليطاً متأنقاً ومتنافــراً مكوناً من الأثــا ث المنقول عن القرن الثامن عشــر الفرنســي، ومن تحف فنية حديثة وأوانٍ وخزفيات إنكليزية. وكانت جميع الموائد مشغولة من طرف السياح، خاصة منهم الأميركييــن والصينيين، بل كانت هنــاك كذلك مائدة يجلس إليها سياح روس. وقد جرى استقبال أولغا كما يستقبل زبون كثيــر التردد علــى المكان من طرف جورج الــذي كان نحيفاً، أصلع، كئيــب الملامح على نحو غامــض، وله مظهر مخنث ســابق. أما أنطوني، الذي كان معنياً بالمطبخ، فقد بدا بديناً دون إفراط، وربما هو كذلك لأنه يحذر من السمنة، لكن لائحة



طعامه كانت تفضح ميله إلى الدهون.
وقد سارع جاد إلى تصنيف الرجلين ضمن طائفة المخنثين أنصاف الحداثيين، أي أولئك الحريصين على تجنب الإفراط والمبالغة وتلافي أخطاء المزاج المرتبطة عادة بطائفتهم، غير أنهما كانا يتركان فسحة لأنفسهما بين الحين والآخر كما حصل عند دخول أولغا إلى المطعم، حيث سألها جورج: «هلا سمحت لي بأخذ معطفك يا عزيزتي؟» ضاغطاً على لفظ «عزيزتي» معطيا إياه إيقاعاً أنثوياً. كانت ترتدي معطفاً من الفرو بالرغم من أن الطقس لم يكن بارداً، ولكن جاد سيكتشف أنها تلبس تحته تنورة جد قصيرة وعصابة رأس من الساتان الأبيض تزخرفها بلورات من محلات سواروفسكي، وكل ذلك جعلها تبدو في غاية الأناقة.
وقد تقدم أنطوني، وهو يضع وَزرة مطبخية حول خاصرته، إلى مائدتهما متمايلاً وهو يقول:
«كيف حالك يا صديقتي؟ هل تعجبك الفراخ بسرطان البحر؟ لقد وصلتنا سرطانات هائلة من ليموزان، إنها هائلة حقاً، ثم أضاف موجهاً الكلام لجاد: عمت مساء سيدي.
وما إن ابتعد عنهما حتى سألت أولغا جاد: «هل تعجبك سرطانات البحر؟»
- نعم..هذا رائع. إنها أكلة تعطي الانطباع بأنها لذيذة، لكنني لا أعرف ما هي على وجه التحديد؟ هل توجد في الدليل؟» كان يظن أن هذا السؤال هو الذي يتعين طرحه ليكون في المستوى.
«لا، ليس بعد. سنقوم بإضافتها للدليل في طبعة السنة القادمة. يوجد حول هذه الوصفة مقال في كوندي ناست ترافلر، وفي مجلة «هي» الصادرة باللغة الصينية».
لم تكن رعاية الفن المعاصر تدخل ضمن الاهتمامات المألوفة لميشلان، أضافت أولغا، فهذه الشركة متعددة الجنسيات، التي جعلت مقرها منذ إنشائها مدينة كليرمون-فيرون، والتي يوجد على الدوام تقريباً ضمن مجلسها الإداري أحد المنحدرين من أسرة المؤسسين، هذه الشركة اشتهرت بكونها مؤسسة محافظة بل أبوية. ولذلك كان من المتوقع أن يصادف مشروعها لفتح فضاء للفن المعاصر بباريس كثيراً من المصاعب من جانب المجالس المسيرة، بينما كانت هي متيقنة من أنه تعبير عن المكانة الرفيعة التي صارت إليها صورة الشركة في روسيا والصين.
«يبدو أنني أضجرك بحديثي هذا». توقفت فجأة عن الكلام. «أنا آسفة لكوني لا أتحدث سوى عن المشاريع بينما نسيت أنني في رفقة فنان».
- لا أبدا. أجابها جاد بلهجة صادقة.
- لا أبدا. فكلامك يسحرني، أنظري، فقد صرفني عن ملامسة طبق الكبد الدسم...».
وبالفعل فقد كان واقعاً تحت تأثير السحر، ولكن مصدر هذا السحر كان على الأصح هو عيناها، وحركة شفتيها عندما تتكلم فقد كانت تضع عليهما أحمر شفاه بلون وردي فاتح ويتناسب تماماً مع لون عينيها.
التقت عيناهما، في صمت، لبضع ثوان، واستقر لدى جاد بأن هذه النظرة التي تحدق في عينيه هي بدون شك نظرة اشتهاء. وقد أدركت هي على التو من خلال نبرته بأنه فطن إلى ذلك.
واصلت أولغا بشيء من التبرم وبلهجة مَن يريد الاختصار: «الخلاصة أنني لم أكن أتوقع أن أصادف فناناً يتخذ خرائط ميشلان موضوعاً لأعماله.
- ولكن أنت تعرفين بأنني أجد تلك الخرائط غاية في الروعة.
- أعرف ذلك، وهو أمر يبدو في صورك».
وقد كان من اليسير جداً عليه أن يدعوها إلى شقته بذريعة الاطلاع على كليشيات أخرى. وفي اللحظة التي دلفت فيها سيارة الأجرة إلى شارع الكوبلان غمره إحساس بالتضايق فقال لها: «أخشى أن تكون الشقة مختلة النظام قليلاً». وبالطبع فقد أجابته بأن ذلك لا بأس فيه. وهما يرتقيان السلم تضاعف انزعاجه، وعندما كان يفتح الباب ألقى عليها بنظرة سريعة فألفى أنفاسها تكاد تنقطع من الاندهاش، ذلك أن عبارة «مختلة النظام» بدت لها غير دقيقة لوصف حالة الشقة، فحول الطاولة القائمة على قواعد حيث استقرت غرفة التحميض كانت الأرضية كلها مغطاة بنسخ الصور المسحوبة، أحياناً من عدة طبقات ربما بلغت الآلاف. ولم يكن هناك سوى ممر ضيق قد أعد بين الطاولة ذات القوائم والسرير الموضوع على الأرض مباشرة. لم تكن الشقة في فوضى عارمة فحسب ولكنها كانت كذلك شديدة الاتساخ، فالأغطية داكنة اللون ومبقعة بمواد عضوية.
«نعم، إنها نموذج لشقة عازب..» قالت أولغا بلهجة تهون عليه الأمر، ثم تقدمت داخل الغرفة وقرفصت لكي تتفحص إحدى الصور، مما جعل تنورتها القصيرة تعلو لتكشف عن فخذيها، بدت ساقاها طويلتين ورفيعتين بشكل لا يصدق؟ ولم يكن جاد قد شعر يوماً بمثل هذا التهيج، وظل يعاني من ذلك حتى أنه أخذ في الاضطراب وهو واقف مكانه وتهيأ له أنه يوشك أن يغمى عليه.
حاول أن يقول شيئاً ولكن الكلمات اختنقت في حلقه. التفتت أولغا جهته وأدركت مباشرة أن الأمر في كامل الجدية عندما أبصرت تلك النظرة العمياء المرتعبة لرجل لم يعد يطيق مزيداً من الاشتهاء. تقدمت نحوه ببضع خطوات، احتضنته بجسدها المثير وقبلته ملء فمه.
كان من الأفضل لهما الذهاب إلى شقتها هي. وطبعاً فقد كان الأمر مختلفاً تماماً:
شقة من غرفتين رائعتين، شارع غينمير المشرف على حدائق اللوكسمبورغ. فقد كانت أولغا من تلك الفئة من الروس المولعين الذين أتاحت لهم سنوات تكوينهم أن يكونوا نظرة خاصة عن فرنسا لا تخرج عن فنون ملاطفة النساء وتذوق الطعام وقراءة الأدب، ولذلك تجدهم يأسفون باستمرار فيما

بعد لكون صورة البلد الواقعية لا تتفق مع سابق انتظاراتهم. وإنــه ليتهيأ لنا أكثر من مرة بــأن الروس لم يقوموا بثورتهم العظيمة التي خلصتهم من الشــيوعية إلا لتحقيق هدف واحد هو ارتياد محلات ماكدو لاندز ومشاهدة أفلام توم كروز، وهذا أمــر صحيح إلى حد ما، ولكننا نجد كذلك عند أقلية منهم ميلاً إلى تذوق أحسن الخمور أو زيارة الكنيسة المقدسة.
كانت أولغا، بفضل مســتواها الفكري وثقافتها العامة، تنتمي إلــى هذه النخبــة. وكان والدها وهو عالم إحيــاء في جامعة موســكو، متخصصاً ذائع الصيت في دراســة الحشرات حتى أنهم خلعوا اسمه على حشرة سيبيرية من فصيلة الفراشيات. ولم يكن الرجل، ولا أحد من أفراد عائلته، قد اســتفاد حقاً من التحــول الكبير الذي حدث عند ســقوط الامبراطورية، كما لم تصبهم الفاقة من جراء ذلك، بل حافظت الجامعة التي يعمل فيها على اعتمادات مقبولة، وبعد بضع ســنوات متقلبة سينتهون إلى الاستقرار كما ينبغي في صفوف الطبقة الوسطى. ولكن إذا كانت أولغا تستطيع الآن العيش حياة الترف في باريس، وأن تكتري شــقة من غرفتين شــارع غينمير، وترتدي ألبسة رفيعة، فإن ذلك تحديداً بفضل راتبها عند ميشلان.
وبعد أن صاراً عشيقين ســوف يتوطد سريعاً إيقاع جديد في حياتهما. ففي كل صباح يغادران الشــقة ســويا. وبينما هي تركب سيارتها الصغيرة البارك لين لكي تلتحق بعملها بشارع الجيش الكبير، كان هو يستقل المترو ليلتحق بمحترفه بشارع المستشــفى. وكان هــو يعود في المســاء غالبــاً قبلها بوقت قصير.
وقــد تعودا على الخروج معاً بانتظام كل مســاء، وكانت هي بعد أن حلت بباريس منذ سنتين لم تصادف أية صعوبة لكي تحيط نفسها بشبكة كثيفة من العلاقات الاجتماعية. وقد قادها نشــاطها المهني إلى مخالطة الأوســاط الصحفية والإعلامية بأكثر مما فعلــت مع قطاعات الســياحة والمطاعم. ولكن في جميع الأحوال كان بوســع فتاة في مثل جمالها أن تجد مكانها حيثما تشاء، وتلاقي الترحيب في أية حلقة كانت. وقد كان أمراً مثيراً للاســتغراب أنها في الوقت الذي التقت فيه بجاد لم تكن على علاقة بأي عشيق معجب بها، ويتضاعف الاستغراب من كون اختيارها قد وقع عليه هو بالذات دون غيره. ولكن مهلاً، فقد كان أقرب إلى الشــاب الوســيم، ولكن مــن النوع القصير والنحيف الذي لا تســعى إليه النساء في الغالب. كانت صورة الرجل الخشــن والفحل قد عادت بقوة قبل ســنوات، ولم يكن ذلك محض تغيير بســيط في الموضة، بل كان بمثابة عودة مظفــرة إلى جوهر الطبيعــة، أي إلى الجاذبية الحســية بما تتضمنه من بدائية وعنف، ومضى إلى غير رجعة عهد الرجال ذوي الهيئات الرشــيقة، ولم تعد النساء مفرطات البدانة تجد من معجبين ســوى بين الأفارقة والمنحرفين. لقد كانت بداية الألفية الثالثة في مختلف المجالات إيذاناً بالعودة إلى الافتتان بالنموذج البســيط الذي حنكته الحياة، أي الجمال الذي يعبر عنه الامتــلاء لدى المرأة، والطاقة الجســدية لدى الرجل. بيد أن وضعــاً شــبيهاً بهذا لم يكن في الحقيقــة لصالح جاد. فلم يكن مساره الفني يتضمن أي شيء مثير، بل إنه لم يكن فناناً بالمعنى الحقيقي للكلمة، فلم يســبق له أن أقام معرضاً، ولم يكن قــد كُتب مقال واحد عن فنه أو شــرح أهميته للعالم، بل إنــه كان في تلك الحقبة مجهولاً تقريباً من الجميع. نعم، كان اختيار أولغا غريباً، وكان بوسع جاد أن يستغرب له بالتأكيد لو أن طبيعته كانت تســمح له بالاســتغراب من هذا النوع من الأشياء، أو ملاحظتها على الأقل.
ومهمــا يكن، فخلال بضعة أســابيع جرت دعوته إلى عدد من حفلات الافتتــاح، والعروض الأولــى، والكوكتيلات الأدبية يفوق عدد جميع ما حضره خلال كل ســنوات دراسته للفنون الجميلــة. وقد اســتوعب بســرعة ما يتعين عليه من ســلوك موافق لمثل هذه المناسبات. فلم يكن من الضروري على المرء أن يكــون نابغة، بل الأفضل له في الغالــب ألا ينبس بكلمة، ولكــن كان من المفــروض فيه أن ينصت إلــى محاوره، وأن يفعل ذلك بكامل الجدية والتفهــم، متلفظاً بين الحين والآخر بكلمة «حقاً» لكي يعبر عــن اهتمامه أو مفاجأته بما يقال، أو بكلمة «طبعاً..» التي يضمنها نبرة استحسان وتصديق. ومن جهة أخرى فقد كانت القامة القصيرة لجاد تســهل عليه اتخاذ وضــع الخضوع الذي غالباً ما يروق للمتحدثين في المســائل الثقافية، كما يروق في الحقيقة لجميع البشر.
وأخيراً تمت انطلاقته في الميدان، إذ لم تجد أولغا أي صعوبة تذكر في إقناع مديرهــا بتنظيم المعرض الأول لجاد في بناية تابعة للشركة تقع في شارع بروتوي. وقد ذهب لزيارة المكان فوجده فســيحاً وإن كان كئيباً بعض الشــيء، وكانت جدرانه وأرضيته من الأســمنت الداكن، وقد بــدا له هذا المظهر الأجرد شيئاً مناسباً. ولم يقترح أية تعديلات وإنما اقتصر على طلب إقامة لــوح كبير إضافي عند المدخل. ولكنــه بالمقابل أعطى تعليمات دقيقة بصدد الإنارة وقضى عدة أســابيع في التحقق من أنها قد طبقت حرفياً.
أما تاريخ الافتتاح فقد حدد بذكاء في 28 يناير، وذلك لإتاحة الوقــت لعودة النقاد مــن عطلتهم الشــتائية، وتمكينهم من الاستعداد الكافي لمباشــرة عملهم. وكانت الميزانية المقررة لمأدبة الاســتقبال جد كافية. أما المفاجــأة الحقيقية الأولى التــي صادفها جاد فقد كانت ذات صلة بالمراســل الصحفي: ذلك أنه تحت تأثير الأفكار المســبقة ظل على الدوام يتصور المراسلين الصحفيين كمدافع قاصفة، غير أنه فوجئ بوجوده أمام مخلوقة صغيرة متعكرة المزاج، نحيفة ومقوسة الظهر تقريباً، ســميت بمحــض الصدفة مارليــن. وكانت فضلاً عن ذلك باديــة العصبية إذ ظلــت طوال الوقت الذي اســتغرقه لقاؤهما الأول منشــغلة بقلق بفتل خصلات شعرها الأسود الطويل المنســدل، مشكلة منها عقداً يتعذر حلها قبل أن تعمد إلى انتزاعها فجأة. وكان أنفها لا يتوقف عن الســيلان، وفي حقيبة يدها ذات الحجم الهائل، الأقرب إلى قفة، كانت تحمل عــدداً كبيراً من علب المناديل ذات الاســتعمال الوحيد، وهو



العـدد الكافي لاسـتهلاكها اليومي. أما لقــاؤه بها فقد تم في مكتـب أولغا، وكان منظراً غير مريح تماماً أن نرى جنباً إلى جنب هذه الكائنة البانخة، ذات المظهر بالغ الاشتهاء، وتلك المــرأة القصيرة البائسـة، عديمة الإثارة: حتــى أن جاد قد تساءل في قرارة نفسـه إن لم تكن أولغا قد اختارتها تحديداً لقبـح منظرها لأجل أن تزيح من حولها كل منافسـة أنثوية محتملـة. لكن ذلك غير صحيح بكل تأكيـد، ذلك أنها كانت على ثقة عالية في جمالهـا الخاص، كما أنها كانت تملك من الموضوعية ما يجنبها الشـعور بالمنافسـة طالما لم يوجد ما يهدد تفوقها، وهو الشـيء الذي لم يحدث أبداً في حياتها الواقعيـة، وذلك بالرغم من أنه كان يحدث لها، وهي تتابع اسـتعراضاً للموضة تبثه قنـاة م6 التلفزية، أن تغبط هذه الممثلـة على وجنتيهـا أو تلـك العارضة علــى عجيزتها. والحقيقة أن أولغا إذا ما كانت قد اختارت مارلين، فلأن هذه الأخيرة اشتهرت بكونها مبعوثة صحفية ممتازة، والأفضل من دون شك في مجال الفن المعاصر، على الأقل في السوق الفرنسية.

وقد أعلنت مارلين بصوت معول: «أنا جد سعيدة بالعمل على هذا الموضوع.. سعيدة تماماً».

كانـت أولغا تتكوم على نفسـها وهي تحـاول أن تصل إلى مسـتوى قامتها، وتشـعر من جـراء ذلك بغايـة الانزعاج، وانتهت بأن دلتهمـا على قاعة صغيرة للاجتماعات تقع إلى جوار مكتبها. «سـأدعكما تعملان سوياً..» قالت لهما قبل أن تنسـحب بارتيـاح. أخرجت مارلين مذكـرة كبيرة من قياس 21X29,7 وعلبتين من المناديل الورقية قبل أن تواصل: «في البداية درست الجغرافيا ثم عرجت على الجغرافية البشرية، والآن تحولت إلى الاهتمام بالكائنات البشرية دون جغرافية» قبل أن تضيف: «هنا إذا جاز أن نسمي هؤلاء بشراً...»

أبـدت رغبتها في معرفة إذا ما كانـت لديه تفضيلات بصدد منابر صحفيـة مكتوبة بعينها، ولم يكـن الأمر كذلك، ففي الواقع لا يتذكر جاد أنه اشترى طيلة حياته جريدة أو مجلة. كان يحب مشاهدة التليفزيون، خاصة في الفترة الصباحية، حيـث يمكن التنقل المريح بين القنـوات من برامج التضامن الاجتماعي إلى أخبار البورصـات، وأحياناً، إذا احتاج إلى الاطلاع على موضوع ما، كان يلجأ إلى اسـتعمال الإنترنت، لكـن الصحافة المكتوبة كانت تبدو لـه من مخلفات الماضي التي لن تعيش أمداً طويلاً على الأرجح، وفي جميع الأحوال فهو لم يكن يرى مطلقاً أية فائدة أو طائل من ورائها.

«أنـا موافقـة...» علقت مارلين بتحفـظ. «إذن أفترض أنني سأكون مخولة لأتصرف كما أشاء».

وبالفعل فقد مارسـت هذا الترخيص واستعملته بكل طاقتها. وعندما دخلوا قاعة شـارع بروتوي ليلة الافتتاح، ستصيب المفاجـأة أولغا «هناك أناس كثيرون» قالت أخيراً وهي غير مصدقة. «نعم، لقد حـج الناس» أكدت مارلين بارتياح خفي مشوب بشيء يشبه الضغينة. كان هناك حوالي مئة شخص، ولكن ما كانت تقصده هو أن هناك أناسـاً مهمين، لكن كيف السـبيل إلى التعرف عليهم؟ الشخصية الوحيدة التي تعرف عليها جاد من مظهرها هو باتريك فوريسـتيي، أي الرئيس المباشر لأولغا، ومدير الاتصال بشركة ميشلان فرنسا، وهو أحد خريجي معهد البولتيكنيك من الطراز المألوف وقد قضى ثلاث ساعات وهو يحاول أن يرتدي لباسا «فنياً» للمناسبة، مسـتعرضاً كل محتويات خزانة ملابسه قبل أن يستقر على بذلة رمادية اعتيادية ارتداها بدون ربطة عنق.

كان إطار كبير قد سـد مدخـل القاعة، تاركاً فــي جانب منه ممراً من متريــن، وعلى هذا اللوح ألصق جاد جنباً إلى جنب صورة ملتقطة بواسطة الأقمار الاصطناعية لضواحي مدينة غيبوبلير وأخرى مكبرة لخريطة ميشلان لنفس الإقليم. وقد كان التناقـض صارخا: فبينما كانت صور القمر الاصطناعي تبـدو في لون أخضر علــى هذا القدر أو ذاك مــن الانتظام، وتنتشـر فوقـه بقع زرقـاء باهتـة، كانت الخريطـة تمثل شـبكة فاتنة من الطرقات الإقليميـة، والمناظر، والغابات، والبحيـرات، والممـرات الجبلية، وفـوق هاتين الصورتين المكبرتيـن كان ينتصـب بحروف سـوداء سـميكة عنوان المعرض: «الخريطة أهم من الأرض».



العمل الفني: سلمان المالك - قطر

صبي سعيد*

بيورنستيرن بيرنوسون

| ترجمة: **ياسر شعبان**

كان اسمه «أويفيند»، وبكى عند ولادته، لكنه سرعان ما جلس في حجر أمه وضحك، وعند إشعال الشمعة خلال فترة المساء جلجلت ضحكته في أركان الحجرة، لكنه بكى عندما لم يُسمح له بالوصول إليها.
قالت أمه: «هناك شيء مهم مرتبط بذلك الصبي».
كان هناك جرف صخري، لم يكن مرتفعاً، يُشرف على المنزل حيث ولد، وكانت أشجار التنوب والبتولا تتدلى منه فوق سطح المنزل وفوقها تمتد زهور الكرز.
وفي السطح، كانت هناك عنزة صغيرة تخص «أويفيند»، وكانت محتجزة هناك لمنعها من التجول بعيداً، وكان «أويفيند» من يحمل الأوراق والعشب لها.
وذات يوم تسلقت العنزة الجرف، لتصل إلى مكان لم تألفه قبل الآن قط.
لم يرَ «أويفيند» العنزة عندما صعد إلى السطح خلال فترة ما بعد الظهر، وعندئذ فكر في الثعلب. وأصبح جسده ساخناً، وتطلع في كل مكان حوله باحثاً عن الثعلب، وهو يصرخ منادياً عنزته: «كيلي، كيلي، كيلي، كيلي... يا عنزتي»!
مااااء! أجابت العنزة من أعلى الهضبة، وقد وضعت رأسها على أحد الجانبين وتطلعت لأسفل.
في جوار العنزة، كانت هناك فتاة صغيرة جاثية على ركبتيها.
سألته: هل هذه عنزتك؟

فتح «أويفيند» فمه وعينيه عن آخرها، واضعاً يديه في جيبي بنطاله، وقال: من أنت؟
قالت: «أنا «ماريت»، أصغر أطفال أمي ومدللة أبي وفتاة المنزل الجميلة الشقية، وأنا حفيدة «أولا نورديستون هيدجاردز»، وسأكمل عامي الرابع الخريف القادم، بعد يومين من ليالي الصقيع... أنا»!
شهق عميقاً، لأنه لم يجرؤ على التنفس أثناء كلامها، وصاح فيها: «هل هنا ما أنت عليه»؟
تساءلت مُجدداً: «هل هذه عنزتك»؟
أجاب رافعاً عينيه: «نعممم»!
قالت: «إنني معجبة بهذه العنزة، ألن تعطيها لي»؟
قال: «لا، في الحقيقة لن أفعل».
تمددت ضاربةً كعبيها أحدهما بالآخر، وحدقت إليه، ثم قالت: «لكن ماذا لو أعطيتك الملفوف مقابل العنزة، هل أحصل عليها إذن»؟
كان «أويفيند» ابن ناس فقراء، ولم يكن قد تنوق الملفوف سوى مرة واحدة في حياته، وذلك عندما جاء جده لزيارتهم، ولم يسبق له أن تناول أي شيء يضاهي مذاقه حلاوة، وثبت عينيه على الفتاة.
قال: «دعيني أرى الملفوف أولاً»؟
ولم تتأخر في إظهار قطعة ملفوف كبيرة كانت بيدها، وصاحت: ها هي! ودفعتها إليه.
قال الصبي مندهشاً: أوه! لقد تفتت! والتقط فتاتها

بعنايــة فائقةً، لم يُتح له الفتــات بتذوق طعمها، وكان مناقها طيباً بما يجعله يحاول تناول قطعة أخرى، وقبل أن يعرف ذلك بنفسه كان قد ابتلعها كلها.
قالت الفتاة: «الآن العنزة ملكي».
توقف الفتى عن مضغ آخر قطعة في فمه، وكانت الفتاة مسـتلقية هنــاك تضحـك، والعنزة تقف إلــى جوارها بصدرها الأبيض وشعرها البني اللامع، ونظرت لأسفل نظرات جانبية مطولة.
توســل الصبي لها: «أليس بوسعك أن تنتظري لبرهة»؟ وبدأ قلبه ينبــض بقوة، وعندئذ ضحكت الفتاة أكثر مما سبق، وسارعت بالنهوض مستندة على ركبتيها.
«لا، العنــزة ملكــي»... قالت هــذا وألقــت ذراعيها على العنــزة، ثم خففت من إحكام ربــط أربطة جوربها التي سبق وربطتها حول عنق العنزة.
تابعهــا «أويفيند». ونهضت واقفة وبدأت تشــد العنزة، لكنها لم تســتجب لها، ومدت عنقها فــوق حافة الجرف الصخري متطلعة نحو «أويفيند».
صاحت العنزة: «مااااااء».
عندئذ قبضــت الفتاة الصغيرة بإحدى يديها على شــعر العنزة وجذبــت الرباط بالأخرى، وقالت باســتظراف: «تعالي، الآن، يا عنزة، يجب أن تذهبي لحجرة الجلوس وتأكلي من طبق أمي ومن مرليتي».
وعندئذ قامت بالغناء:
تعالي، يا عنزة الصبي الجميلة،
تعالي، يا عجلي، يا بهجتي،
تعالي هنا، يا قطتي التي تموء،
في حذائي الأبيض الثلجي،
يا البطات الصفراوات، تعالي من عشك،
تعالي، يا الحمامات، المبهرة أبداً،
بالريش الناعم البراق!



العشب لا يزال رطباً،
لكن الشمس لن تشرق قريباً،
الآن لنستحضر الصيف رغم أن الوقت مازال مبكراً،
والخريف هو القادم الجديد.
ووقف الصبي دون حركة هناك.
لقد اعتنى بالعنزة منذ الشتاء الماضي، منذ ولادتها، ولم يخطر له أنه قد يفقدها، لكنها الآن تلاشت في لحظة، ولن يراها مجدداً.
جاءت الأم من الشاطئ مثقلة بحمل دلاء خشبية تفتش فيها، ورأت الصبي يجلس على العشب بساقيه متقاطعتين أسفله، يصرخ، وتوجهت إليه.
سألته: «ما الذي جعلك تصرخ»؟
قال: «أوه، عنزتي.. عنزتي»!
سألته أمه وهي تحدق للسطح: «لماذا، أين العنزة»؟
قال الصبي: «أبداً لن تعود مرة أخرى».
قالت أمه: «عزيزي! كيف حدث هذا»؟
ولم يعترف «أويفيند» مباشرة.
سألت: «هل اختطفها الثعلب»؟
قال: «أوه، يا يا ليته الثعلب»!
صاحت الأم: «لابد أنك فقدت صوابك!، ماذا أصاب العنزة»؟
قال: «أوه.. أوه.. أوه! كنت سيئ الحظ. لقد بعتها مقابل الملفوف»!
وبمجرد أن لفظ الكلمات، أدرك معنى أن يبيع العنزة مقابل قطعة ملفوف، ولم يكن قد فكر في هذا من قبل.
قالت الأم: « هل تتخيل موقف العنزة الصغيرة تجاهك الآن، وقد قررت أن تبيعها مقابل قطعة من الملفوف»؟
وفكر الصبي مكتئباً، وشعر أنه بلا شك لن يشعر بالسعادة مرة أخرى مطلقاً لا في الحياة الدنيا ولا في الفردوس.
وخيّم الحزن والكآبة عليه، وتعهد لنفسه أنه لن يفكر مطلقاً في اقتراف أي خطأ مجدداً.. لا قطع حبل المغزل، أو ترك الخراف دون رقابة، أو الذهاب للبحر بمفرده.
وشعر بالنعاس وهو مستلق هناك، وحلم أن العنزة قد وصلت للفردوس. وهناك كان الرب جالساً، بلحية طويلة كما ورد في كتاب التعليم الديني، بينما وقفت العنزة تلتهم أوراق شجرة يانعة.
لكن «أويفيند» جلس بمفرده على السطح، ولم يستطع الصعود لأعلى من ذلك.
سمع «مااااااااااااء»!، ورأى العنزة عائدة إليه.
«ما هنا؟! هل عدت مجدداً»؟.. بهذه الكلمات نهض واقفاً، وأمسكها من قدميها الأماميتين، ورقص معها كما لو كانت أخاً له. وجذبَ العنزة من شعر ذقنها، وبينما كان يتوجه بها إلى أمه، سمع صوت شخص ما خلفه ورأى الفتاة الصغيرة جالسةً على العشب جواره. والآن فهم الأمر بأكمله وترك العنزة.
وسألها: «هل أنت من أحضر العنزة»؟
جلست تنتزع العشب بيديها، وقالت «لم يُسمح لي أن أحتفظ بها، وجدي ينتظرني بالأعلى».
وبينما وقف الصبي متطلعاً إليها، نادى صوت حاد بأعلى الطريق: «حسناً»!
عندئذ تذكرت ما يجب عليها أن تقوم به، فنهضت وتوجهت إلى «أويفيند»، ودفعت بإحدى يديها القذرتين إلى يده، وأدارت وجهها بعيداً وقالت: «أستأذنك».
لكن عندئذ خانتها شجاعتها، وألقت بنفسها على العنزة وانفجرت في البكاء.
قال «أويفيند» متلعثماً وهو ينظر بعيداً: «أعتقد أنه من الأفضل أن تحتفظي بالعنزة».
قال جدها من أعلى الهضبة: «أسرعي الآن»! ونهضت «ماريت» وسارت بخطوات مرتبكة متجهة لأعلى.
صاح «أويفيند» منادياً عليها: «لقد نسيت رابط جوربك. التفتت ونظرت أولاً إلى رباط جوربها ثم إليه. وفي النهاية استجمعت نفسها وقالت بصوت متحشرج: «بوسعك الاحتفاظ بها».
صعد متوجهاً إليها، وأمسك يدها وقال: «أشكرك»!
«أوه، لا داعي لأن تشكرني»... ردت عليه وتنهدت بطريقة مثيرة للشفقة، وأكملت طريقها.
جلس «أويفيند» على العشب مجدداً، وكانت العنزة تتجول بالقرب منه، لكنه لم يعد يشعر بالسعادة في وجودها كما كان الحال سابقاً.

كُتبت رواية «صبي سعيد» في الفترة بين 1859 و1860. وفي تقديري الخاص، تعد من أفضل روايات «بيرنوسون» عن حياة الفلاحين. وفيها نجح المؤلف في رسم الشخصيات بمهارة ووضوح مع الحفاظ على تبصره النفسي العميق وأسلوبه البسيط المتقن وتعاطفه الواضح مع شخصية البطل والمحيطين به، كما لم يفعل قبلا في أي من أعماله. ومما يدعم هذه الرؤية ما تحظى به رواية «صبي سعيد» من شعبية هائلة في كامل الأرجاء الإسكندينافية.

* فصل من رواية صبي سعيد للروائي النرويجي بيورنستيرن بيرنوسون ترجمها من النرويجية إلى الإنكليزية «راسموس ب. أنديرسون»



أمير تاج السر

الصباغ

كانت الثانية عشرة والنصف ظهراً في أحد أيام شهر يوليو الحارة والرطبة من العام الماضي، حين توقفت بعربتي أمام مجمع تجاري صغير يقع في الطريق العام، المؤدي إلى المستشفى الذي أعمل فيه.. كنت أقصد محل البقالة أو (السوبرماركت)، وفي ذهني تتراقص زجاجة مثلجة من الكوكاكولا..إنها زاد الصيف الذي نحتاجه بشدة، كلما يبس الحلق، أو نز الجلد عرقاً من لسع الحر والرطوبة..خطوت خطوتين باتجاه البقالة، وإذا بيد رطبة توضع على كتفي، وجسد قديم يحتضنني، وصوت أشيب يخرج متعثراً:

- هل تتذكرني ؟ أنا جان بور.

قلت: نعم.. وكنت صادقاً في ذلك..فالآسيوي الذي تجاوز الخامسة والسبعين.. كان حاضراً في ذاكرتي.. واحداً من أولئك المرضى المسنين الذين يمرون على عياداتنا بصفة شبه يومية، شاكين، ومضطربين، وخائفين من موت يتصورونه وشيكاً، ومزودين بعكاكيز الدواء والتطمين التي نصرفها لهم، ويتوكؤون عليها في سيرهم البطيء. كان مريضاً عادياً جداً، مثله مثل مئات آخرين، وربما لا يتذكره أحد على الإطلاق.. لكن شغفي بالكتابة والأسماء والشخصيات، منحني ذاكرة مفتوحة، ومضيافة، وتحتفي بالجميع بلا استثناء.

في تلك اللحظة أمسكني الرجل من يدي بشدة.. جرني إلى كافتيريا صغيرة كانت ملاصقة لمحل البقالة، وتقدم وجبات سريعة.. كان يقسم بشدة أن يستضيفني في غداء متعجل في تلك الكافتيريا، احتفالاً بمناسبة عثوره عليّ مصادفة، وتحت ضغط من إلحاحه الغريب وافقت، وأنا أنظر إلى ساعتي في قلق، خوفاً من أن يسرقني الوقت ولدي مناوبة في الواحدة. شملتنا الكافتيريا بجوها البارد، ورائحة عمالها وطعامها، وضجيج ماكينة (الآيس-كريم) التي كانت تعمل بكفاءة مشاركة في تثليج ذلك الصيف الحار والرطب. كان الغداء عادياً ومتوقعاً في مكان كهذا.. سندويتشين من همبيرجر شبه محروق، وكوباً من برتقال مر.. وصوت الرجل يمتد:

- هل مازلت تعمل في الصبغ ؟

إذن فقد كان ذلك الاحتفاء، وذلك الإلحاح الغريب في تلك الدعوة لا يخصني بالتأكيد، ولكن يخص صباغاً تربطه بالعجوز صداقة قديمة، أراد تجديدها حين عثر عليه مصادفة..كنت قد أكلت كثيراً من لقم الاحتفاء، شربت عدة جرعات من البرتقال المر، وكان تراجعي في تلك اللحظة، وإخباره بالخطأ، كفيلاً بإجهاض نشوته، وهو يكرم صديقاً.

قلت: لا.. تركت تلك المهنة، والآن أعمل بالتجارة.

أنا أيضاً أعمل بالتجارة.

قال الرجل واسترخى على مقعده البلاستيك، مشعلاً سيجارة من ماركة مالبرو، لا بد قد أضافت تلفاً جديداً إلى أعوامه.. شد نفساً طويلاً وأضاف:

- وابنك حسون، ذلك الشقي.. هل كبر ؟

بالقطع لم أكن أبا (حسون)، ولم يكن في عائلتي، ولا قبيلتي ولا أصدقائي ولا جيراني، واحد بهذا الاسم. كنت بديلاً غير متقن، متورطاً في صداقة ليست لي، ومهنة لم أمتهنها في يوم من الأيام.. واحتفاء فقير لا بد ستقتلني حموضته في الدقائق القادمة. تحسست حبوب (الموكسال) في جيبي واطمأننت:

- نعم.. لقد كبر.

كانت الواحدة تقترب، ومعها يقترب موعد الدوام الرسمي لمناوبتي.. شكرت الرجل على عجل، وأعطيته رقماً لهاتف محمول كنت أملكه ولا استخدمه إلا نادراً، كان مصراً على استضافتي في منزله، وسأل عن وسيلة اتصال. لمحته من خلف الزجاج الرطب يدفع ثمن الاحتفاء، ويخطو بتلك الخطوات المسنة إلى رطوبة الصيف.

بعد عدة أيام جاء (جان بور) إلى عيادتي التي تعوّد على زيارتها.. كان يحمل ملفاً ضخماً غطته عشرات العقاقير المكافحة ضد مرض السكر، وارتفاع ضغط الدم، والكوليسترول، والتهاب المفاصل، ورعشة الأطراف الناتجة من الشيخوخة والآثار الجانبية للدواء. سلّم علي سلام مريض لطبيب.. وجلس على مقعد الكشف يشكو أعراضه، من دون أن يخطر على باله أو ينتبه إلى أنه يجلس أمام ذات (الصباغ) الذي استضافه منذ عدة أيام، في كافتيريا فقيرة على الطريق العام.

الراب

غناء الثائرين

«أنت تريد والدّيكتاتور يريد والشّعب يفعل ما يريد». هكذا يحدثنا منطق الثورات العربية. لا صوت يعلو فوق صوت الشارع. ولا خيار يطغى على خيارات الجماهير. خلال الأشهر الماضية ثلاثة أنظمة سياسية تهاوت بعد عقود طويلة من الاستبداد. قناعات اندثرت وحقائق جديدة برزت. ثورات في تونس ومصر وليبيا واليمن وسورية أماطت القناع عن تخاذل مسؤولين وزيف مثقفين. عرّت جوهر الحقيقة المشوّهة ورفعت عالياً جيلاً جديداً من المغنين العرب اتخذ معظمهم من موسيقى الراب لغة لهم.



حمادة بن عمر

مانبغيش.. العبودية

الفن يواجه الاستبداد

سعيد خطيبي

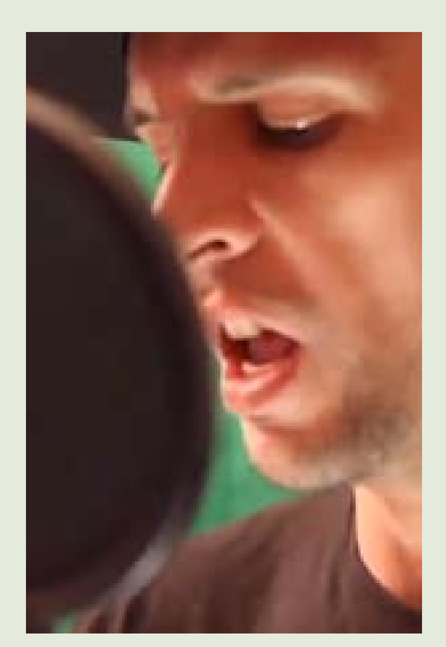
أسبوعان قبل هروب زين العابدين بن علي من تونس، أطلق مغني راب مغمور اسمه حمادة بن عمر (ملقب بالجنرال) أغنية «رايس لبلاد». تضمنت جرأة ولغة حادة في انتقاد رئيس بلد عمّر أكثر من عشرين سنة، فرض خلالها حكماً قائماً على منطق الترهيب والتخويف. أغنية استمع إليها أكثر من مليوني متصفح للإنترنت في أقل من خمسة أيام. وجاء فيها: «رايس لبلاد!.. راني نحكي معاك اليوم باسمي وباسم الشعب اللي عايش تحت العذاب.. اهبط للشارع وشوف.. العباد ولات وحوش.. رايس لبلاد!.. الشعب مات وبرشا عباد من الزبلة كلات».

سبق لبن عمر أن غنى في السياسة، لكن «رايس لبلاد» كانت الأغنية الأكثر صراحة ووضوحاً في انتقاد النظام. كلفت صاحبها اعتقالاً ومساءلات ماراثونية في مقر الشرطة دامت ثلاثة أيام. فبعد أقل من أسبوع من صدور الأغنية وصلت دورية مكوّنة من حوالي ثلاثين شرطياً في زيّ مدني إلى بيت حمادة في صفاقس (شرقي تونس) واعتقلته أمام مرأى العائلة والجيران. ولما سألهم عن السبب أجابوا: «أنت تعرف!».

«رايس لبلاد» أغنية جرّت صاحبها إلى التّحقيق وإلى المضايقات البوليسية وحرّكت مشاعر الملايين من الشباب التونسي الذي واصل الطريق وتمكّن من إجبار الرئيس على الرحيل في 14 جانفي/يناير2011.

لما وصل زين العابدين بن علي إلى الحكم سنة 1987، لم يكن حمادة بن عمر يبلغ من العمر أكثر من بضعة أشهر. كبر في ظلّ نظام أحادي التفكير. وعايش عن قرب سلطة التعسف المطلق وسياسة القمع والرشوة والتفرقة الاجتماعية، مما منحه نبرة مغايرة ونظرة واعية بالحالة التونسية. مثله مثل مغني راب جدد رافقوا تحوّلات الوضع ونهاية بقايا سيستام الحقد، مثل محمد الجندوبي الملقب Psyco-M (بسيكو – أم) والذي يراهن على توظيف التاريخ في أغان يملؤها الغضب والرغبة في التّغيير. كما يدعو الرابير نفسه في بعض الأغاني إلى العودة إلى الإسلام في رسم ملامح تونس الجديدة ومواد الدستور القادم مما أكسبه تعاطف شباب كثر. ويتهم الجندوبي صراحة السّاسة في أغنية «مغالطات» بتغيير قيّم الإسلام بمفهوم القومية العربية. والتلاعب بمشاعر الشعوب وإثارة الفتن من أجل كسب رهانات الكرسي كما وقع السنة الماضية بين الجزائر ومصر بسبب مباراة في كرة القدم.

لطالما ارتبط الراب في تونس، خلال السنوات الماضية، باسم «بلطي»(Balti) الذي لم يهادن زعامات الحزب الحاكم (RCD). واليوم، مع



سولو مونتانا

من غيتوهات بروكلين بنيويورك حيث وُلد الراب نهاية الستينيات إلى الأحياء الشعبية في الجزائر العاصمة ووهران وعنابة مسيرة عشرين سنة



باسيكو

مرور رياح التغيير، برزت أسماء أخرى تحاول فرض خطاب مشابه، أكثر تحرراً وأعمق جرأة، يقترب من هموم الطبقات الاجتماعية البسيطة، ويختلف عن ميول ما يسمى نجوم «البلاط» أمثال لطفي بوشناق.

ميكروفون الشارع

من غيتوهات بروكلين بنيويورك حيث وُلد الراب نهاية الستينيات إلى الأحياء الشعبية في الجزائر العاصمة ووهران وعنابة مسيرة عشرين سنة. فبدايات هذا النوع الموسيقي في بلد المليون ونصف المليون شهيد تعود إلى نهاية 1988 غداة أحداث 5 أكتوبر الدمويّة التي مهدت الطريق للتعددية الحزبية وفتحت أبواب الحرب الأهلية التي دامت عشر سنوات. فرق «انتيك»، «أم. بي. أس»، «حامة بويز» وقعت نشأة الراب في الجزائر. قبل أن تنسحب تدريجياً في زحمة الأحداث وتفسح المجال لظهور أسماء جديدة رافقت أهم التحولات السياسية والاجتماعية التي دارت خلال السنوات الماضية.

بلغة الأرقام يتجاوز عدد مغني الراب في الجزائر عتبة الألف مغن ولكن القليل جداً منهم من استطاع أن يصنع لنفسه اسماً ويستقطب انتباه المتتبعين. الثنائي «دوبل كانو» الذي جمع في البداية بين وهاب ولطفي شكل واحدة من أهم تجارب منتصف التسعينيات. واشتهر بأغان سياسية «صادمة»، على غرار «كاميكاز»، «اللي هلكوا البلاد» و«لاكامورا». ولكن، لم تدم نجومية دوبل كانو طويلاً قبل أن يسقط في مستنقع الولاء للرئيس الحالي عبد العزيز بوتفليقة ويفقد الشعبية التي نالها في وقت سابق. مما حوّل أنظار الجمهور إلى أصوات جديدة تحاول جاهدة الحفاظ على الخط الذي انطلقت منه: معاداة الديكتاتورية ومخاطبة الفئات الاجتماعية المحرومة، كما نلاحظ في تجربة الرابير «Solo Montana» والذي عانى طويلاً من الرقابة وتعرض لمحاولة اغتيال في الجزائر بسبب خوضه في «الممنوع» ومغامرته في انتقاد الساسة ورئيس الجمهورية شخصياً. حيث واكب المغني نفسه مطلع السنة الجارية بداية الثورة المجهضة في الجزائر وتحدث عنها في أغنية «اتهم» حيث عبّر عن قلقه بالقول: «اتهم الجنرالات التي سرقت الملايير.. اتهم النظام سبب الفقر والانتحار.. اتهم البوليس اللي تحقر الشعب.. اتهم الوزراء واتهم القضاة».

أغنية حملت تغييراً مهماً في مسار الراب الجزائري من منطلق مواجهتها لرموز السلطة بالأسماء واتهامهم صراحة بالفساد. لحسن حظ المغني أنه يقيم حالياً في كندا مما جنبه السجن والغرامات المالية، على غرار ما حدث مع الأخوين عبد الرحمان(23 سنة) وحسين تونسي(24 سنة) اللذين حكم عليهما السنة الماضية بعشر سنوات سجناً بتهمة: تسجيل والترويج لأغنية راب «تمسّ رموز الدّولة».

موسيقى الراب هي جزء من ثقافة الهيب هوب التي تضم أيضاً فني رقص بريك دانس والغرافيتي. ونوع الراب المتداول بكثرة بين شباب الثورات العربية يطلق عليه «هارد كور» والذي اشتهر على يد الأميركي «توباك» أو توبام عمارو شاكور(1971 - 1996) والذي لقي مصرعه بثلاث رصاصات



مسلم في الفيديو كليب

في أحد شوارع لاس فيغاس. تاركاً خلفه جيلاً من الشباب يسير على نهجه في الدفاع عن الشرائح المظلومة والمجاهرة في رفض السياسات السائدة، خصوصاً بين زنوج أميركا. وهو النوع الذي تتبناه أيضاً فرقة «Soldats de l'Est» (جنود الشرق) التي أعلنت منذ بداياتها الفعلية السنة الماضية نواياها في متابعة فضائح النظام الجزائري وهو ما نتلمسه مثلاً في أغنية «الله غالب»: «مسؤولين كسروا لبلاد.. أحنا نكسروا الـ silence (الصمت).. les responsables pas de chance.. أولاد الـ... على ظهرنا دارو تاويل.. ما نحك غير الصح واللي حاب يربح.. العام طويل.. génér-tion جديدة.. ماهي تاع قوادة ولا تاع شيته».

مانبغيش.. العبودية!

الراب ليس جديداً على الشباب العربي. فهو معروف ومتداول منذ ما لا يقل عن عشرين سنة. ولكن الفارق الذي ساهم في انتشاره بشكل أوسع في الفترة الأخيرة يتمثل في تطور علاقة الشباب مع الإنترنت والشبكات الاجتماعية، متحدين التعتيم الممارس من طرف الجهات الإعلامية الرسمية، إضافة إلى تسارع الأحداث واستعجالية الواقع مما دفعهم إلى التعبير عن صوتهم وفق الأشكال الأكثر سهولة والأكثر فعالية، مع العلم أن أغنية راب لا تفرض على صاحبها معرفة أكاديمية بالموسيقى، بقدر ما تفرض عليه ليونة ووعياً في طريقة انتقاء الكلمات وتوظيف العامية للاقتراب أكثر من فئات المجتمع البسيطة. عناصر اجتمعت في تشكيل تحالف مغنين جدد واكبوا حركة 20 فبراير في المغرب.

> أغنية الراب تستوجب وعياً في انتقاء الكلمات وتوظيف العامية للاقتراب أكثر من الفئات البسيطة

بعدما خيّب المغني المعروف دون بيغ (توفيق حازب) الظنون وانسحب بسرعة إلى خيارات القصر و«المخزن» ووصف حركة 20 فبراير بعبارة «رباعة ديال لبراهش ووكلين رمضان» من أجل الحط من قيمتهم، برزت، بسرعة، أصوات دافعت عن مطالب الشعب في التّغيير، على غرار «مسلم» في أغنية «رسالة إلى حكومة المغرب» أين يقول: «جينا نديروا رد على حقنا اللي راح.. لابد نفيقوا الشعب اللي ضاع.. بلد فلاحية والأرض عندنا خاوية.. ناس راهي.. والحرب اليوم بدات.. ما نخاف من حد.. نخاف من اللي خلقنا.. بالروح.. بالدم.. ثورة.. جينا نبدلوا جع الوجوه المزورة». أو خالد في «كايضرني خاطري» لما يصرخ: «حركة 20 فبراير.. خلات بني آدم حاير.. شلا ما قالوا عليها هي حركة شعبية.. يسارية.. عدلية.. سلفية.. حقوقية.. حركة 20 فبراير كا تمثل كل شي هانو.. أصلاً الشعب مكون من كل شي هانو.. فيها شباب ضد الفساد.. صنعوا حياة.. حق وقانون».

في ليبيا ارتفع صوت فرقة 17 فيفري أو (FB 17) التي تغني بالعربية وبالانجليزية عالياً ورافقت الثوار من بنغازي إلى مصراتة ثم طرابلس، خصوصاً مع أغنية «ثوار ليبيا» التي يدعون فيها: «ليبيا.. أنت أرض الجهاد.. أنت أرض الكفاح.. ولدك عمر المختار هو شيخ الأبطال.. ثوارنا.. أوطاننا أنتم فخر أجدادنا.. صغارنا.. رجالنا ونساءنا يدعو لكم يا ثوار.. ثوار ليبيا الشجعان.. لا للذل لا للعار.. لازم تقضوا عالجبان..» ثم «بلادي» حيث غنوا على الوطن وعلى العيش المشترك. وأصدرت الفرقة نفسها في عزّ الثورة الليبية شهر إبريل الماضي ألبومها الأول بعنوان «بدون أكاذيب». كما رافقتها في نضالها الفني ومواجهة كتائب القذافي مجموعة أخرى من الشباب رفضت الانصياع لسياسة الكتاب الأخضر، أمثال حمزة صاس وعماد عبار.

الربيع العربي يبقى مستمراً. الثورة لم تنته والشباب في شمال إفريقيا، في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب لم يقل كلمته الأخيرة. المسيرة ما تزال طويلة والحق في التعبير سيظل قائماً وستحفظه دوماً الإرادة الشعبية.



ضد الحكومة.. ضد البلطجة والظلم

إزيك يا ثورة !

أجيال الموسيقى المختلفة في مصر اجتمعت لترسم ملامح ثورة 25 يناير. من عبد الحليم حافظ وشادية إلى محمد منير ورامي دونجوان عزف ميدان التحرير لحن نهاية آل مبارك.

| سامي كمال الدين - القاهرة

أغنية الراب لعبت دوراً تحريضياً في الثورة وساهمت في دفع المعتصمين في ميدان التحرير إلى التشبث بمطالبهم، كما فعلت أغنية «ضد الحكومة» التي ظهرت قبل بداية الاعتصام بخمسة عشر يوماً ونادى فيها صاحبها: «ضد الحكومة.. ضد البلطجة والظلم.. ضد الحكومة.. ضد الحاكم والحكم.. ضد الحكومة.. وحبل الظلم طويل.. ضد الحكومة.. وعندي 1000 دليل».

الأغنية قدمها مطرب شاب اسمه رامي دونجوان، عبر فيديو كليب بسيط بثه على موقع «يوتيوب». ورافقته أغنية راب أخرى للفنان خالد الصاوي بعنوان «الغضب»: «ولعوا فينا بحريقة.. وقعدوا يتناقشوا في إيه.. دمنا أصبح مباح.. والوطن بقى مستباح». كما سجل الفنان أحمد مكي حضوره في «كرامة المصري»

قائـلًا: «كرامة المصري تسـاوي عنده كثير.. شـباب رافع راسه لفوق.. مش لابس طوق.. عايز حقوقة الشـرعية.. يطلبها بكل ذوق».

ولأن المجلس العسكري صدق نفسه بأنه أبـو الثورة وحاميهـا وصانعها، في محاولة لخداع الشعب المصري فقد ظهرت أغاني لرامـي دونجوان موجهة للمجلـس وللمشـير طنطـاوي يحذره فيهـا وينكره بما حدث: «سـيادة القائد طنطاوي إزيك كيـف أحوالك؟.. بيتهيأ لـي وصلك أن الشـعب فـاق وجالك.. وبيطالـب بالمطالب اللـي طالب بيها م الأول.. اللي عملهـا أولاني يقدر يعملها تانـي لو مطالبنا مـا اتنفذتش.. أنا دم أخويا غالي قوي يـا طنطاوي.. واحنا مبنتهددش.. فين المحاكمات؟.. فين حق البلد؟.. سـيادة القائد طنطاوي الشعب منبـوح.. وأنت مش بتـداوي.. وكذبك مفضوح.. واكل قوت الغلابة.. ومحايله كذابه.. أنا حقي مش هسيبه».

قيثارة وبلطجية

فجأة يتسـلل إلى أذنيك نغم قيثارة يدنـدن، وصـوت رامي عصـام يترنم بكلمـات تحمل مـع آلامهـا ضحكاتها، ومغزاها السياسـي يجعلك تصفق لها، قائلـة «الجحش قال للحمـار: يابا أنت ادينـي الحانطور.. يابا أنت سـنك كبر وجـب عليه الدور.. كـح الحمار كحة.. فزعـت لهـا الـركاب: يابنـي مش دي الصحة.. ده كل شيء بحساب.. وسواقة الحانطـور محتاجة حد حكيـم.. وأنت عينيك فارغة هبت على البرسيم».

رامـي عصـام مطرب شـاب، يؤمن بـأن الأغنية موقف، وأنهـا قوة ناعمة تلعـب دوراً إيجابياً فـي مجتمعها حيث قـدم العديد مـن الأغانـي ذات الطابع السياسـي قبـل 25 يناير وشـارك في الثورة من بدايتها. وأصيب أثناء دفاعه عـن المتحـف المصري، وبعـد خطاب مبـارك الثاني قدم أغنيـة «ارحل». ثم أغنيـة «مـش هنمشـي من الميـدان»، و«اضحك يا ثورة» كما كانت له أغنيات سـابقة ضد النظام مثل «أنـا المواطن نقـط نقط»، «في عهد مبارك» كما غنى: «لما شـقاك يصبح مـش ليك.. وفقرك يسد السكة عليك.. تتلفت تلقى حواليك إما حرامي أو متعاطي.. طاطي راسـك طاطـي.. احنا في وطـن ديموقراطي.. ولمـا الجهلـة يبقوا أمامـك.. أو فوقك ماسكين في زمامك.. ويسوقك ع الهلكة إمامك.. تشـرب من السم الثيوقراطي.. طاطي راسـك طاطي.. أنـت في وطن ديموقراطي».

تعرّض رامي عصام لاعتداء وتعذيب من قبل رجال الشرطة العسكرية يوم 9 مـارس الماضي في ميدان التحرير. وقد روى المغني من خـلال مقطع فيديو ما حدث له وعنونه بـ «رامي عصام مطرب مش بلطجـي». ويعـرض الفيديو آثار التعذيب في جسـد المغني نفسـه، من صعق بالكهرباء وضـرب بالحديد على ظهره.

> تعرّض رامي عصام لاعتداء وتعذيب من قبل رجال الشرطة العسكرية في ميدان التحرير وروى الواقعة من خلال مقطع فيديو

عبد الحليم في الميدان

في مساءات أيام الثورة وفي مختلف ميادين مصر، من التحرير إلى القائد ابراهيم بالاسكندرية وحتى حي الأربعين بالسويس، كان هناك من يأتي مهرولاً ليخبرك أن عبد الحليم حافظ هتف مع الثوار، وأن عبد الوهاب تنحنح قبل أن يغني ووضع منديلاً على أنفه خشية العدوى والغبار، بينما ارتدى سيد درويش جبة وقفطاناً وسحب الثوار خلفه هاتفاً، ثم توقف حين رأى شادية تضمد جراح أحد المصابين.

لقد شـارك عدد مـن مطربي حقبتي جمال عبد الناصر والسادات في الثورة على حسـني مبارك، وكانـوا الصوت الحقيقـي للشـعب بعدمـا عجـز عصر مبارك أن ينتـج مطرباً ثورياً أو أغنية مناسـبة تجمع المصرييـن، وتضاهي جماليـة المقطع: «صـورة.. صورة.. صورة. كلنا كده عايزين صورة للشعب المتجمـع، تحـت الرايـة المنصورة.. واللـي هيخرج م الميـدان عمره مهيبان في الصورة».

لـم يكن الميدان يخلـو كل ليلة من أغنيات الجيل الثانـي والثالث من رواد الغنـاء في مصـر، وكأنهم غنـوا هذه الأغاني خصيصاً لثورة 25 يناير. وكأنها من طزاجتها وتوافقها مع مبادئ الثورة المصرية ولدت للتو مثل: «طول ما إيدي فـي إيدك، أقوم واقـف واهتف وأقول: حي علـى الفـلاح.. زاحف يا شـعبي تمحـي الماضي رياحـك.. عهدك جوه ف قلبـي والبطولة جراحـك» – كلمات الأخويـن رحباني بالمناسـبة – و«الله أكبر فوق كيد المعتـدي، فالله للمظلوم خير مؤيدي» ، و«بالأحضان يا حبيبتي يا أمي.. يا بلادي يـا غنيوة ف دمي.. على صـدرك ارتاح من همـي وبأمرك أشـعلها نيران» و«وقف الخلق ينظرون كيف أبني قواعـد المجد وحدي»، وقول عبـد الحليم فـي أغنية «قولنـا هنبني وادي احنـا بنينا السـد العالي»: «يوم ما اشـعلنا ثورة لهب ونـار.. يوم ما.. أخرجنا الفساد.. يوم ما حررنا البلاد.. يوم ما حققنا الجلاء».

كل ليلة في الميدان كانت «يا حبيبتي يـا مصر» هي أغنية الثـوار التي توحد الجميع ويرددون مع شادية: «ولا شاف العنـاد.. في عيـون الـولاد.. وتحدي الزمـن.. ولا شـاف إصرار فـي عيون البشر.. بيقول أحرار.. ولازم ننتصر». ووردة: «حلـوة بلادي السـمرة بلادي الحرة بلادي، وأنا على الربابة باغني م املكش غير، اني أغني وأقول، تعيشي يا مصر».

لم نقل كلمتنا الأخيرة!

فرقة المصريين، التي كونها الموسيقار هاني شنودة منذ ما يزيد على عشر سنوات، وقدمت العديد من الأغنيات، عادت مرة أخرى إلى الأضواء أيام الثورة من خلال عضويها فادي الألفي وأيمن ساردار بأغنية «يا سمايا نجوم بتنادي باسم بلادي علي النداء: يا مصرنا». كما أعادت الفرقة أغنية الفنان محمد الحلو «يا ابوي يا مصر»، وقدمت من خلال عضويها العديد من الأغنيات للثوار المعتصمين في ميدان التحرير.

وأعاد المطرب الشاب محمد محسن قبل الثورة العديد من الأغاني التراثية مثل «التحفجية» لسيد درويش وغيرها من الأغاني التي تقدمها دار الأوبرا، التي تعرض فيها لاضطهاد خلال عمله فيها، حيث فرضت الأغاني عليه، ليكون فرقته الخاصة من مختلف الدول العربية: سورية ولبنان والعراق. وقدم حفلات على المسرح المكشوف وعلى مسرح الجنينة، وفي مهرجان كوم الدكة بالإسكندرية لإحياء ذكرى ميلاد سيد درويش، وكان حريصاً قبل ذلك على المشاركة في أنشطة حقوق الإنسان والخروج في الاعتصامات والتظاهرات، رافضاً للنظام الفاسد. وأحيا حفلاً بمقر حزب الجبهة الديموقراطي يوم 24 يناير، كما قدم محسن النشيد الوطني لسيد درويش في ميدان التحرير أيام الاعتصامات.

«أنا مصري!.. فلاح صعيدي.. مسلم مسيحي.. أنا مصري!.. نوبي أو سيوي.. أنا مصري!.. سيناوي عاريشي.. أنا مصري!.. معايا ماعايشي أنا مصري!.. عند الضريح، للأولياء ضويت شموع.. أنا مصري!.. وفي الميلاد كان السبوع أنا مصري!». كتب إيهاب عبده ولحن هذه الكلمات لإعادة المصرية لمن اغتربوا عنها. وقد كون إيهاب فرقة «أنا مصري» عام 2007 مع محمد علي وجانين نكي، وهي فرقة تميل إلى تقديم الطرب الشرقي الأصيل مع موسيقى شبابية مصاحبة لهذا الطرب. وتقدم الفرقة بجوار الأغاني الوطنية الترانيم المسيحية والأناشيد الإسلامية الصوفية، وتحمل أغانيها رسالة تحض على الهوية المصرية مع التنكير بالتدين الفطري المتسامح والمتعايش على أرض مصر. وقد حققت «أنا مصري» صدى كبيراً في ميدان التحرير.



رامي دنجوان

امش مع الواقف!

«حقِك عليا يا مصر ما تزعليش». حين تستمع لكلمات الاعتذار تدرك أن المطرب محمد نور – مطرب فريق واما – يحب مصر ويخاف عليها وله دور في الغناء لثورة 25 يناير. لكن الأمر لا يحتاج سوى للعودة إلى الوراء قليلاً، ربما أسبوعاً فقط لنكتشف أن الأغنية التي حاول محمد نور الغناء بها على الشعب المصري لم تكن إلا أغنية كتبت خصيصاً للرئيس مبارك، بنفس الكلمات. وقد غنى محمد نور الأغنية فور إعلان الرئيس المخلوع في خطابه الثاني أنه لن يترشح لانتخابات الرئاسة مرة أخرى. وتقول كلمات الأغنية : «لينا فيك حق ضايع من زمان.. واللي ياخد حقه عمره ما كان جبان.. بس هو الحق يتاخد كده.. أنا عن نفسي بتأسف ومش مكسوف.. عليك يا مصر لازم أموت من الخوف.. حقّك علينا كلنا.. ولحد آخر عمرنا.. مش هننسالك جميلك.. آسفين وجايين نعتذر».

عزف نور سيمفونية من الألم، غاضباً لأجل الرئيس السابق مبارك، وما إن حلّ11 فبراير حتى «لحس» نور كلمات الأغنية وحولها لمصر «زعلان عليك من حبي فيك يا مصر!.. رغم إللي حصل أنا لسه حاسس بالأمل.. أهو إللي يعرف مصر عارف إنها عمرها ما تنكسر.. أنا نفسي بتأسف ومش مكسوف.. عليك يا مصر كان لازم أموت من الخوف.. حقِك علينا كلنا.. إللي جاله قلب يخرب في البلد دي.. يبقى قلبه مكنش عمره على البلد دي.. هي مصر بجد تستاهل كده.. أنا نفسي بتأسف ومش مكسوف.. عليك يا مصر كان لازم أموت من الخوف.. حقِك علينا كلنا ولحد آخر عمرنا».

خلت الأغنية من الصدق ومن الصور التعبيرية التي تطرحها أغنيات في مثل هذه المناسبات لتنزوي بعيداً، تاركة الساحة لأغنيات حقيقية، على الرغم من محاولات مثل هذه الأغاني احتلال المشهد وإقصاء الفنانين الملتزمين الذين واكبوا ثورة 25 يناير من البداية، وكان لهم موقف محترم منها، على غرار الفنان الملتزم بقضيته محمد منير الذي غنى « ازاي» وألهب حماس المصريين. في وقت سقط فيه مطربون حاولوا التسلق بأغانٍ مبتذلة على أكتاف الثورة، وهم من أتباع النظام المخلوع الذي تغنوا به وله، مثل هشام عباس، إيهاب توفيق، تامر حسني، حمادة هلال، محمد فؤاد، عمرو دياب ووليد سعد الذي سجل لحساب التليفزيون المصري أغنية «أنا الشهيد».

جنائز وأغنيات

موّال و«عراضة شاميّة» وراب أيضاً

عمر قدور - دمشق

ربما تكون الانتفاضة السورية قد اقترنت بدماء ضحايا القمع أكثر من أي شيء آخر حتى وصفها البعض بأنها انتفاضة اليوتيوب، فمشاهد القتل والترويع والتنكيل بالجثث احتلت صدارة الاهتمام، لكن ذلك كله لم يثنِ السوريين عن إغناء انتفاضتهم بالحس الفني، ولم يمنعهم حتى عن الرقص والغناء، وقد كانت مفاجأة كبيرة أن يعمد المتظاهرون إلى الرقص في مدينة حمص التي سجلت عدداً ضخماً من ضحايا القمع. ولعل مشهد اكتظاظ ساحة العاصي في مدينة حماة بمئات آلاف المتظاهرين لن يغيب عن الأذهان مترافقاً بأهزوجة «إبراهيم قاشوش» الذي أُطلق عليه فيما بعد لقب مغني الثورة السورية، وزاد من تراجيدية الأغنية أن القاشوش قُتل فور اقتحام المدينة من قبل رجال الأمن، واقتلعت حنجرته في



كلنا ثائرون.. كلنا نغني

دلالة على الانتقام من ناحية، وفي دلالة على خوف الديكتاتورية من الأغنية من ناحية أخرى. لكن قتل القاشوش والتنكيل بجثته كان إيذاناً بشيوع هذه الظاهرة في العديد من المدن الأخرى التي أصبح لها منشدون يردد وراءهم المتظاهرون أهازيج الثورة التي تقترب فنياً مما يُعرف بـ«العراضة الشامية».

كسرت الانتفاضة الأنماط المسبقة، فقبل أغنية القاشوش سجلت أغنية «يا حيف» للمغني سميح شقير رواجاً سريعاً، واخترقت الحواجز التقليدية إذ تمت إذاعتها في أكثر من جامع أثناء تشييع شهداء الثورة، فتخطت بذلك أغاني شقير السابقة التي اقتصر رواجها على شريحة من مثقفي اليسار. «يا حيف.. زخّ رصاص على الناس العزّل يا حيف/ وأطفال بعمر الورد تعتقلن كيف؟/ وانت ابن بلادي تقتل بِ ولادي/ وضهرك للعادي وعليّ هاجم بالسيف/ ياحيف». بهذا المطلع الرثائي يبدأ شقير أغنيته التي تستلهم فولكلور منطقة حوران السورية، فيمزج بين الموال والأغنية وحتى ذلك النوع من الترتيل الجنائزي الذي يمكن إرجاعه إلى الإرث الغنائي الديني، ولا يخفى أن الاعتبار الأول في مثل هذه الحالات يتركز على التعبير عن مأسوية الحدث، لذا تأخذ الأغنية مكانتها من عفوية ملامستها للوجدان العام المنكوب دون التوقف طويلاً عند الاعتبارات التقنية أو الفنية.

ما سبق قوله عن أغنية «يا حيف» يصح أيضاً على أغاني الراب التي استلهمت الانتفاضة، مع فارق واضح لجهة الانتشار، فالراب السوري لم يعرف شعبية واسعة قبل الانتفاضة، والتصق إلى حد كبير بأوساط ثقافية ضيقة، أو بأوساط متأثرة بالمزاج الغربي عموماً، وباستثناء وجود مواقع إلكترونية للشباب المهتم به فقد غاب الراب كلياً عن الإعلام السوري، ساهمت في ذلك حداثة التجربة وقلة نضجها. مع الانتفاضة وجد الراب فرصة مناسبة للإعلان عن وجوده، ورغم اقتصاره حتى الآن على الشباب المثقف إلا أن المناخ العام بات مواتياً للانتشار في جزء من هذه الشريحة لم تكن مهتمة بثقافة الراب. دخل الراب من البوابة العريضة للثورة واندرج ضمن تنويعاتها الفنية، دون أن يملك القدرة على منافسة الأنماط الشرقية للغناء، لكنه بالتأكيد استفاد من اهتمام الشباب بكل ما يتعلق بالثورة، واستفاد من حضوره في المواقع الإلكترونية الكثيرة التي تُعنى بشؤون الثورة، والتي أوصلت الراب السوري إلى جمهور ربما لم يكن على علم بوجوده.

للراب كما نعلم المرونة الكافية لالتقاط لغة الشارع، وهذه المباشرة قد تكون ميزة في زمن لا يتسع كثيراً للمجازات، وحتى قد لا يمنح الفرصة الكافية للتفكر باللغة واللعب على الألفاظ على نحو ما هو شائع في أغاني الراب عموماً. من هنا أخذ الراب السوري منحى النص السياسي المباشر، مثلاً في أغنية لـ «فرقة الشباب السوري» يرد هذا النص: «الشعب يريد الحرية/ كلمة صارت منسية/ تحت ترابنا مطلية/ مخباية.. بدم الشهيد محمية/ قوية.. من قلوبنا طلعت مكوية/ بصرخة أحرارنا صحنا: الحرية».

ومن المتوقع أن يدفع الهم المباشر بموسيقى الراب إلى الخلف، فتقدمت الكلمة، وانزاحت الموسيقى لتكون مجرد خلفية للرسالة التي يريد الرابر إيصالها، لكن ذلك لم يمنع ظهور بعض الأغاني التي قدمت اقتراحاً فنياً جديداً، ولا نعلم إن كان ذلك تعبيراً عن مشروع فني أم أملته الضرورة فقط؟ ففي أغنية بعنوان «الشعب السوري ما بينهان» نرى مزجاً بين الراب والنشيد، مع استلهام لهتاف ردده المتظاهرون في أولى المظاهرات في مدينة دمشق هو «الشعب السوري ما بينذل»، تقول الأغنية: «أنا سوري وما بنهان وما بهتف إلا للحق/ بدك تقتل وبدك تنهب وما تلاقي اللي يقلك لأ!».

واكب الراب السوري الثورات العربية منذ بدايتها، فظهرت أغنية بعنوان «إرادة الشعب» تقول في بعض مقاطعها: «.. سهلة كتير ما تفكر وتحللا/ لا.. بلا.. ورقة احترقت والرماد بالفلا/... من تونس من مصر/ بكرة رح يجي النصر/ والشعب اللي استشهد رح يخلع باب القصر». هذه البشرى يمكن عدّها من أوائل الأغاني التي بشّرت بامتداد الانتفاضة إلى سورية بعد مصر وتونس، الأغنية قدمتها فرقة مزاج تحيةً للثورتين من شباب الثورة السورية التي لم تتأخر عنهما. هذه المواكبة قد تساهم في تعريف السوريين بفن بعيد عن ذائقتهم الغنائية المعهودة إذا أحسن التعبير عن أحوالهم من حيث الموسيقى والكلمات، وتجدر الإشارة إلى فن شعبي قديم قد يجد الرابرز صلة ما معه يمكن البناء عليها لتقديم راب بنكهة محلية، فهناك في التراث الشعبي الشامي ما يُسمى بالـ«قوّالين». القوّال يقدّم نصاً أكثر تحرراً وانفلاتاً من ذاك الذي يقدّمه الزجّالون عادة، فهو أقل انضباطاً من حيث الوحدات الصوتية واللحن، وأقرب إلى الشفاهية البسيطة مع العناية بتدوير الكلام والذهاب به إلى مستوى التلميح أحياناً.

ليست الأرض ممهدة أمام الراب على المدى المنظور، فأسماع السوريين معتادة على ترتيل أو لحن للكلام مختلف تماماً، وهناك إرث ضارب في القدم يرجع إلى تراتيل الكنيسة السريانية، ومن ثم الموشحات والقدود. هذا الإرث يجعل المهمة شاقة على شباب الراب، فالمتلقي الذي اعتاد على تلازم الموسيقى والكلام في الأغنية حصراً سيصعب عليه النظر إلى الراب بوصفه فناً ليس غنائياً تماماً، أو تقبّله بوصفه فناً مستقلاً. في كل الأحوال سيكون من الغبن أن نضع الراب تحت النقد أسوة بالأنماط الغنائية الراسخة، فالراب السوري وليد الألفية الحالية، ولم تمضِ سوى سنوات قليلة على تشكل فرقٍ هامشية أو أفراد قدّموا تجارب لا تندرج في مشروع فني متكامل. لعل الانتفاضة الحالية تدفع بالرابرز إلى موقع طالما تمنوه من قبل؛ هذا رهن بقدرتهم على استنباط وصياغة جماليات ما يقوله الشارع دون الوقوع في فخ الاستسهال.

إنه زمن الأغاني الوطنية أو أغاني الثورة. التي بُعثت من أرشيف الذاكرة اليمنية وطفت على الواجهة. عاودت البروز وصارت تملأ «ساحات الحرية والتغيير»، الممتدة على اتساع اليمن، منذ انطلاقة «ثورة الشباب» قبل سبعة أشهر من الآن.

مواويل ساحات التغيير

| **جمال جبران**- صنعاء

قبل وقت ليس ببعيد، لا أحد كان يتخيل فرضية حصول مثل هذا الأمر ثانية، خصوصاً الشباب، وذلك بالنظر إلى حالة فقدان الأمل ويأس الشارع من حدوث أي تغيير أو خطوة إلى الأمام. وتبعثر الرجاء في إمكانية إعادة الثقة بين المواطن العادي المسحوق وبين وطنه الذي صار معتقلاً في يد طبقة سياسية حاكمة أوغلت في فسادها وإفسادها على كافة المستويات، مما انعكس سلباً على معنويات الشباب والناس بشكل عام ونظرتهم إلى المستقبل، وانعكس كل هذا بالضرورة على كل تقاطع بينهم وبين وطنهم.

ولعل ذلك ما جعل الشباب يستعير الراب كلغة راهنة لسرد واقعه، ويدفع الشارع اليمني لاسترجاع الأغنيات الثورية والوطنية من أرشيفه. وهي الأغنيات التي رافقت تفاصيل حياة أهل البلد قبل تحقيق الوحدة اليمنية. والتفاعل مع المغنين الشباب الذين كان لهم دور كبير في السنوات الأربع الماضية في إلهاب الشارع من خلال صناعة أغنيات وأناشيد نجحت في تأدية دور تحريضي وتوعية الضمائر، مما أدى إلى بلوغ هذه اللحظة المفصلية التي تعيشها اليمن.

الأغنية الثورية اليمنية في سياق «ثورة الشباب اليمنية» التي ماتزال تكابد شهرها السابع على التوالي، بلا كلل أو تراجع، يمكن الحديث عنها من خلال الذهاب على أكثر من سياق، أو بين جيلين زمنيين بشكل أكثر دقة.

بداية من الفنان أيوب طارش العبسي الذي يجعله موقعه في الوجدان الشعبي العام محط إجماع من قبل كافة الأطراف المناهضة أو المؤيدة للنظام اليمني. ولعل الأهمية المركزية التي يحتلها هذا الفنان أتت من كونه أحد الفنانين القلائل الذين رفضوا الهجرة وبقوا متمسكين بالغناء في الأرض اليمنية، على الرغم من الإغراءات المادية التي عُرضت له. لكنه رفضها مُصراً على البقاء وتقديم أغان منحازة للوطن والأرض والإنسان ولا تقوم بتمجيد سلطة أو أفراد فيها.

وقام المغني نفسه بتلحين النشيد الوطني للجمهورية اليمنية وقبلها كان قد قام بتلحين النشيدين الوطنيين للجمهورية العربية اليمنية أو اليمن الشمالي سابقاً وكذلك نشيد جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية أو اليمن الجنوبي سابقاً. وهو نفس النشيد الذي بقي ليصبح النشيد الوطني اليمني بعد الوحدة وهو من كلمات الشاعر اليمني الراحل عبد الله عبد الوهاب نعمان، الذي شكّل مع أيوب طارش ثنائياً، نجحا عبره في صناعة أغنيات عاطفية ووطنية لايكاد الفارق يظهر جلياً بينها، حيث يمكن احتساب الحبيبة في مقام الوطن والعكس صحيح. وهي نفسها الأغنيات التي يتم استعادتها اليوم من قبل شباب الثورة وتقديمها بشكل مستمر في كافة الفعاليات التي يقومون بتنظيمها.

لكن اللافت في أمر استعادة هذا النشيد الوطني المعنون «رددي أيتها الدنيا نشيدي» أنه جاء بمثابة ردّ الاعتبار إليه وإنزاله إلى الشارع بعد أن كان محاصراً في مجرد بروتوكولات رسمية أعطته سمة جامدة في ذهن المواطن العادي، الذي يجد نفسه اليوم وبدافع ذاتي مرددا: «وسيبقى نبضُ قلبي يمنيّاً.. لن ترى الدنيا على أرضي وصيّا». بل وصل الأمر لحد ملاحظة انتشار بيع الأقراص المدمجة التي تحمل الأغاني الوطنية والنشيد الوطني على وجه الخصوص. ولم يكن هذا الأمر مألوفاً قبل انطلاقة الثورة.

إلى جانب أيوب طارش العبسي تواجد في سياق الأغنية الثورية اليمنية الفنان محمد مرشد ناجي الشهير في المنطقة العربية باسم «المرشدي»، الذي برع في تقديم أغان وطنية ثورية ساهمت إلى حد بعيد في إلهاب مشاعر المواطنين الذين كانوا يرون في هذه الأغنيات لسان حالهم والمُعبر عن ثقل الظلم والظلامية. وكان من الطبيعي، وبفضل حسها الوطني العميق الذي امتلكته، أن تحفظ قوتها واستمراريتها ليتم التغني بها اليوم.

فهد القرني، فنان شعبي شاب ينتمي حزبياً للتجمع اليمني للإصلاح، وهو حزب أصولي ديني يشارك بكوادره الشابّة في سياق ثورة الشباب اليمنية، التي صارت مع الوقت ثورة شعبية تبحث عن نجاحها في تغيير النظام الحاكم في اليمن.



هجائيات غنائية لغريم الشعب

ولفهد القرني، على الرغم من انتمائه الحزبي، ميزة الانفتاح المدني التي جعلته حلقة وصل يتفق عليها الجميع منذ وقت مبكر. واللافت في الحالة اليمنية هو بروز الصوت الفني لحزب التجمع اليمني للإصلاح المعارض من الأساس لفكرة الفن والغناء، خصوصا باستخدام الآلات الموسيقية وهو ما قام به فهد القرني على الرغم من فتح نار الكلام عليه من قبل قيادات أصولية كبيرة في الحزب، عارضت فكرة استخدام الموسيقى ولو كان هذا من أجل تدعيم فكرة الدعوة الإسلامية، لكنهم تراجعوا لاحقاً عن معارضته بعد أن رأوا الانتشار الكبير الذي نجح في تحقيقه عن طريق أعماله الوطنية الساخرة من النظام الحاكم. حيث قام القرني بإصدار ألبوم غنائي حمل اسم «غريم الشعب» – يقصد به الرئيس علي عبد الله صالح – قام فيه بتقديم تاريخ هذا الرئيس وما قام بفعله من أخطاء في حق الشعب اليمني. غلبت

أغنيات وأناشيد الشباب نجحت في تأدية دور تحريضي أدى إلى بلوغ هذه اللحظة المفصلية التي تعيشها اليمن.

على هذا الألبوم سمة السخرية والفكاهة ماجعل تداوله على الألسنة سهلاً وممكناً بطريقة لم يكن أحد يتوقعها وهو ما جعل القرني يتكبد نيران الاعتقالات المستمرة والتقديم لمحاكمات بتهم إهانة رئيس الجمهورية. وقد دخل السجن مرات عديدة وطلب منه في واحدة منها كتابة اعتذار للرئيس مقابل الإفراج عنه لكن رفض. ليس هذا فقط، فقد كتب القرني رسالة للرئيس نفسه بلهجة أكثر سخرية من مضمون الألبوم. وقد اعتبر كثيرون تلك الرسالة بمثابة وثيقة إدانة لنظام الرئيس صالح برمّته.

يمتلك فهد القرني اليوم قاعدة شعبية مهمة، خصوصاً بين أوساط الفئات البسيطة، بفضل إتقانه اختراع لغة عامية، وسيطة بينه وبينهم عجزت عنها الصحف السيارة وآراء الخبراء التي تمتلئ بها.

يقوم القرني اليوم بدور فاعل ومؤثر في سياق الثورة الشبابية وذلك في التنسيق بين مختلف التيارات الشبابية المتواجدة في ساحة الحرية بمدينة تعز اليمنية، أكبر المدن اليمنية وأكثرها من حيث الكثافة السكانية.

كما لا يمكن، في هذا السياق، القفز على أغان وطنية كثيرة يتم تقديمها منذ بداية الثورة عن طريق مغنين شباب، يلجؤون في الغالب لإعادة تقديم الأغاني الثورية القديمة، مع الاعتماد على أنفسهم أحياناً أخرى في إخراج أغانيهم الثورية الخاصة. والتي تتخذ من موسيقى الراب نهجاً لها.

الأغنية المغربية

استرجاع الإيقاع على مقام القرار الوزاري

| محسن العتيقي

لم يكن بوسع شركات توزيع وإنتاج الموسيقى في السنوات الأخيرة بالمغرب إلا أن تفلس تماماً، وتعلن خساراتها الفادحة لصالح قراصنة سوق «درب غلف» وفروعه المروجة لآخر أقراص الصداع في العلب الليلية تمهيداً لانتشار فيروساتها في آذان المواطنين. هكذا دون استثناء انقرض النهوند والبياتي.. وضربت النغمة عرض الخصر! في بلاد عبد السلام عامر ومحمد الحياني والماريشال قيبو.. وغيرهم ممن أخلصوا لأمانة السمع وتطويع المقام. كما أن صناديق المهرجانات الموسيقية وعلى رأسها موازين لم توفر ولو نزراً يسيراً للجهاد الموسيقي في أوساط الأجواق (الفرق) الصغيرة.

في هذا السياق تأتي مبادرة إنقاذ الأغنية من قلة اليد والحياء الموسيقي معاً، ففي فاتح يونيو 2011 نظمت وزارة الثقافة المغربية لقاء تشاورياً مطولاً بحضور فاعلين من مختلف روافد الأغنية المغربية، وتمحور اللقاء حول مناقشة وتقييم مشروع دعم الأغنية في موسمه الأول، طبقاً لبنود المرسوم المصادق عليه سابقاً في مايو 2009 بالاشتراك بين وزارة الثقافة ووزارة الاقتصاد والمالية، والذي يرصد للمشروع مخصصاً مالياً يقدر بأربعة ملايين و500 ألف درهم، ويحدد المعايير التقنية للإعانات المالية والفئة المستفيدة منها، التي تشمل كافة الفاعلين في الحقل الموسيقي المغربي، من كتّاب كلمات وملحنين ومطربين وعازفين، سواء كانوا أشخاصاً ذاتيين أو مؤسسات فنية، كما نص قرار المرسوم بتعيين الوزارة لجنة وطنية تتولى انتقاء المشاريع وفق مسطرة دقيقة، تحدد نمط اشتغال اللجنة ومقومات الأعمال المرشحة.

وعقب الاجتماع التشاوري الذي ترأسه الوزير بنسالم حميش، أعلنت الموافقة على الدفعة الأولى من المشاريع المعروضة على اللجنة المكلفة، التي حصرت الدعم في ثمانية مشاريع من أصل أربعة وستين بمبلغ إجمالي يقدر بمليون و800 ألف درهم من أصل كلفة المشروع، على ألا يتجاوز سقف الدعم مبلغ 300 ألف درهم للمشروع الواحد يصرف على دفعتين، كما ينص المرسوم المنظم.

وقد سجل اللقاء تزكية الحاضرين خطوة السيد الوزير في إخراج المرسوم من دواليب الوزارة، وتقديمهم مقترحات لتطوير تجربة الدعم، خاصة أن النتائج الأولى في عملية الانتقاء تركت تحفظات من المتدخلين حول تعقيدات شروط الترشيح الإدارية، التي اعتبرت في نظرهم سبباً في إقصاء مجموعة من المشاريع الموسيقية رغم قيمتها الفنية، وهو ما يلزم، بإجماع الحضور، ضرورة إعادة النظر في المرسوم المؤطر للدعم بما يضمن المرونة الكافية في قبول الترشيحات. كما شملت الاقتراحات إحداث جوق وطني تابع للوزارة،

أصالة نصري

لعنة الكرسي

على خلاف كثير من الفنانات السّوريات اللواتي أعلنّ تأييدهن لسياسة الرئيس بشار الأسد، انفردت النجمة أصالة نصري بمواقف شجاعة وأعلنت، منذ أشهر، مساندتها لشباب الثورة في حماة وحمص وباقي المدن والأرياف التي تشهد حراكاً استثنائياً يطالب بسقوط نظام حزب البعث. صاحبة «بين الأمل والخوف» صارت لا تفوت فرصة ظهورها الإعلامي دونما الإشارة إلى تضامنها مع ضحايا الانتفاضة والتأكيد على معارضتها لسياسة القمع التي ينتهجها النظام. وتجسدت معارضتها بإطلاقها أخيرا أغنية جديدة تحمل عنوان «آه لو هالكرسي بيحكي»، كتبت كلماتها ولحنتها بنفسها. وجاء في بعض مقاطعها: «آه لو هالكرسي بيحكي.. كان بيصرخ كان بيشكي.. وبيتأفأف وبيتلوع ويمكن حتى ينوح ويبكي.. كل الكراسي تكسرت.. من درسك تعلم كل العلم ما بينفعك... والشعب بطل يسمعك.. وكل القتل ما بينفعك.. كان فيك تتعلم». فهل سيسمع الرئيس نداء أصالة نصري ويستسلم لإرادة الشعب؟

وإحياء المهرجان الوطني للأغنية المغربية، بالإضافة إلى إدماج فنانين منتمين للأغنية الأمازيغية والحسانية في لجنة التحكيم. وقد تعهد الوزير في كلمته الختامية بالعمل على تطبيق توصيات اللقاء.

غير أن المشاريع التي لم تلحقها غربلة اللجنة، تركت استياء حول أهلية عمل اللجنة وفعالية القانون المنظم، وحسب تصريح صحافي لنعمان لحلو العضو في اللجنة، عزا افتقار المشاريع المقصية إلى الاحترافية، في حين بررت الزجالة نهاد بنعكيدة عن اللجنة أن كلمات الأغاني لم تكن في المستوى.

وكانت اللجنة قد أثارت انتقادات تخص أعضاءها و قيمة الدعم الذي اعتبر زائداً عن اللزوم مقارنة بالكلفة التي يتطلبها إنتاج أغنية مغربية. كما أن اللجنة، حسب تصريحات صحافية، لم تكن في المستوى الأكاديمي والتحصيل الموسيقي الكافي لتقييم الأعمال.

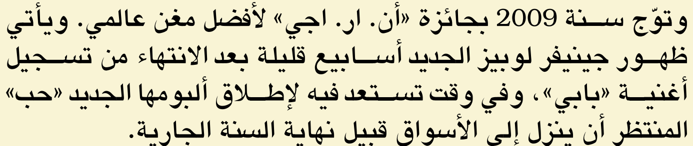
وقد تكون مبادرة وزارة الثقافة متأخرة بالمقارنة مع الخطى الكاسحة لجمعية مغرب الثقافات المنظمة لمهرجان موازين، كما أن فيض المهرجانات التي تدعمها المجالس البلدية في سائر أقاليم وجهات المملكة تفتقر إلى الإرادة والسياسة العميقة في الدفع بالأغنية المغربية نحو الانتعاش، مما جعل الاستراتيجية الاجتماعية لمهرجانات الساحات العامة، من كبيرها إلى صغيرها، تكرس عزلة الأغنية المغربية وسط ضجيج المناسبات ومتاهات الدبلوماسية ووهم العالمية الفولكلورية.

وإذا كان مرسوم الدعم ظل ورقة إلى أن أخرجت بالتزامن مع الحراك السياسي والاجتماعي الذي كاد يعصف بالتزامات مهرجان موازين الأخير وأرغمه على مغربة محتواه قليلاً، يبقى أمل الجمهور والموسيقيين ألا تكون الإعانات المالية مجرد موّال على تقاسيم الهيئات الثقافية المعارضة لنوايا الوزير.



لوبيز وإغليسياس في «قبلات»

من المنتظر أن يسجل قريباً المغني الإسباني الشهير أنريكو إغليسياس أغنية ثنائية مع نجمة البوب الأميركية جينيفر لوبيز، تحت عنوان «قبلات». ستدرج الأغنية ضمن النسخة الجديدة من ألبوم إغليسياس «ايفوريا». صاحب «أشياء عن الحب» يعتبر الاسم الأكثر حضوراً بين الأوساط الشعبية وصاحب أعلى أرقام المبيعات في بلده الأم إسبانيا. حيث أصدر لحد الساعة تسعة ألبومات، من بينها خمسة باللغة الإنكليزية وأربعة بلغته الأصلية.

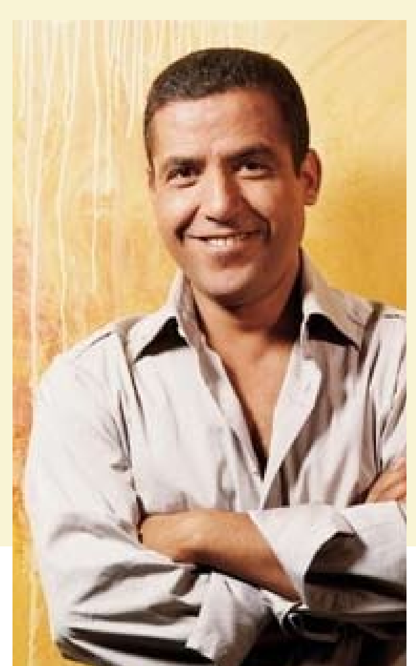


وتوّج سنة 2009 بجائزة «أن. ار. اجي» لأفضل مغن عالمي. ويأتي ظهور جينيفر لوبيز الجديد أسابيع قليلة بعد الانتهاء من تسجيل أغنية «بابي»، وفي وقت تستعد فيه لإطلاق ألبومها الجديد «حب» المنتظر أن ينزل إلى الأسواق قبيل نهاية السنة الجارية.

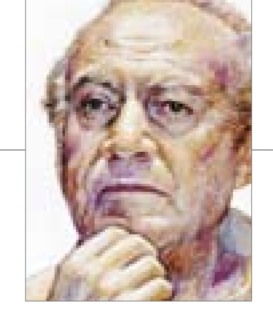


«مقدرة» مؤجل إلى «2012»

أكد «أمير الراي» الشاب مامي أن ألبومه الجديد والذي سيحمل عنوان «مقدرة» سيتأجل صدوره إلى منتصف 2012، بعدما كان مبرمجاً قبل نهاية 2011. وسيكون الألبوم نفسه الأول بعد خروج المغني من السجن في فرنسا حيث قضى سنة ونصف، بتهمة الاعتداء على صديقته السابقة. ويذكر أن الشاب مامي سيسجل خلال الأسابيع القادمة حضوره ضمن عدد من الحفلات والمهرجانات، في المغرب، فرنسا و بلجيكا. مع العلم أنه أحيا الصيف الماضي حفلين كبيرين في الجزائر على شرف جمهوره ومحبيه وجميع الذين ساندوه في محنته أيام السجن.



من جهته، أشار المكلف بأعمال الشاب خالد إلى أنه بصدد انتقاء كلمات أغاني ألبومه الجديد الذي سيبرمج أيضاً سنة 2012 والذي سيعود من خلاله إلى الواجهة بعد الصدى الباهت الذي عرفه الألبوم السابق «حرية» (2009).



د. محمد عبد المطلب

الاقتراض اللغوي

الاقتراض اللغوي ظاهرة لازمت اللغة منذ ظهورها حتى اليوم، وستستمر إلى ما شاء الله، ونقصد بهذا المصطلح (الاقتراض) أن تأخذ لغة من لغة أخرى إحدى مفرداتها، وتضمها إلى معجمها، ويقوم بهذا الاقتراض بعض الأفراد أحياناً، وبعض الجماعات أحياناً ثانية، وبعض المؤسسات أحياناً ثالثة، ويطول بنا الأمر لو رحنا نمثل لهذه الظواهر على هذا النحو الثلاثي.

والذي يجب التنبه إليه أن اللغة لا تقوم بهذا الاقتراض إلا عند إحساسها بالحاجة إلى مفردات للتعبير عن مستجدات الحضارة والثقافة، وليس عندها المفردات التي يمكن أن تؤدي هذه المهمة ولا تضم اللغة المفردة الجديدة إلا بعد تطويعها لقواعدها، ومنطقها في النطق أو الكتابة، أي أنها لا تترك المفردة على حالتها التي كانت عليها في لغتها الأصلية إلا إذا كانت أعلاماً على شخوص أو أشياء أو مصطلحات علمية.

واللغة العربية ليست بدعاً بين اللغات، فقد اقترضت كثيراً من المفردات الأجنبية، حدث هذا قبل الإسلام وبعده، وقد رأى كثير من اللغويين وأهل الفقه من أمثال ابن عباس وعكرمة ومجاهد أن القرآن الكريم قد تضمن كثيراً من الكلمات الأعجمية مثل: «سجيل – مشكاة – أباريق – استبرق – اليم – الطور»، وذكر السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» أن هذه الكلمات تزيد على المئة، لكن قبل أن يستخدمها القرآن، كانت قد دخلت اللسان العربي، فعرَّبها، أي صارت عربية، ونزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بالعربية حتى صارت منها.

ولا شك أن كل ذلك كان وراء قرار مجمع اللغة العربية بإجازة استعمال بعض الكلمات الأجنبية عند الضرورة، وذلك لحاجتنا إلى كثير من المفردات التي تعبر عن مستحدثات الحضارة، ويلاحظ هنا أمر مهم، وهو ربط المجمع هذا الاستخدام بالضرورة، حتى لا تطغى المفردات الأجنبية على العربية، والقاعدة تقول: «الضرورات تبيح المحظورات».

لكن المؤسف أن الواقع العام يقول بغير ذلك، فقد شاعت الكلمات الأجنبية دون حاجة إليها، أو ضرورة تحتمها، وكان شيوعها نوعاً من المظهر الاجتماعي الخادع، إذ ظن أصحاب هذا الاستخدام، أنه يكسبهم نوعاً من المكانة المميزة، وهناك من يكثر من هذه الكلمات، ظناً أنها تعطيه انتماء إلى نسق الحداثة، وقد قرأت ديواناً شعرياً لا تزيد صفحاته على الثمانين، ويضم أكثر من مئة مفردة أجنبية، فهل يمكن أن نسمي مثل هذه شعراً عربياً؟

وهل ما تصنعه وسائل الإعلام المختلفة - المرئية والمسموعة - من استخدام الكلمات الأجنبية يدل على تطورها وتحضرها؟

ويطول بنا الأمر لو ذهبنا نرصد هذه المفردات الأعجمية التي انتشرت على ألسنة المواطنين العرب في كثير من استعمالاتهم، على الرغم من وجود البديل العربي الصحيح السهل الذي يؤدي المهمة التوصيلية على الوجه الأكمل والأنسب، ولكن سوف أذكر بعض هذه المفردات التي يرددها الإعلاميون وغير الإعلاميين، لنكتشف الظلم الذي يقع على الهوية اللغوية ليلاً ونهاراً.

تتردد كلمة «شوبنج» عنواناً لأحد البرامج، فهل كلمة «تسوق» ثقيلة على اللسان، أو هناك غموض في معناها؟ وتتردد مفردة «راندفو» عنواناً لبرنامج آخر، فهل كلمة «موعد» ثقيلة أو غامضة؟ هذا قليل القليل من كثير الكثير الذي نستعمله دون حاجة إليه.

عودة المثقف الرقاصة



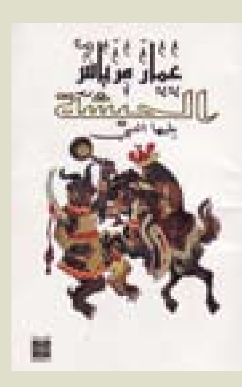
عرف المصريون أنفسهم أخيراً وتحركوا بما يليق بمكانة مصر وتاريخها ومكوناتها الحضارية. تمكن الشعب المصري من الإمساك بقوته وإقامة العدل، خلع نظاماً ديكتاتورياً ظن لعقود ثقيلة أن الأرض بشعبها قد خضعت لمشيئته.

بهذه الكلمات يقدم الدكتور أيمن بكر في كتابه «مقدمات الثورة المصرية.. في السياسة والإعلام والفن» عن دار صفصافه، مستكملاً مشروعه الذي بدأه بكتاب «المفكر الرقاصة.. من تفاصيل ثقافة منهارة» كاشفاً مدى الانهيار الذي وصلت إليه الثقافة المصرية في ظل نظام مبارك.

يحلل أيمن بكر نماذج من الخطابات التي كانت تصنع درعاً واقياً حول النظام السابق في السياسة والإعلام والفن، وهي خطابات مارست مناورات معقدة بهدف تزييف الوعي والتلاعب بالعقول وإخفاء الواقع المخيف تحت رداء من الألوان الزاهية. وأحسب أن الوعي بآليات هذه الخطابات ضروري الآن لضمان عدم ظهورها مرة أخرى. أما القسم الثاني من الكتاب فقد اكتمل أثناء ثورتي تونس ومصر وبعدهما محاولاً التوثيق والتحليل لما حدث وما يمكن أن يحدث في السنوات القادمة..



كتب



عن دار نقوش عربية بتونس صدر للشاعر الجزائري المقيم في باريس عمار مرياش مجموعة شعرية جديدة تحمل عنوان «الحبشة، يليها النبي»، المجموعة تقع في 171 صفحة واحتوت على 13 قصيدة، كتبت بين عامي 1986 و1991. مرياش في مجموعته الجديدة يكتب كعادته بلغة عاشقة لها القدرة على أن تدهش وتصدم في الآن ذاته، لغة شعرية موحية ومركزة في أغلبها، إنها القصيدة التي تأتي هكذا مكتنزة بشعرية حكيمة وبحكمة شعرية بالموازاة أيضاً، كأن الشعر والحكمة عنده على حالة تجاذب وانجذاب دوماً. من أجواء الديوان نقرأ من نص «المتشرح» والذي أهداه مرياش للكاتب سعيد بوطاجين: «وانْشَطرتْ شهوتين بينَ عشْرين فاتنة ورجعتُ أجرجرها روحاً معبَّأةً بالغُيومِ وخَيْباتِ عشرين غاشيةٍ لا أمتَّ لها بِصلَة. واحتملْتُ.. أقولُ القصيدةُ أُنْثَى تمرِّغُ أنْفي على ركْبَتيها طوالَ مُخاصَمة الأَهْلِ، حدَّثْتُها عنْ طَريقةِ عشْقي وعنْ حُلم لا يشِيخُ إذا شَابَ صخْرِ الشَّواطئ في الموْجَةِ الواعِدةْ، وكانَ أنا المُتشرح تزْدادُ عزْلتُه كلَّما صافحَ الآخرينَ وحدَّثهمْ عنْ أمانيهِ».

بنفس قوة الإثبات التي بثها جابرييل جارثيا ماركيز في عنوان منكراته، عندما اعترف: «عشت لأروي»، تأتي قوة النفي التي حملها عنوان كتابه الأحدث، «ما جئت لإلقاء خطبة».

ماركيز المفوه!

| طارق إمام

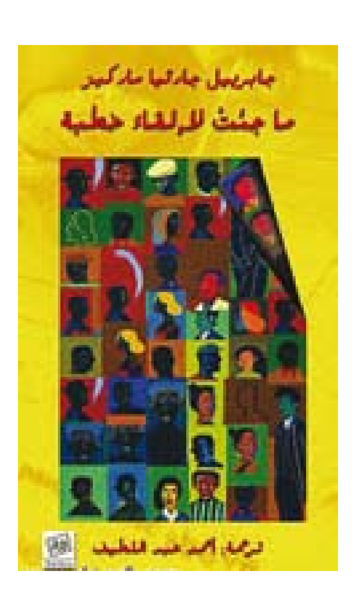
يكتمل وجها العملة لكتابين، أظن أنه لن يعود من المثالي قراءة أحدهما من دون الآخر.

ماركيز الخطيب، بترجمة رائقة لأحمد عبد اللطيف، يختلف بكل تأكيد عن ماركيز المتنكر، ذلك أنك في حين تقرأ الخطبة وفق الوعي الذي أنتجها في لحظتها، ودون تعديل لاحق، فإنك تطالع النكريات، من أبعدها لأقربها، تحت سلطة وعي مفارق. التنكر يأتي بالحياة مرة واحدة، معدلة بالضرورة ومحرفة.. أما السنوات الثلاث والستين الحاضرة هنا، مقسمة، بغير عدل، على اثنتين وعشرين خطبة، فإنها تبدو غير قابلة لإعادة الصياغة.. ذلك أن الخطيب لم يترك للمتنكر شيئاً يفعله معها سوى أن يحولها إلى كتاب.

لقد رتبت الخطب، ببساطة، حسب الترتيب الزمني لاقترافها، ما جعلنا أمام حياة تتهادى في الزمن التعاقبي، وحيث سيغدو من العبث ألا نتتبع فيها خطوط العمر وهي تغزو اليد التي كتبت، وتزحف فوق الوجه الذي تشيخ قسماته مع كل منصة جديدة. بين ابن السادسة عشرة، الذي ألقى أولى خطب هذا الكتاب عام 1944، والشيخ الذي أكمل الثمانين وهو يلقي خطبته الأخيرة، أشخاص كثيرون، يحمل كل منهم اسم غابرييل غارثيا ماركيز.

ينحاز ماركيز إذن، مجدداً، لتقديم كتاب فيه روح القصة، حيث يمكنك أن تعثر على بداية ونهاية. تقريباً، يسرد ماركيز محطات حياته الرئيسية عبر هذه الخطب، وساهمت المسافة الشاسعة التي تغطيها الخطب في ترسيخ هذا الشعور، فبمجرد الانتهاء من القراءة، ستكتشف المناحي العديدة التي غطتها، فهي تكشف ماركيز الطالب المراهق، الصحافي، السياسي، الصديق، والكاتب بالطبع.

أول سؤال تبادر إلى ذهني: ما علاقة ماركيز بمتلقيه المباشرين في هذه الخطب؟ والإجابة المدهشة، أن هذه العلاقة لم تكن دائماً على ما يرام. لم يكن جابو دائماً بين أصدقائه، أو



من يحب. لقد قبل أن يلقي خطبة أمام عسكريين، بدت مثل حفل توبيخ انتقى كلماته بعناية.. وتوجّه بعبارة لا تنسى: «إن حيواتنا جميعاً ستكون أفضل، لو حمل كل منكم دائماً كتاباً في حقيبته». وفي خطبته، الأشهر، عند تسلم جائزة نوبل، يخاطب الأوروبيين، غير ممتن، بوجدان ضيف حل على مائدة غرباء، وبقدر من التأنيب لينكرهم دون خجل: «ربما ستكون أوروبا المبجلة أكثر تفاهماً إن حاولت أن ترانا في ماضيها».. حتى أنه لا يأتي على ذكر أدبه مفضلاً أن يتحدث عن عزلة قارته التي عمقها نفس الأناس الذين منحوه الجائزة. كذلك يبني خطبته التي ألقاها في ملتقى ثقافي، حول دحض فكرة اللقاءات من هذا النوع، وكأنه يصب ماء بارداً على رؤوس الجالسين. لا يذهب ماركيز إذن إلى من يحب فقط، بل إلى من يثيرون شغفه بالتساؤل.

في نقض آخر «للأصول»، لا يبدو جابو حريصاً على اتباع تقاليد اللياقة دائماً، فنفاجأ به في خطبته حول ألبارو موتيس، بمناسبة تكريمه، في أجواء رسمية، يرسم بورتريهاً ساخراً لصديقه، يخلو من الوقار المتفق عليه. إنه يكرمه بتعريته، وتقديمه في صورته الأشد هشاشة وعبثية. وبشكل عام، يحول ماركيز خطبه إلى شيء آخر غير الذي جاء من أجله، كأنه يعاقب من زجوا به إلى هذه السجون، ومن هنا يكتسب العنوان جانباً جديداً من وجاهته.

يشهد عقد الأربعينيات خطبة واحدة، في حين يخلوا عقدي الخمسينيات والستينيات تماماً من أي خطبة لماركيز، ومع مطلع 1970 تأتي الخطبة الثانية في كاراكاس، وبعد أكثر من عشر سنوات، في أكتوبر 1982 تحتضن مكسيكو سيتي الخطبة الثالثة، لنلاحظ أنه حتى هذه اللحظة لم يرد حرف واحد عن مئة عام من العزلة.. لكن بعد شهرين فقط، سيكون ماركيز في استكهولم، ملقياً خطبته الأشهر بمناسبة حصوله على جائزة نوبل.. وبعدها بيومين فقط، في نفس المكان،

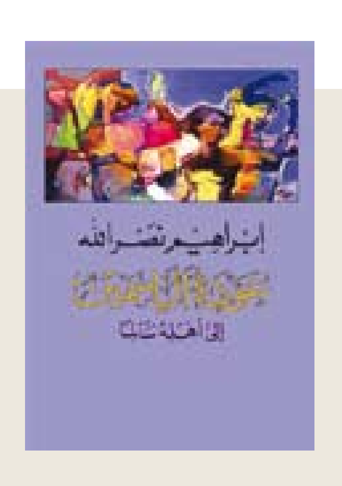
يلقي خطبة أخرى، في سياق نفس الاحتفال بحصوله على نوبل.. ثم يلقي ثلاث خطب في عامي 1985 و1986.

عقد التسعينيات يحظى بنصيب الأسد، حيث شهد 11 خطبة.. تفوق الخطب التسع التي شهدها نحو نصف قرن فائت. ومن اللافت أن خطب هذه الحقبة تبدأ بـ «مقدمة لألفية جديدة»، وتنتهي بـ «أوهام للقرن الواحد والعشرين». إنه، ببساطة، وفي هذا العمر، مشغول بالمستقبل. وبالفعل، تحفل خطب ماركيز في هذا العقد بمنحى تأملي واضح، وبأفكار يسيطر عليها سؤال: ما هو القادم؟

في العقد الأول من الألفية الجديدة، تقل الحصيلة مجدداً، ليكتفي ماركيز بخطبتين.. وبعد أن ظل سؤال المستقبل، في خطب العقد الماضي، يلح عليه، فإنه هذه المرة، يبدو مشغولاً بالماضي، مجبراً.. فخطبته الأخيرة لخصت ثلاث ذكريات مهمة، حيث تشابكت فيها الخيوط لتكتب كلمة النهاية: ماركيز يحتفل ببلوغه الثمانين، وببلوغ مئة عام من العزلة عامها الأربعين، وباكتمال ربع قرن على حصوله على نوبل. خطبة كهذه، سيكتمل مغزاها بإلقائها في قرطاجنة دي إندياس، عاصمة ماضيه.

ثمة ملحوظة أخرى لفتت انتباهي، فأربع خطب فقط من بين الخطب الاثنتين والعشرين ألقيت خارج أميركا اللاتينية، ثلاث في أوروبا وواحدة في الولايات المتحدة. وفيما عدا هذه «الاستثناءات»، استقرت بقية الخطب في مدنه ومدن جيرانه، بواقع ست في كولومبيا، خمس في المكسيك، ثلاث في فنزويلا، ومثلها في كوبا، وواحدة في بنما، وبالنسبة لكاتب في شهرة ماركيز، يبدو ذلك مدعاة لقدر من الحيرة. حتى إسبانيا، التي يكتب بلغتها، لم تشهد غرفة فيها خطبة واحدة له. المحصلة أن جابو، سواء اختار ذلك أو اختاره القدر له، ظل خطيباً لأميركا اللاتينية، حتى بعد أن صار روائياً للعالم بأسره!

أحوال نصر اللّه الشعرية



مجموعتان شعريتان للروائي والشاعر إبراهيم نصر الله صدرتا عن الدار العربية للعلوم في بيروت، ودار مكتبة كل شيء في فلسطين.

المجموعتان تمثلان مختارات للشاعر وهما: والتي تضم حوالي خمسمئة قصيدة قصيرة جدا، و«أحوال الجنرال» التي تضم اثنتي عشرة قصيدة طويلة، من بينها قصائد ملحمية مثل: راية القلب - ضد الموت، الفتى النهر والجنرال، والحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق. وقد أرفقت كل مجموعة بقرص مضغوط يضم عدداً من قصائد المجموعتين بصوت الشاعر.

القصائد القصيرة جداً تقدم الشاعر في محطات تأملية تستولد المعاني والحكم من أشياء كثيرة قد لا يلتفت إليها كثيرون، فهنا معالجات ورؤى جميلة وعميقة تفيض بحالات وجدانية حميمة تؤنس الأشياء وتمنحها قيمة إنسانية نبيلة مستمدة من بصيرة نافذة للشاعر. ومضات خاطفة لكنها تنطوي على طاقة من الإضاءة لمساحات واسعة من التأمل، وتفتح آفاقاً رحبة للرؤية الإبداعية التي تجسد شغفاً بقيم النبل والجمال، ليست كما هي معروفة لدى الإنسان وحده، بل كما يمكن أن توجد لدى الكائنات والأشياء التي نرتبط بها بعلاقات وجدانية حميمة غالباً ما يكون الشعراء أكثر إحساساً بها وأسرع التقاطاً.

يضم ديوان «عودة الياسمين إلى أهله سالما» مختارات من أربعة دواوين شعرية كرست للقصائد القصيرة جداً، هي: عواصف القلب، شرفات الخريف، كتاب الموت والموتى، وحجرة الناي.

أما مختارات «أحوال الجنرال» فجاءت لتشكل تجربة جديدة اهتمت بالشكل الشعري الملحمي الذي يمتلك طاقة تعبيرية شديدة الصلة بالوجدان الإنساني الجمعي وطنياً وفلسفياً، وأبرز هذه القصائد (الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق) و(الفتى النهر.. والجنرال) و(راية القلب - ضد الموت) و(فضيحة الثعلب) و(الطائر) وغيرها.

وقد تميزت القصيدة الملحمية لدى نصر الله بتجاوزها للسمات الملحمية التقليدية، فهي وثيقة الصلة بالواقع والتاريخ المعاصر، ناهيك عن قدرتها على أن تسلط الضوء على النمو النفسي والتحول القيمي والأخلاقي للشخصية الملحمية، كما رسمت الأجواء الملحمية من تفاصيل المكان والذاكرة والحالات النفسية المتحولة للشخصيات الفنية، حيث تسري الروح الملحمية في جسد القصيدة لتمنحها مكانة فنية ليس فقط في النتاج الشعري للشاعر، بل في النتاج الشعري العربي بعامة.

وعلاوة على القيمة الإنسانية والفنية والوطنية لهذه القصائد، فقد حظيت بقيمة جماهيرية واسعة النطاق، وأكدت مقولة فنية أساسية أن البساطة التعبيرية في الفن قادرة على حمل المعاني العميقة.

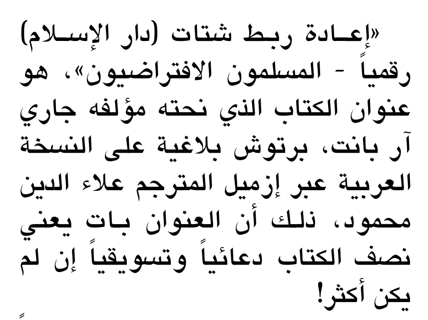
لقد ظلت الكتابة الشعرية لدى إبراهيم نصر الله تشهد تطوراً متصاعداً في ما يتصل بالموضوع، والتقنيات، والصور الشعرية، وأنواع القصائد، وكان الاتجاه الملحمي واضحاً كل الوضوح في مسيرة تطوره الشعري الذي شكل رافداً أساسياً من روافد الشعرية العربية خلال السنوات الثلاثين الماضية.



ماذا سـيحدث عندما يجتمع الإسلام والإنترنت؟.. سؤال شكل نقطة بداية التفكير في كتاب جاري آر بانت حول واقع المسلمين اليوم

عصر الفتوحات الافتراضية!

| عبدالله الحامدي



«إعـادة ربـط شتات (دار الإسـلام) رقمياً - المسلمون الافتراضيون»، هو عنوان الكتاب الذي نحته مؤلفه جاري آر بانت، برتوش بلاغية على النسخة العربية عبر إزميل المترجم علاء الدين محمود، ذلك أن العنوان بـات يعني نصف الكتاب دعائياً وتسويقياً إن لم يكن أكثر!

يقول محمود: اختار المؤلف عنواناً مبدعاً لكتابه، حيث نحت كلمة جديدة في اللغة الإنجليزية وهي I Musllims مستعيراً حـرف I الزئبقي الـذي صار شائع الاستخدام في كلمات مثل Iphone للدلالة على الإنترنت والتفاعلية، مضيفاً: تعبير المسلم الافتراضي أشمل من تعبير مسلم الإنترنت.. إذ إن هذه الدراسة تركز أيضاً على مستخدمي الهواتف المحمولة مثل البلاك بيري وألـعـاب الكمبيوتر ومشاهدي كليبات الفيديو وهذا بالطبع يتجاوز مستخدمي المحتوى المتاح على الويب.

يحاول الكتاب تفكيك العلاقة الناشئة بين عالمين ينتمي كل منهما إلى سياق تاريخي ومعرفي مغاير للآخر، ظاهرياً، ولكن بالذهاب أعمق عبر البحث والتحليل والنقد، تتجلى عبثية الفصل التعسفي بين العالمين، فليس للدين الإسلامي حدود نهائية، كما ليس لشبكة الإنترنت حدودٌ مؤطرة، كونها وسيلة مفتوحة عـلـى الـمـعـارف والـتـجـارب بـمـا فيها الروحية، حتى لو كانت الأداة محض رقمية، وهنا جوهر فكرة الكتاب.

«المسلمون الافتراضيون» الذي صدر حديثاً بالقاهرة عن دار «سطور الجديدة» يوضح ما يحدث عندما يجتمع عنصران من العناصر التي تهيمن على تشكيل الحياة في القرن الـحـادي والعشرين وهما الإسلام والإنترنت، وسواء نجم عن اجتماع هذين العنصرين انفجار أو مجرد أمواج لطيفة مترقرقة، يظل هنا أمراً مفتوحاً للنقاش.

ويعقد المؤلف مقارنات بين المراحل المفصلية في حركة انتشار الإسـلام منذ لحظة الوحي مـروراً بزمن البعثة ثم الفتوحات: لا يسعني إلا التفكير في توسع الإسلام وتشكل شبكاته بأسلوب متسارع في القرن السابع الميلادي منذ ظهوره في شبه الجزيرة العربية على يد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام والذي أتـاه أمر ربـه «اقـرأ» في 610 ميلادية وتوسعه عبر القارات حتى وصل إلى أوروبا الغربية والصين والهند وإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، مضيفاً: جاء التوسع المعاصر في الخطاب الإسلامي من خلال الإنترنت متلازماً مع عوامل خارجية وإن لم يكن أقل إبهاراً، ويقول: للإنترنت تأثير معاصر عميق على كيفية تصور المسلمين للإسلام وكيفية تطور المجتمعات والشبكات الإسلامية وتحولها في القرن الحادي والعشرين، وفيما تبدو هذه الواجهات الإلكترونية جديدة ومبتكرة من حيث تطبيق الميديا، فإن للكثير منها جـذوراً في المفاهيم الإسلامية الكلاسيكية، وتتصل هذه المفاهيم بالشبكات الإسلامية التقليدية مع وجود أصداء تاريخية قد ترجع إلى زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويتابع في مكان آخر: استخدم المسلمون بشكل مبدع الإنترنت لمصلحة توسيع فهم الدين لمصلحة المؤمنين الآخرين.

وينوه المؤلف بتأثير قناة الجزيرة الفضائية منذ انطلاقها في منتصف تسعينيات القرن الماضي على جماهير الأمة العربية، خاصة برنامج الشيخ يوسف القرضاوي «الشريعة والحياة» فـي سياقه التعريفي بـالإسـلام عبر الآفاق، مؤكداً أن نجاح الجزيرة كعلامة تجارية كوكبية قد أدى إلى إنشائها قناة باللغة الإنجليزية، والتي يمتد تأثيرها إلى الفضاء «السيبري»، عبر موقعها الخاص على الويب.

كما يـورد المؤلف مثالاً بيناً حول علاقة الإسلام بالإنترنت على المستوى الـتـداولـي، من خـلال فريضة «الحج» قائلاً: يتيح جوجل إيرث رؤية عن بعد بالأقمار الاصطناعية للكعبة بمكة، وتحتوي صفحة الويب للكعبة 3D التي صممها عابد حسين تفصيلات أكثر، وتمثل تلك الصفحة مشروعاً طويل المدى، حيث يطبق نمذجة حاسوبية ثلاثية الأبـعـاد لإنـتـاج كليبات فيديو متحركة، من بينها رحلة خلال المناطق المجاورة للكعبة.

اليهودي في مسرح العرب

عبدالحق ميفراني

صدر للناقد المسرحي محمد الوادي كتاب «تجليات صورة اليهودي» (في المسرح العربي) عن منشورات نقابة الأدباء والباحثين المغاربة.

يؤكد الناقد محمد الوادي أن مسرحية «تاجر البندقية» لشكسبير تمثل أفضل عمل درامي رسم صورة اليهودي وما رافق هذه المعالجة من جرأة في الطرح وإتقان في الصياغة أكثر مما قدمه كريستوفر مارلو «يهودي مالطا»، رغم أن الطرح يعيد الى الأذهان النقاش الحاد الذي دار حول شكسبير نفسه والأسئلة المحرجة التي طرحت حول «يهوديته» أو «كرهه للسامية».

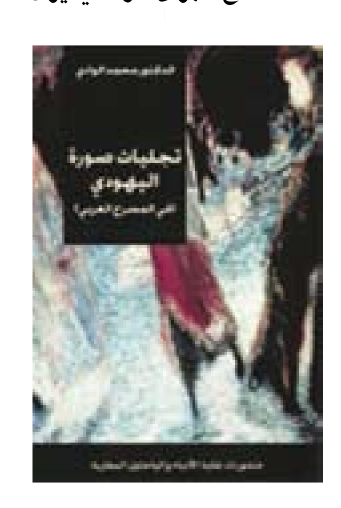
ويعود الناقد إلى صورة اليهودي قبل شكسبير في إنكلترا تحديداً. وقد عثر الباحثون على مسرحية تنحدر من القرون الوسطى بعنوان «الأسرار المقدسة» توجه اتهاماً إلى يهود القرون الوسطى بتدنيس «القربان المقدس». صورت العداء الشديد للعنصر اليهودي وهي واحدة من المسرحيات التي نهلت من الأساطير اليهودية.

ويبقى العصر الإليزابيتي العصر الأكثر تعبيراً والأدق تصويراً درامياً - لما كان عليه اليهود. حيث انتقلت هذه الصورة من النموذج «المثالي» عند روبرت ويلسون في مسرحيته «سيدات لندن الثلاث» إلى صورة اليهودي المرابي والمخادع والممقوت، وهي جميعها أساليب للسخرية من اليهودي (كما حدث سابقاً في المرحلة الرومانية)، ونمثل على هذا التوجه بتجربة المسرحي كريستوفر مارلو بمسرحيته «يهودي مالطا»، والذي قدم خلالها شخصية «باراباس» اليهودي الماكر، ولقيت المسرحية نجاحاً باهراً حينها.

التجربة الثانية كانت للرائد شكسبير وحينها كان سؤال مهم يطرح: هل كان هناك يهود في إنكلترا في عهد شكسبير؟ وفي ظل هذا الوضع الملتبس قدم شكسبير «تاجر البندقية» محاولاً نقل الصورة التي رسمها العقل الأوروبي لليهود في العصور الوسطى، وتكمن إضافته في كيفية توظيف ونقل هذه الصورة إلى المتلقي الغربي.

في تأطيره لصورة اليهودي في المسرح العربي،وكيف تتشكل صورة اليهودي في هذا المسرح؟ وقد ساق الناقد نماذج قدمها بمسرحية «اليهودي التائه» ليسري الجندي هذا النص ذو الطبيعة التسجيلية والذي امتزج فيه التاريخ بالأسطورة، وقد قسم مسرحيته الى قسمين: سفر التاريخ وما قبل التاريخ وسفر الطاعون. وقد جاءت المسرحية استجابة كاتبها لما حدث في 1967. العمل يمثل سابقة في تاريخ المسرح العربي أعادت قراءة التاريخ «اليهودي والإسرائيلي» برؤية فنية.

النماذج التالية تمثلت في كتاب «المسرح بين العرب وإسرائيل 1967ـ 1973» لسامح مهران، والذي يرى الناقد محمد الوادي أنه عرف انزلاقاً منهجياً وشرخاً في العنوان، شرخاً هيكلياً وشكلانياً.



وعن صورة العربي في المسرح «الإسرائيلي»، والتي عرفت توظيفاً لافتاً بعد حرب أكتوبر73، إذ سجل المؤرخون ثلاثين عرضاً حضرت فيه شخصيات عربية (1973ـ1982) لتصل لأوج مرحلة (1982ـ 1994) إذ نجد ما يزيد على مئة عرض في المسرح «الإسرائيلي» الذي تمثل في معظمها الجانب الفلسطيني في النزاع. وتركزت النظرة في الخصائص السلبية «العربي الأدنى من الناحية الحضارية في حوارهم المثير للسخرية»، «والمجتمع العربي المشوه لا يسوده العدل الاجتماعي»، بالتالي يتحكم في هذه النظرة الاستعلائية منظور أيديولوجي يلخص صورة العربي في العقلية «الإسرائيلية».

وتتقاطع رؤية «دان أوريان» في كتابه «شخصية العربي في المسرح (الإسرائيلي)» مع كتاب سامح مهران في النظرة الاختزالية، إلا أنه يعترف في النهاية أن الثقافة العبرية ظلت تعاني من مشكلة الهوية.

وبالنسبة لصورة اليهودي في المسرح المغربي، فقد تحكمت فيها معطيات تاريخية ودينية واجتماعية وثقافية، وهي الصورة المتحولة المركبة، بالتالي سنكون أمام مجموعة من الصور ذات المرجعيات المختلفة وهي صور أحياناً معتمة ومضببة، لكنها تتفق حول تطابق تام بين «اليهودي» و«الإسرائيلي»، وهي صورة نمطية. غير أن المثير في الكتاب هو تناوله لصورة المغربي عند «يهود المغرب» من خلال عرض «تفاوتات» لجاد المالح (ألوان المان شو).

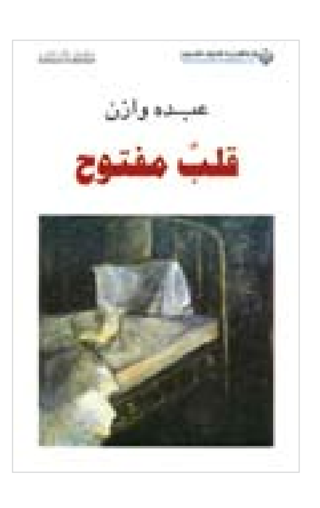
وينتقل الناقد محمد الوادي إلى أنماط وتجليات اليهودي في النص الدرامي المغربي (عبدالكريم برشيد، الطيب الصديقي، محمد مسكين، المصطفى رمضاني)، والحقيقة أن لا مجال للحديث عن رؤية نقدية مسرحية لصورة اليهودي في الأعمال الإبداعية المغربية، فهذا المبحث يكاد يكون غائباً.

سطوة الذاكرة.. ونزق الأسئلة

| د. لنا عبد الرحمن

كيف يكون للنبيذ طعم فردوسي بعد وقت قليل من مواجهة الموت؟ وكيف للجسد الممدد على سرير المرض استعادة نكهة قطعة خبز حلو تشبه قمراً صغيراً؟. ذكريات متنوعة، تمزج بين طعم النبيذ، ونكهة الخبز المقدس، ورائحة البيت القديم، وعذوبة الحب الأول، وآلام الجسد المريض، ثم هواجس الكتابة والموت. تلتقي كلها في نص «قلب مفتوح»، للشاعر عبده وازن، الذي يروي تجربته مع المرض، في نص استرجاعي تأملي، ينتمي شكلاً لأدب السيرة الذاتية، ويستعين بالتقنيات الروائية، وأدب الاعترافات. وإن كان الشاعر لا يضع على غلاف الكتاب كلمة «سيرة»، أو «رواية»، إلا أنه يسرد ذاته في توقف مفصلي أمام أكثر لحظات حياته اضطراباً ووجعاً.

وإن كان ثمة ملامح مشتركة بين السيرة والرواية - على مستوى البناء الداخلي والجمالي للنص - فهنا يرجع لأن السيرة تقوم بشكل أساسي على فن السرد الذاتي، استنطاق «الأنا» كي تبوح بكل ما لديها، وهنا نجده أيضاً في كثير من الروايات التي تستخدم ضمير المتكلم، وتختفي خلف شخصية البطل، كي تقوم ببوح حميم يتداخل فيه الواقع مع الخيال، في حين ينبغي على السيرة أن تقدم ما حدث فقط، دون خيالات أو استطرادات، لأن غرض السيرة هو سرد تجربة ذاتية ذات دلالات معينة، يقدمها للقارئ كما عاشها بكل ما فيها من اتجاهات فكرية وسياسية وثقافية، وهنا ما نجده في النص الذي بين أيدينا. ويرى تيتز رووكي في كتابه «طفولتي» أن الكاتب يشعر بأن صدقه الخاص لا يمكن أن يتحقق إذا هو قيد خياله الخلاق بشكل أو شكلين من الكتابة، إذ إنه كي يقترب من ذاته لا بد



من الأسلوبين: «الواقعي، والخيالي». وفي هذه المقولة دلالة على ما نقف عليه في «قلب مفتوح»، فرغم نماذج أكثر من نوع أدبي، فإن عنصر الخيال لا يغيب بل يحضر عبر الرؤى التي يستحضرها الكاتب بين الوعي واليقظة.

ينفتح نص «قلب مفتوح» منذ السطر الأول على عالمين: عالم الغيبوبة، والتي تمثل مرحلة مفصلية ما بين قبل الدخول لغرفة العمليات، وبين العودة للواقع للتذكر - العودة للحياة- استحضار الذاكرة وسائر التفاصيل الماضية الأخرى. وبين هذين العالمين، ثمة وجع يمتد على مدار النص، وجع روحي، متفرد، يتخذ من ذكريات الطفولة مكاناً أليفاً يستظل به من وهج الآلام التي يفرضها الجسد. يكتب الشاعر تأملاته في حالة من الظلال الطيفية، كتابة تأتي بعد وقت المرض، لكنها لا تنفصل عن تلك الأوقات، بل تعود إليها بوعي شمولي ينظر إلى التفاصيل بعين رقيقة تعبر فكرة الحياة والموت إلى حدود بين بين، حيث يؤكد في أكثر من موضع أنه بين صحو ومنام، أو بين وعي وهذيان، يغمض عينيه ويتذكر. يتذكر وينسى. تلمع وجوه في ذاكرته الأبعد، لكنّ وجوهاً أخرى تسقط في العتمة فلا يتمكن من تذكرها، «وكأن مواجهة الموت تجعل العالم صفحة بيضاء لم يُكتب عليها حرف»، كما يقول وازن في (ص: 205).

لا يمكننا قراءة «قلب مفتوح» إلا وفق تتبع مسارين، يتخذ المسار الأول طريق الوعي بالجسد المريض، مراقبته من لحظة دخول المستشفى تتبع كل زفراته وأنّاته خلال لحظات الوعي التام، وأوقات شبه الوعي التي تسجل أيضاً رؤاها الخاصة للجسد ومعاناته، احتجاجه ولوعته، صمته وسكونه. ثم هناك مسار آخر لعالم اللاوعي تسيطر فيه حالة من التأمل الباطني التي ترتد بعيداً جداً نحو الأعماق، تبحث في الماضي البعيد، تطرح تساؤلات من أيام الطفولة والصبا، حيث الذكريات الحلوة والمؤلمة غافية بعيداً. يُطل وجه الحبيبة الأولى، بأعوامها الثلاثة عشر، يحضر الوجه بقوة، يضيء بنوره على ذاكرة خصبة لأيام حب بريء ناصع، تأتي الفتاة في ثوب ممرضة، لكنها لا تزال متوقفة عند عمرها الغض، ويتساءل الشاعر: كيف لم تكبر حبيبته؟ كيف كبر هو وحده فيما هي ظلت صغيرة، تلك الفتاة التي علمته الإصغاء لصوت فيروز حين كان فتى يافعاً، غابت مع الحرب الأهلية في لبنان. اختفت خلف خطوط التماس التي وضعت بينهما خطوطاً بالأحمر والأسود، وفرقت بينهما إلى الأبد.

هل الطفولة - ببعض الحوادث المفصلية فيها- تمثل بداية الوعي العميق بالذات؟ تبدو الذكرى الأكثر بعداً وحياة في آن، هي ذكرى الرصاصة التي عبرت جوار القلب، ولم تمسه، بل استقرت في الضلوع حتى آخت اللحم. حادثة الرصاصة الطفولية التي يسردها عبده وازن بمزيج من الرهافة والدقة ليست أكثر من هبة حياة جديدة - من هنا تأتي أهميتها- لأنها كشفت عن قلب مهدد بالموت منذ الطفولة، لكنه نجا بأعجوبة

قدرية، لذا تحيط بتلك الحادثة هالة من القداسة على مستوى الوعي بالعالم، وتضفي على تأملاته للحياة أبعاداً تستحق التوقف لأنها فرضت نوعاً من التساؤلات الفكرية والدينية، بين زمن الرصاصة التي استقرت في الضلوع خلال الطفولة وبين زمن الصبا، حيث لاحت للشاعر أفكار الرهبنة، وكأنه يحمل في عمره ديناً يجب أن يفي به. يقول: «هكذا فتحت عيني على العالم، وعيت العالم: أعيش حياة ثانية وهبني الله إياها، وفي القلب أيقونة النبي إيليا.. أذكر كيف كان الدين كل شيء في حياة الفتى. وخلال تلك الأعوام أدرك الفتى، بالروح والجسد، ماذا يعني أن يكون أعطية من الله، وكنت أشعر أني منذور إلى الأبد». (ص: 31).

لكنّ ثمة وجعاً آخر مرتبط بالطفولة، يتعلق باليتم المبكر الذي عانى منه الشاعر وجعله يعرف الموت عن كثب، حين فقد والده، وصار يؤلمه الشعور بالعطف الذي يبيح للآخرين إظهار حنان مبالغ به. ويحكي الكاتب - أيضاً - عن علاقته مع أمه، تلك «الأم التي لم تعرف في الحياة سوى أنها أم»، تمكنت من جعله يتعلم الحب الشمولي، وبأن الحب في جوهره هو حالة من الأمومة اليقظة لمنح المحبة من دون مقابل أو انتظار. تحتل ذكريات الطفولة حيزاً مهماً في سرد «قلب مفتوح»، بل إن تلك الذكريات تتداخل مع الواقع، مثل خيوط القماش في الثوب الواحد، فالسرد هنا يقوم على الاستدعاء، فالحلم يستدعي رائحة «الغاردينيا»، ورائحة «الغاردينيا» تستدعي وجه فتاة أحبها سراً وظل وجهها في ذاكرته مقترناً بتلك الرائحة، وكل تلك التفاصيل تقود إلى أيام الدراسة، ورفقة الصبا. لكن هذا الاستدعاء يقود أيضاً لذكريات مضادة، اللون الأبيض الذي فرض بحضوره رائحة «الغاردينيا»، يستدعي الثلج أيضاً، وهنا الثلج رمز للبرودة، للدفء الغائب عن الروح. يقول: «كان منظر الثلج وحده يبعث بي برداً، برداً نفسياً قبل أن يكون برداً في الجسد». (ص: 177).

يحمل نص «قلب مفتوح» - إلى جانب البوح والاعتراف وسرد الماضي - حالة تطرح تساؤلاتها عما وراء الحلم، عن فكرة الملائكة، عن الما وراء. وإن كانت تلك الحالة انطلقت من رؤية دينية لاهوتية، في بدايات الوعي، إلا أنها تستمد مرجعيتها فيما بعد من مصادر أخرى تتنوع بين الفن والكتابة، ليستدل وازن على فكرته برؤية شكسبير الذي وصف الملائكة بـ «خدام النعمة الذين ينودون عنا»، في حين كان جوته يحلم بهم، هناك أيضاً كتابات دانتي، وبودلير، وولت ويتمان، وإيكارت وابن عربي. تمثل تلك الأسماء وغيرها، مراجع استضاء بها الكاتب على تفسير العالم، بشقيه (المرئي والمحجوب)، وتلك هي الرؤية الفلسفية التي يؤمن بها، بل إنه على يقين من أن الإنسان نصفه ملاك ونصفه الآخر حيوان، ويمضي عمره في صراع بين الكائنين.

وينحو وازن في الفصل الأخير إلى تأمل ماهية فعل الكتابة.. ما الدور الذي يؤديه في حياته. لـمَ يكتب؟. فبعد أن امتزجت الذكريات والصور، حضرت وغابت، وتفرعت في دروب شتى يكتشف الكاتب أنه يعيد رؤية الحياة من جديد. الحياة موجودة وتستمر ضوضاؤها خلف النافذة، وهو ليس أمامه إلا العودة لها، بكل ما يحمله من صفحات مطوية بيضاء وسوداء.

إنها الكتابة، التي تأخذ بيده في طريق العودة، هو لا يدري لمَ يكتب لأن الكتابة لا تحتاج لمن يسأل عن سبب حدوثها. لكن يبدو أن اعترافه في الأسطر الأخيرة من النص بأن الكتابة هي فعل مقاومة للموت، فعل الإشراق الحتمي الذي لا يوازيه شيء سوى الحياة ذاتها يقول: «ماذا أكتب؟ لا أدري. أعرف أنني أكتب، أنني أعيش الكتابة، أنني بها أعيش وبها أميت الموت.. أكتب الآن لقد عدت للحياة. ما أجملك أيتها الحياة عندما تشرقين من وراء سور الليل!». (ص: 208).

أخلاق وفضائح صاحبة الجلالة

سياسات النشر وتحكم السلطة والمال في الصحافة وفضائح المشاهير والكوارث البيئية هي العالم الذي يدور فيه كتاب «إيان هارجريفز» مقدمة قصيرة عن الصحافة الصادر عن دار الشروق بترجمة لـ «بدر الرفاعي».

أخلاقيات المهنة وكيفية حصول الصحافي على المعلومات واتخاذه القرارات التي تواجهه وكواليس الصحافة التي لا يراها القارئ هي أيضاً من عوالم الكتاب.



«إيان هارجريفز» وهو من رواد الصحافة في بريطانيا، وواحد من قلائل تمكنوا من شغل مناصب مرموقة في صحف ومجلات عديدة بالإضافة إلى التليفزيون والإذاعة، عمل مديراً لقسم الأخبار في الـ «بي بي سي» ونائباً لرئيس تحرير «الفاينانشال تايمز» ومحرراً في «الإندبندنت » ومجلة «النيو ستا تسما ن » وهو حالياً يعمل أستاذاً في قسم الصحافة بجامعة «كارديف» يرى أن الصحافة دخلت القرن الحادي والعشرين وهي واقعة في تناقض من لدنها. فقد أصبح لدينا المزيد من الأخبار وصحافة أكثر تأثيراً، على نطاق إعلامي لم نشهده من قبل منذ ميلاد الصحافة الحرة في القرن الثامن عشر. ومع ذلك تتعرض الصحافة أيضاً لهجوم غير مسبوق، من قبل السياسيين، والفلاسفة، ومن الرأي العام، والراديكاليين مناهضي العولمة، والجماعات الدينية، بل حتى من الصحافيين أنفسهم. وقد حاول «هارجريفز» كشف هذه الحالات من التناقض.

في تقديمه لكتاب «قراءات في فكر وفلسفة علي حرب.. النقد، الحقيقة والتأويل» (الدار العربيّة للعلوم ناشرون)، يركزّ الكاتب الجزائريّ محمد شوقي الزين على أنّ «كتابات المفكرّ اللبنانيّ أضحت اليوم المرجعيّة الأساسيّة في الدراسات الفلسفيّة المعاصرة.

علي حرب.. خارج التصنيفات

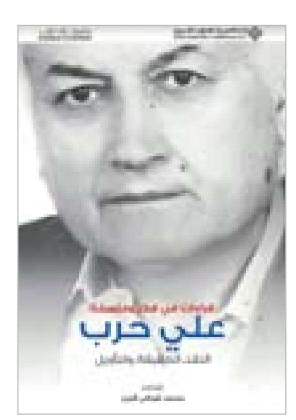
حسام السراي

ويبيّن المشرف على الإصدار الجديد (206 صفحات من القطع المتوسط) «أنّ الأساتذة (الجزائريين) الذين يعبّرون عن دَيْنهم الفكريّ لكتابات علي حرب أثْروا هذا الكتاب بدراسات مفيدة وقيّمة لأهمّ المفاهيم أو التعابير المشكّلة لفلسفة حرب النقديّة.. من خلال مساءلة أعلام الفلسفة والتصوّف (الكندي، الفارابي...)، وبسياقها الراهن عبر السجال الفكريّ مع أعلام الفكر الغربيّ المعاصر (نيتشه، هايدغر...)، والفكر العربيّ (أركون، محمد عابد الجابري، نصر حامد أبو زيد...)».

ولم ينسَ شوقي الزين أنّ «علي حرب اعتنى بنقل اللغة من سباتها الدوغمائيّ إلى حيويتها المعرفيّة في صناعة الوقائع الفكريّة...».

ففي دراسة «علي حرب ومعضلة الحقيقة: المساءلة النقديّة واستراتيجية القراءة» لمحمد جديدي، نجده يؤكد على «ثيمة المسألة النقديّة التي قادها ألا وهي قراءات عزّزتها آليات وأدوات ومفاهيم ابستيمولوجيّة غربية تحليليّة تفكيكيّة تأويليّة، لكنّها لم تكن مقطوعة الصلة عن سياقات ثقافيّة عربية حاضرة أو ماضية واستلهمت منها مطالب جاءت مغايرة عن تلك التي قدّمها غيره من المثقفين العرب...».

دراسة الباحثة نورة بوحناش عن «تأويل حرب والأصول المفتوحة»، تذهب إلى البحث في المسألة التأويليّة عند صاحب «النصّ والحقيقة»، لتخلص في النهاية إلى أنّ «مشروع حرب أقرب إلى من يخطّ خواطر أدبيّة منه إلى مشروع فكريّ يحدث التنهيض للوعي العربيّ، ذلك أنّه ردّد كثيراً حالة وجوديّة عاش فيها حالات المتشائم والمتأمل والناقد والمتشكك ثمّ المفكك..»، هنا تحدّد بوحناش: «أنّه مشروع فاقد للتأسيس النظريّ وبالتالي المنهجيّ والذي يضطلع بمسؤوليّة تنهيض الوعي..».



متابعة الحضور النيتشويّ في فكره توردها لنا دراسة عبدالرزاق بلعقروز (الانفتاح على الأفق الرحب لما بعد الحداثة ومحنة الإنسان الأعلى: علي حرب مؤولاً لفكر نيتشه)، وإذا كان التبشير النيتشويّ- بحسب بلعقروز- أتى من أجل أن يعلن ميلاد الإنسان الأعلى قائلاً: «إنّي أعلّمكم الإنسان الراقي، فهو معنى الأرض...»، فإنّ علي حرب على النقيض من هذا يرى بأنّ «الأجدى أن نمارس «التقى الفكريّ» لكي نعترف بمحدوديتنا وهشاشتنا، وعوراتنا، بالتحرّر من هوامات الإنسان الأعلى والكائن الأسمى... وبهذا يؤثر حرب تسمية «الإنسان الأدنى» من باب الأمانة والإحساس بالمسؤوليّة تجاه بعضنا وتجاه الطبيعة».

من جهته، ينبه إبراهيم أحمد، في دراسته عن «فلسفة اللغة عند حرب»، إلى أنّ «الكلام الفلسفيّ عنده يبدأ من اللغة، لا من الشيء الذي يعتبر أخص خصائص النشاط الفلسفيّ، العمل على الأفكار وابتكار المفاهيم... فهو يدخل على الموضوع من باب الكلمات لا من جهة المفهومات..».

وفي دراسة أخرى تتعامل مع «النصّ وإشكالية القراءة» عنده، يرى الباحث حمادي هواري أنّ «القراءة الحقيقيّة في نظره هي التي تسعى إلى كشف معاني النصوص المخاتلة التي تختبئ وراء السطور، وتكشف الممنوع والمتخفي الذي سكتت عنه..»، منوّهاً إلى تعريف حرب للتأويل، وهو «صرف اللغة إلى معنى يحتمله أنّه انتهاك للنصّ والخروج بالدلالة..».

وتسجّل دراسة الباحث نابي بوعلي لـ «مشاطرة علي حرب في نقده لتشومسكي مفكّرين آخرين أمثال جيفري سامسون، الذي يرى في كتابه الموسوم بـ (المدارس اللغويّة: التطور والصراع)، أنّ أبحاث تشومسكي اقتصرت على اللغة الإنكليزيّة، وبعض اللغات الأوروبيّة، وهذا ما يجعلها غير قادرة على تفسير جميع اللغات، الأمر الذي يؤثّر على حظوظ إقامة نظرية عالميّة مبنية على الكليات اللغويّة».

موضوعات أخرى احتواها الكتاب بأقلام باحثين، منها «مطارحات العقلانيّة النقديّة عند حرب» لـ «جويدة غانم»، «حول مشروعه: نحو تجاوز السبات الأيديولوجيّ العربيّ» كتبه أحمد دلباني، في حين نطالع للكاتب محمد شوقي الزين دراسة تختم الكتاب عنوانها «علي حرب الفيلسوف الذي يستحيل تصنيفه».



من يضحك أخيراً؟

لـ عبد الرحمن المناعي

أصدرت وزارة الثقافة والفنون والتراث حديثاً مجموعة مسرحية للكاتب والمخرج القطري عبد الرحمن المناعي تحت عنوان «مسرحيات للأطفال»، وتحتوي المجموعة على ست مسرحيات قدمتها الفرق المسرحية في قطر وفي بعض دول مجلس التعاون الخليجي ولاقت نجاحاً كبيراً حين عرضها، وهي: الحذاء الذهبي، من يضحك أخيراً، الاختراع، قطار المرح، المهرج، قرية الزهور.

المسرحيات، وكما يقدمها المناعي نفسه، تستلهم بعض الحكايات والتفاصيل من التراث العربي والتراث الشعبي لمنطقة الخليج، قائلاً: لم يدر في ذهني أن أكتب يوماً للأطفال، ولكن من خلال بحثي المستمر في التراث الشعبي وجدت الكثير من الحكايات التي تروى للأطفال.

ويعترف المناعي بصعوبة الكتابة المسرحية للأطفال، مؤكداً أنه في أول تجربة له برزت محاذير تربوية هامة لم يكن قادراً على التعريف بها، ويضيف: هكذا كانت النصوص تتوالى ويزداد معها وقع المسؤولية، ويتابع: لابد أن نستبعد فكرة أن مسرح الطفل هو للمبتدئين من مؤلفين أو ممثلين وفنيين ولا يحتاج لكثير من الجهد، وهنا ما حدث بكل أسف، حيث أصبح المسرح الذي يقدم للأطفال رهينة في يد الفنانين التجار، إن جاز التعبير.

يختار «لِخ»، أحد الشخصيات في رواية «الطائر المصبوغ»، طائراً قوياً من القفص، ثم يقوم بصباغته كاملاً بألوان قوس قزح، في المرحلة التالية يُضغط على الطائر كي يُصدر زقزقة تجتنب سرباً من النوع ذاته، وحينها يُطلق الطير.

قتل الشقيق المختلف

تشرح الرواية ما يحدث حينها: «دار الطائر المصبوغ من أحد طرفي السرب إلى الآخر، يحاول عبثاً إقناع الطيور بأنه واحد منها. ولكنها إذ بهرتها ألوانه المتألقة، طارت حوله غير مقتنعة. فكان من شأن الطائر المصبوغ أن يضطر إلى الطيران إلى مسافة أبعد فأبعد وهو يحاول بحماسة أن يدخل في صفوف السرب. وسرعان ما رأينا بعد ذلك أن طائراً بعد آخر أخذ ينحرف عن السرب للانقضاض في هجوم عنيف.

في رواية ييجي كوشينْسكي، الصادرة عن الهيئة العامة السورية للكتاب بترجمة محمود منقذ الهاشمي، يأخذنا الكاتب إلى الجانب المريع من الحرب العالمية الثانية من خلال طفل في السادسة من عمره، أرسله أبواه من المدينة إلى قرية بعيدة حماية له من ويلات الحرب. تموت المرأة التي ترعاه بعد شهرين من وصوله، فيهيم من قرية إلى أخرى باحثاً عن الأمان. كان الطفل قاتم الشعر، أسود العينين، وسط فلاحين منعزلين مولودين من زواج الأقارب ذوي البشرة الناصعة والشعر الأشقر والعيون الزرق، لذا بدا أمامهم كمثل الطائر المصبوغ الذي ينبغي الانقضاض عليه. لم يتفهم «سرب» الفلاحين انتماء الصبي «المصبوغ» إليه، فقد نظر إليه في كافة القرى التي شهدت رحلة هروبه على أنه إما غجري أو يهودي، وهاتان الفئتان منبوذتان اجتماعياً، فضلاً عن التعليمات النازية



التي تقضي بإنزال أقسى العقوبات بمن يؤوي أحداً منهما.

تحتوي الرواية على كمٍ هائل من العذابات التي يتعرض لها الصبي، ما يجعل منها ملحمة في الصمود والتصميم على البقاء، لكنه مجرد البقاء إذ من المتوقع أن تخلف العنصرية التي واجهها الطفل الكثير من العاهات، ليس أهمها الخرس. يمكن القول إن هذه الرواية بمثابة نشيج موجع من أجل الحق بالاختلاف، وقد نالت جائزة أفضل في فرنسا، ومن ثم نال مؤلفها جائزة «المعهد القومي للفنون والآداب» وجائزة «الأكاديمية الأميركية للفنون والآداب» عام 1970. المؤلف كوشينسكي بولوني هاجر إلى الولايات المتحدة، وشهد نجاحاً كبيراً في الرواية والمسرح. كان يعاني من عدم انتظام دقات قلبه ومن الإعياء العصبي والجسدي، إلى أن مات منتحراً في عام 1991، كتب في كلمة وداعه: «إنني ذاهب لأخلد إلى النوم مدة أطول قليلاً من المألوف.. سمّوها الأبدية».

رواية القلق المتشابك والأسئلة المرتجة

صدرت منذ أيام عن دار الحكمة للنشر بالجزائر رواية جديدة بعنوان «زهوة» للكاتب والروائي الجزائري الحبيب السائح، وهي عبارة عن نص يتناول على خلفية يتداخل فيها الواقعي بالأسطوري بالتاريخي، العودة إلى أرض الأصول والجذور، كشفاً عن الأزمنة والأمكنة المهملة، بحثاً عن مرساة للذات في مرفأ الحقيقة الكلية حينما يغدو سؤال وجود الشخوص الرئيسيين هو بؤرة القلق لديهم. النص يقول الحب والكراهية، الزهد والغواية، الوقار والنزوة، الخير والشر، الطمع والتعفف، الجريمة والصمت. إنه نص القلق المتشابك والشائك في أرض الأسئلة المرتجة على الدوام. نص «زهوة» يأتي محملاً على أسئلته وبأسئلته وبالأضداد والتناقضات والتضادات. وسيكتشف القارئ أن «زهوة» هي أيضاً رواية الهجرة المضادة وتفاصيل الأشياء والأسماء، بلغة سردية تلقي بشعاع آخر على ظلال التجريب. الرواية تقع في (342) صفحة وتضم (27) مشهداً. وعن روايته قال الروائي الحبيب السائح: «نص زهوة عبارة عن حوارية مع هذه الذات، وسيكتشف القارئ الجهد المبذول في مقاربة ما يشكل هذه الذات على مستوى الدوال والمدلولات»، وأضاف قائلا: «أحب أن أترك للقارئ اكتشاف النص المبني فعلاً على حكاية، ولكن المشكّل أساساً على البلاغة وعلى المشهدية المركبة، لكن أحب أن تستثير الرواية (زهوة) حواس القارئ، شمه ولمسه وبصره ومذاقه. جدير بالذكر أن روايتيْ «زهوة» و«مذنبون.. لون دمهم في كفي» للحبيب السائح، ستصدران قريباً عن دار الحكمة للنشر مترجمتين إلى اللغة الفرنسية.



توسيع دائرة الأمل في حياة بالألوان

عن منشورات جمعية البيت للثقافة والفنون بالجزائر صدر للشاعر أحمد عبد الكريم كتاب جديد بعنوان «اللون في القرآن والشعر»، وهو عبارة عن دراسة وبحث فني جمالي وفلسفي في حضور اللون في القرآن الكريم وفي النصوص الشعرية العربية، وهذا التطرق لهذا الموضوع غير متداول بشكل لافت، وبالخصوص في الجزائر، ويعتبر أحمد عبد الكريم ربما أول جزائري يشتغل على هذه الموضوعة المتمحورة حول اللون في القرآن والشعر، وهي موضوعة تندرج في الجانب اللوني البصري كمعطى جمالي في حضور الألوان وانزياحاتها ودلالاتها وإشاراتها في القرآن والمتن الشعري العربي التراثي والحديث على حد سواء. وعن اختياره الاشتغال على هذه الموضوعة بالذات قال الشاعر عبد الكريم: «لقد بدأ اهتمامي بموضوع الألوان من خلال محاولاتي في النقد التشكيلي، لينتهي عند عتبة الاهتمام السيميولوجي، وتحديداً في مقياس سيميولوجيا الكاريكاتير والصورة. والحقيقة إنني عندما أردت التوسع والاستزادة من خلال المراجع والكتب،

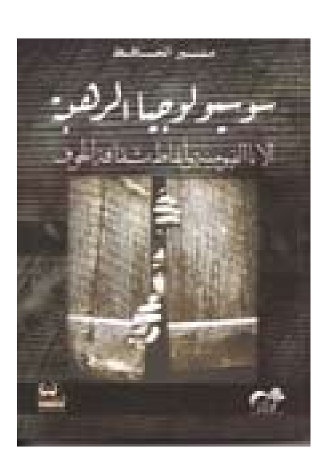


لاحظت أننا نعاني عوزاً كبيراً في هذا الموضوع الذي يظل بكراً وغير مطروق، وأقصد به الدراسات السيمائية التي تتناول الألوان والتفضيل اللوني، وما للألوان من معان ودلالات». الكتاب تناول عدة محاور منها: محور «معاني الألوان في القرآن الكريم»، و«الألوان عند العميان من الشعراء»، و«الشواهد اللونية»، و«مقامات الواسطي كمعادلات تشكيلية لمقامات الحريري النصية»، و«الشعر واللون والمقاربة التشكيلية». الكتاب مهم وهو حتماً سيثري المكتبة الجزائرية والعربية ويسد فراغاً لونياً بين رفوف الألوان الإبداعية. وعن هذا الكتاب قال أيضاً الشاعر عبد الكريم: «عساني في هذا الهامش أكون تمكنت من توسيع دائرة الأمل في حياة بالألوان، أو حياة باللون الورديّ، على قول إيديت بياف، لا حياة بلون وحيد القتامة».

عن الإنسان الخائف أبداً

الأنا القيومية، من وجهة نظر الكاتب منير الحافظ، هي قوة ما ذات شأن، تتقلد سلطة «أنوية» فوقية ملزمة للآخرين، سواء كانت قوامتها روحية أو زمانية أو تعمل على نشر أدلجة ما. في كتابه «سوسيولوجيا الرهبة»، الصادر عن داري «محاكاة» و«النايا»/ دمشق، يربط الكاتب بين مختلف أنواع الرهابات ووجود «هيئة قيومية» تزرع الخوف الذي يتماشى مع مصالحها.

وبتعبير أكثر بساطة فإن السلطة، أية سلطة كانت، لا بد أن تكون مصدراً لأنواع من الرهابات، لذا ينهب الكاتب إلى أن ما أحدثته الثقافة المادية من خوف، بوصفها سلطة أيضاً، في عصر النهضة والتنوير لم يكن أخف وطأة مما مضى على الروح البشرية القلقة. يكرس الكتاب فصلاً خاصاً لكل نوع من أنواع الرهاب؛ ابتداء من أساطير ثقافة الخوف ورهاب المقدس وصولاً إلى ما تسببت به الحداثة وما بعدها من أنواع مستجدة كرهاب العولمة ورهاب اليقين الافتراضي ورهاب العدمية. لكن للخوف جانبه الإيجابي الفعال، أو كما يعبِّر عنه في فصل مستقل يحمل عنوان «قيمة الجميل في رهاب الجليل»، فالخوف من القبح دافع لاجتراح الجمال، وإن يكن الجمال بحد ذاته سلطة أحياناً. متى



يتخلص الإنسان تماماً من كافة مخاوفه؟ يبدو ذلك رهناً بأن يصبح حراً على نحو مطلق، وبأن يتحرر من كافة السلطات بما فيها السلطات المعنوية، وبموجب الثقافة الإنسانية السائدة حتى الآن لن يكون المطلق في المتناول، على الأقل ضمن ما تتيحه لنا الثقافة من رؤى.

سيرة البيت والجامعة!

عن دار الآداب للنشر والتوزيع ببيروت، صدرت للكاتبة الإماراتية ظبية خميس سيرة روائية بعنوان «الحياة كما هي» واقعة في 279 صفحة من الحجم المتوسط، وغلاف من تصميم نجاح طاهر.

وتعد هذه الرواية هي الأولى في مسيرة الكاتبة بعد تراكم مستمر يصل إلى أربعة وثلاثين مؤلفاً يتراوح ما بين الدواوين الشعرية والمجاميع القصصية والدراسات والترجمة.

وتسرد الرواية، سيرة ذاتية على لسان مهرة بنت عبيد، بدءاً من دراستها العلوم السياسية في أمريكا وانتهاء بعملها في مؤسسة قومية كبرى بالقاهرة منذ 1992، في إحالة إلى جامعة الدول العربية، كما تتوقف الرواية على كثير من التفاصيل الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تصادفها في علاقاتها الحميمية أو عند حديثها عن قضايا فكرية، وأثناء السفر والتجوال في عواصم العالم شرقاً وغرباً، واصفة الأشخاص بميولاتهم وصفاتهم، والأماكن بأسمائها وأجوائها.

اعتمدت الكاتبة ظبية خميس في سيرتها «الحياة كما هي» على بنية سردية تقوم على أسلوب الفلاش باك، ويتراوح زمن السرد بين الماضي والحاضر بشكل سيناري مفاجئ. وقد قسمت الرواية إلى ثلاثة وعشرين فصلاً يستعين كل فصل بشذرات فلسفية تأصيلية للحكي.

مهرة بنت العيد بطلة الرواية الشغوفة بالفن والفلسفة، بحكم عملها في مؤسسة دبلوماسية سوف تشهد على تاريخ هام من السياسة التي



انتهجتها الجامعة العربية، وعن فترة الحرب على العراق نقرأ في الرواية:

«في قاعة الاجتماعات الكبرى في المؤسسة القومية التي تعمل بها مهرة اجتماع رفيع المستوى، له جدول أعمال يخلو تماماً ممّا يحدث في العراق.

أحد المندوبين يقترح أن يدرج على جدول الأعمال الاعتداء الأميركي- البريطاني على العراق، وآثاره على دول الجوار والوطن العربي...» ص:83

بعد تحقيقه لكتاب «مزارات بغداد» ها هو الباحث الدكتور باسم عبود الياسري يصدر كتابه الثاني عن مدينته التي يعشق «تنزه العباد في مدينة بغداد» للمعلم نابوليون الماريني والصادر عام 1887، قام بمراجعته والتقديم له الدكتور طالب البغدادي.

بغداد كما رآها السلف

يصدّر الياسري الكتاب بإهداء ذي فحوى إحيائي: إلى بغداد .. مدينتي التي كلما انتكست، نهضت من جديد، وستنهض يوماً، فيما يعلن د. البغدادي في تقديمه أن هذا الكتاب المطبوع قبل أكثر من مئة وعشرين عاماً، دون أن تعاد طباعته، يحمل من المعرفة ما لا يقل أهمية عن تلك التي تحملها المخطوطات، مشيراً إلى أن محدودية تقنية الطبع والنشر في تلك الفترة، لا تسمح للمطبوع إلا أن يكون بنسخ قليلة.

ويؤكد المحقق أن «تنزه العباد في مدينة بغداد» يستمد قيمته التاريخية من قدم تأليفه نسبياً: «ما إن عثرت على هذا الكتاب وقد أصاب التلف بعض أجزائه دون أن تؤثر على قراءته، حتى تحمست لإعادة طباعته ولكن مع تحقيق له، فهذا الكتاب الذي وضعه مؤلفه ليكون كتاباً منهجياً لمدارس بغداد، جاء تأليفه علمياً، فكان دقيقاً في ما ورد فيه من معلومات وبيانات اجتهد في جمعها وتقديمها إلى القارئ».

جاء الكتاب في قسمين غير متساويين، ضم القسم الأول: بناء بغداد وتسميتها والعوارض التي وقعت عليها، وهو القسم الأقل في عدد الصفحات، وهو المتعلق باسم بغداد وموقعها والخلفاء الذين تعاقبوا عليها، أما القسم الثاني: فهو القسم الأوسع وقد ضم معلومات كثيرة، في تجارة بغداد ومعاملها ومصنوعاتها، ودار الكتب العمومية فيها، وتحدث عن مدارسها وأشهر معلميها، وعرج على معابدها ومقابرها وغيرها مما يتعلق بالحياة العامة فيها، ثم اختتم القسم الثاني بما قيل فيها من أشعار.

وفي معرض تعريفه بالمؤلف ينوه المحقق إلى أهمية قيمة المواطنة التي دفعت عدداً كبيراً من غير المسلمين إلى خدمة لغة القرآن باعتبارها اللغة الوطنية، مشيراً إلى أشهرهم مثل: الأب أنستاس ماري الكرملي وبطرس البستاني وناصيف اليازجي، مسترشداً بقول المؤلف نفسه في ديباجته «أخذتني الغيرة العربية وهزتني المحبة الوطنية»، ثم يتوقف د. باسم عبود الياسري بحسه التحقيقي الرصين عند ترجمة مؤلف الكتاب، مورداً مراسلة بينه وبين د. رشيد خيون الذي يرى أن المعلم نابوليون الماريني هو أخ الأب أنستاس الكرملي، مستنداً في ذلك إلى كتاب حميد المطبعي، لكن المحقق يستبعد هذا «الرأي» بسبب فارق العمر بين الاثنين، علماً بأن بعض مواقع الشبكة العنكبوتية تورد نسبة المؤلف على أنها «الماريديني»، نسبة إلى مدينة ماردين التاريخية، وليس «الماريني»، ولعل ترجمة المؤلف بحد ذاتها تحتاج إلى وقفة مستقلة.

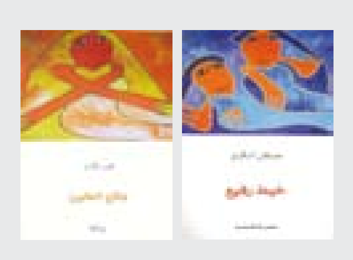
صدر الكتاب عن دار ضفاف في بغداد، بالتعاون مع دار تموز في دمشق.

حياة العرب في المهجر

بشراكة بين دار القرويين ومنشورات مجلة أجراس الثقافية بالمغرب، صدر مؤخراً ضمن سلسلة الضفة الأخرى المهتمة بأدب المهجر، رواية بعنوان «خيط رهيف» للكاتب المغربي مصطفى الدقاري، وتتألف المجموعة من ست عشرة قصة.

وعن نفس السلسلة صدرت رواية «بائع الطين» للكاتب السوري فايز الأشتر، وجاءت في خمس وسبعين صفحة.

ويجمع بين الروايتين قاسم مشترك يسرد تفاصيل حياة المهاجرين في أوروبا وأسباب هجرتهم وظروف عيشهم ومعاناتهم في الغربة. كما يحمل غلاف الروايتين لوحة للفنان الهييتي لوفوي إكسيل.





إيزابيللا كاميرا

البطل على ظهر أخيليوس

فــي أدب الرحلات كان البحر دائمــاً الرمز المطلق للبطل الذي يترك أرضه إلى الأبد، ويتــرك أعزاءه، وعواطفه، لكي يجد نفسه يســبح في بحر، هادئ أو هائج، حتى يصل إلى قبلته ومقصده، ليبدأ حياة جديدة.

كان هنا هو حلم رجب، البطل الذي لا ينسى في رواية عبد الرحمن منيف. يصعد في شرق المتوسط على متن أخيليوس، يعتزم ترك الشــواطئ اللبنانية متجهاً إلى فرنسا، حيث يأمل أن يبــدأ حيــاة جديدة. على الســفينة، ووســط المســافرين المســترخين الخاملين يطل ماضيه القاســي، ماضي الآلام، والقهــر، والظلم. ولكن حلم الحيــاة الجديدة كان يداعب عقل هذا الشاب العربي التعيس، الذي جاء من بلد عربي في شرق المتوســط – تعمد منيف ألا يحدده بالاسم قط، فجميع البلدان في تلك المنطقة سواء – ويبحر إلى أوروبا.

لكــن الزمــن تغير، حتــى وإن كانــت الأنظمة في شــرق المتوســط لم تتغير. وحلم من يريــد أن يترك بلده لكي يغير حياته، لم يعد محدوداً على شــاب أو عدة شباب، بل أصبح عاماً، ســاد بين الشــباب العرب والإفريقيين، بعد أن نزعوا منهم إمكانية العمل والدراســة، بل والحرية، وأهم ما نزعوه منهم: الكرامة الإنسانية.

اليــوم، دفعني إلى إعادة التفكيــر في رحلة رجب الحزينة على ظهر أخيليوس كتاب عربي جديد. لقد مر أكثر من ثلاثين عاماً، وهبت رياح التغيير على بعض دول شــرق المتوسط، بينمــا لم تهب بعد على بعضها الآخر، فبــدت كأنها غير قابلة للتغيير.

كان منيف يقول إن السجون زادت على مر الأيام والسنوات، ويمكننا أن نضيف اليوم إن مطاعم ماكدونالد قد زادت أيضاً، ولكن كمــا كانوا يفرون بالأمس يفرون اليــوم. لا يزال البحر بأمواجه يتلقى اليائسين الباحثين عن الحرية. يائسون لأنهم فــي بعض الحــالات، كتلك التــي ذكرها بوضــوح تام عزت القمحــاوي في كتابه الأخير «العار من الضفتين: عبيد الأزمنة الحديثة فــي مراكب الظلمات» (دار العيــن – القاهرة 2011)، كان حلــم الحرية لديهم هشــاً، كما هو هــش أيضاً تصور أن الحيــاة على الضفة الأخرى من المتوســط أفضــل من الحياة التي تركها.

يحدثنــا المؤلــف في هذه الدراســة عن الســوق الفظيع لـ «عبيد الأزمنة الحديثة»، الذين يبحرون على مراكب الموت إلى إيطاليا، حيث الحياة في معســكرات الاســتقبال التي أقامتها الحكومة الإيطالية يمكن أن تكون أســوأ من تلك التي تركها، لا ينقــذ اللاجئين منهــا إلا أيدي الصيادين الحانية، وســكان لامبــدوزا الكرماء، الذين يطعمونهم ويكســونهم بأقل القليل، ثم ما تلبث الحكومة أن تضع يدها عليهم، لكي يظلوا شــهوراً فــي تلك الطوابيــر المهينة، حتى إغلاق هــذا المكان المخزي الذي يسمى «معسكر الاستقبال». يهرب من يستطيع أن يهرب دون قرش فــي جيبه، ويتوجه إلى المدن الإيطالية ليســعى وســط زحامها، ومن يخدمه الحظ يسعى في المدن الأوروبية الأخــرى. والأقل حظاً يظل حبيس «المعســكر» ثــم يعيدونه مــن حيث أتــى. لا يهمهم كثيراً إن كان قد فرّ بســبب الفقر، أو بحثــاً عن الحرية، أو ليفلت من موت محقق في حرب، أو في مجاعة، وهي أمور موجودة في بعض البلدان الإفريقية. ولكن المهاجريــن الذين يتحدث عنهم عزت القمحاوي في كتابه، هم من الشباب المصريين، تصوروا بسطحية أن إيطاليا يمكن أن تكون أميركا البحر المتوســط، وأن الحيــاة في إيطاليا، كما يرونها على شاشات التليفزيون الإيطالي، العامة والخاصة، لا فرق، فكلها تدار بواسطة الحكومة نفسها، هي حياة إيطاليا الجميلة حيث لا تزال كما صورها فيلليني في «الحياة اللذيذة»، لتســتمر المعسكرات في اســتقبال المزيد. ولكن ما يجعل هذا الكتاب خاصاً هو تورط المؤلف شــخصياً في الحكاية، الذي فقد في واحدة من هذه الرحلات أحد أبناء أخت له، ولا يعرف ما إذا كان قد وصل إلى إيطاليا أم أن البحر قد ابتلعه كما ابتلع الكثيــر من أبناء جلدته. وقد تــرك عائلة محطمة في بلده، لم تســتطع أن تفهم كيف أن شــاباً متعلماً صحيح العقل والبدن مثله قــد صدق من كانوا يعرضون عليــه الحلم والذي تحول إلــى كابوس اللا عودة. وحتى لا يســقط شــباب آخرون من الضفة الجنوبية للمتوســط في شراك المتاجرين بالبشر كتب القمحاوي هــذا الكتاب – التحقيق، الذي يمكــن قراءته قراءة روائية، في محاولة فهم الديناميات السياسية والاقتصادية، وربمــا الأهم الآليــات الاجتماعية، التي تصطبــغ بها ظاهرة الهجرة غير الشرعية من مصر إلى إيطاليا، حيث تتحول مراكب العبودية إلى مذابح حقيقية. يتســاءل المؤلف ليس فقط عن أســباب هذه الظاهرة، ولكن عمن يتحمل المســؤولية، سواء على الجانــب المصري أو الجانب الإيطالي، الذين يســمحون بمثل هذه المآسي. إن المؤلف يتحدث هنا عن مصر/إيطاليا، ولكن للأسف يتســع الخرق عند الحديث عن ليبيا/إيطاليا أو تونس/إيطاليا. ونتســاءل نحن جميعــاً، كيف تقع في أجمل بحار العالم الذين كان الرومان القدماء يسمونه «بحرنا» مآس حولته إلى أداة للموت، وكيف يمكن أن يســتمر بحرنا الجميل «الأبيض» كما يسميه العرب، سبباً من أسباب الحياة واللقاء بين الحضارات والثقافات؟!



| هيرتا ميللر



| دوريس ليسينغ

جائـزة نوبل للآداب 2011 التي تعلن في الخميس الأول من هذا الشـهر بعد مثـول المجلة للطبع - لم تحـظ بالكثير من الجدل كما يجري عادة قبل إعلانها.

نوبل الأدب

في عام الصخب والعنف

الجائزة الأشهر في العالم تحظى في العادة بأكبر قدر من الحالمين والناقمين والمشـككين فـي مصداقيتهـا، بينمـا ترفض لجنتها شبه الكهنوتية الردّ على مزايدات الناقمين عليها وتغمض عينيها عن التهم المنسوبة، وترسل بها غالبًا إلى من لم يحلموا بها أبدًا!

البعض يقول إنها جائزة أدبية ذات أبعاد سياسـية تكرّم سنويا أصحاب المواقف والآراء المتناغمة مع توجهات الامبرياليـة الغربيـة، وآخرون يرون فيهـا معيار المصداقيـة المفقود، الذي تصر المؤسسـات الثقافيـة، بمختلف جنسـياتها، على تجاهلـه وعلى عدم الالتفات إليه.

حرب الشـائعات والتكهنات تشـتد مع بداية كل سـنة ثقافية. ففي خريف كل عام ترتفع حدّة الصدامات الكلامية والصراعات الإعلامية حول اسم الفائز المحتمـل، حيـث يحـاول كل طـرف ترجيح كفة كاتـب دون الآخر. عرب، أميركيـون، أوروبيون، آسـيويون، أفارقة وغيرهم يدّعـون أحقيتهم بنيل الجائـزة التـي تمنح صاحبهـا صكًا بقيمة مليـون دولار وشـهرة يتجاوز مداها جغرافيا الوطن والقارة.

كتّـاب كبار رحلـوا دونما الحصول عليها، مثـل أندريه مالـرو. وآخرون حازوا شرف نيلها وكشفوا عن تفاجئهم باختيارهـم، مثـل أورهـان باموك، وآخـرون ظلـوا مرشـحين دائميـن على قوائمهـا مثل الألباني اسـماعيل قـدري، الذي يعتبره الكثيـرون واحدًا من كتاب الدول الشـيوعية الذين لعبت اللجنة بأسـمائهم إبان الحرب الباردة وغضـت الطرف عـن وجودهـم بعد سـقوط الاتحاد السـوفيتي، أما جان بول سـارتر فقد رفض تسلمها وشكل اسـتثناء في مسـيرة الجائزة الأدبية الأشهر في العالم.

مداولات لجنـة جائزة نوبل للآداب خيّمـت عليهـا سـنة 2011 كثيـر من المتغيرات الإقليمية والأحداث الطارئة، الأزمات والتحوّلات السياسية المهمة. تغيّرات لم تكن مضطرة للتعاطي معها



أندريه مالرو



نجيب محفوظ

أورهان باموك

ولكن، في الوقت نفسه، بات من الصعب التغاضي عنها. بين رياح التغيير التي مسّت دولاً عربية عدة وأزاحت ديكتاتوريات سابقة في تونس ومصر وليبيا عن الواجهة، ووسعت رقعة امل منحها للمرة الثانية لكاتب عربي، بعد نجيب محفوظ، تكريما لتضحيات شعوب المنطقة من اجل الحرية، من جهة، وارتفاع مؤشرات الأزمة المالية في الولايات المتحدة الأميركية وبعض الدول الأوروبية من جهة اخرى، عاش اعضاء اللجنة يوميات اتخاذ القرار.

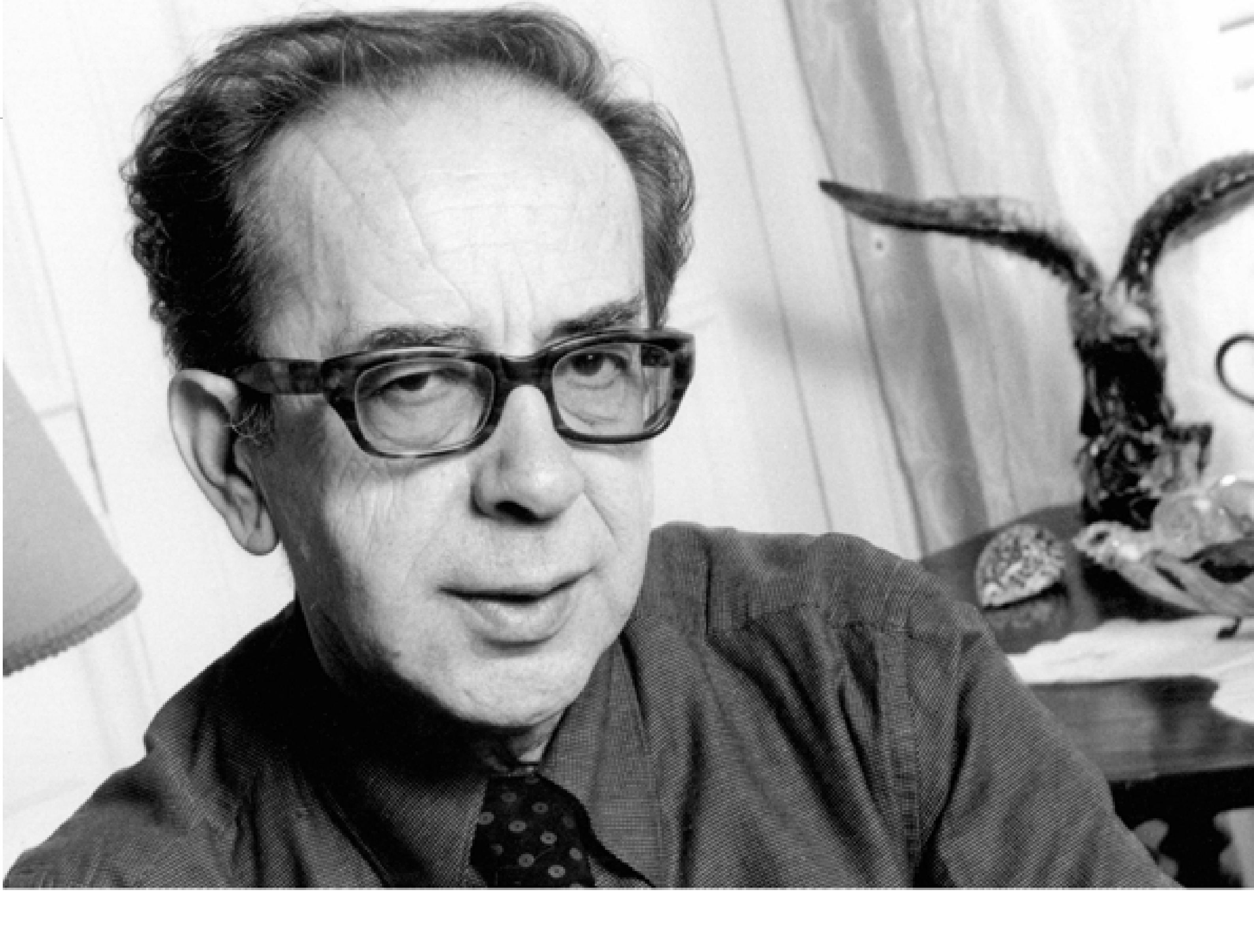
ولكن عالم الذي اليوم يموج في بحر من صخب الثورات وعنف الديكتاتوريات لم يترك الكثير من الاهتمام الإعلامي للجائزة المرموقة.

منذ أسابيع شرعت بعض الصحف في فرنسا، أمريكا وبريطانيا على استحياء في الكشف عن قائمة مرشحيها لهذه السنة. وقدمت كل واحدة منها بعض الأسماء التي سبق لها الترشح للجائزة نفسها في السنوات الماضية. ومن أجل منح المرشحين دفعة إعلامية، ارتأت كل صحيفة إلى تخصيص مساحات واسعة للحديث عن سير كتابها المفضلين، مع الإشارة إلى قيمة أعمالهم على صعيدين الأدبي والإنساني. هذه البروباغندا تعوّد عليها الجمهور ولم تغيير شيئا من تقارير لجنة التحكيم. وكشفت التجربة وتوالي السنوات أن ترشيحات الصحف ليست أكثر من تكهنات ترفض الأكاديمية السويدية النظر إليها وتمنع نفسها من فخ السقوط فيها، والتمرغ في هاوية التأثيرات الجانبية؛ ففي السنوات الماضية، فاجأتنا الجائزة بميلها إلى أسماء خارجة عن لعبة الترويج الإعلامي. أسماء لا تمت بصلة إلى لوبيات الإعلام.

المعروف ان اسماء كبيرة تحلم بنوبل وليس غيرها من الجوائز. ولكن الموضة الجديدة التي برزت في السنوات الاخيرة هي محاولات بعض المتوجين التقليل من انفعالاتهم لحظة الاعلان على اسمهم، كما حصل مع البريطانية دوريس ليسينغ التي قالت بان خبر تتويجها وصلها في طريقها من السوق الى البيت.

وهيرتا ميللر التي قالت بان الجائزة ليست تغير شيئا من يومياتها. لكن الاكيد انها سترصع اسم الكاتبة عاليا في سماء الكتابة والشهرة.

نوبل كما أراد لها مؤسسها تريد أن تكون وأن تبقى إضافة مميزة في الفكر الإنساني المعاصر. تكرّس، من سنة لأخرى، مكانتها الجوهرية في المجتمعات الإنسانية. وليست تحصد، من عام لآخر، رغم كل ما يدور حولها من لغط، سوى المزيد من الاحترام والمزيد من الحالمين بتاجها.



للكاتب الألباني إسماعيل قدري المولود عام 1936مؤلفات كثيرة. ذاع صيته عام 1963 مع رواية «جنرال الجيش الأسود» ونشر مذذاك عدداً من الأعمال المتجذرة في الواقع التاريخي والتي غالباً ما تندد بالأنظمة المستبدة. حاز عام 2005 جائزة «بوكر»، وعام 2009 جائزة «الأمير أستورياس». واسمه يطرح كل سنة في لائحة نوبل. وصدر له أخيراً: «المعوقة: صلاة لراحة نفس ليندا ب» التي يقول إنها ستكون.. روايته الأخيرة.

إسماعيل قدري المرشح الدائم لنوبل:

الواقع يسعى إلى تدمير الأدب والأدب يسعى إلى تجميله!

حوار: **جورجيا مخلوف**

ترجمة: **موناليزا فريحة**

لا يجري إسماعيل قدري أحاديث صحافية. مضت سنوات وهو يرفض رفضاً قاطعاً الإدلاء بأية حوارات، ويقاطع تقريباً كل معارض الكتب وكل أشكال «النشاطات» حول الأدب. يقول إن هذا الأمر يضجره، ولا يقدم له أية متعة، لذلك يعفي نفسه منها من دون تردد. أعماله الروائية الضخمة تتحدث عنه أفضل مما يستطيع أن يفعله هو، لكنها تتناول خصوصاً العالم والاستبداد الذي لن يتوقف قط عن مكافحته بكل أشكاله، وعن جشع الرجال وظمأهم إلى السلطة الذي يؤدي بهم إلى العنف والتعسّف، وعن حماقاتهم وضعفهم أيضاً. وإذا أصررت عليه قليلاً، يحيل على الكتاب الذي خصصته له زوجته والذي صدر عام 2010 بعنوان «الوقت الذي ينقص» الصادر عن دار فايار الباريسية. يقول هنا بنعومة مفاجئة في الصوت ويتحدث خلسة عن السنوات التي عاشاها معاً. وعلى غلاف الكتاب أيضاً صورة يبدوان فيها معاً جنباً إلى جنب على شرفة مقهى. لا ينظران إلى الكاميرا، لا هو ولا هي، يتأملان في الأفق، ومن المؤكد أن المصور التقطها لهما من دون علمهما، إلا أن الصورة تقول في وضوح إنهما زوجان، إنهما شخصان يقاومان من أجل أن يعبرا كل بمفرده ومعاً اختبارات الحياة وتساؤلاتها وأفراحها.

لا يجري إسماعيل قدري مقابلة، ولكن يمكن أن نتحدث معه، إذا حالفنا الحظ، كما كان الحال هنا، فنلقي التحية عليه ذات صباح في «روستان» المقهى الذي يقصده عندما يكون في باريس وحيث يأتي غالباً ليكتب. من مقعده، يرى سياج حديقة اللوكسمبورغ وخضرة الأشجار وينبوع الساحة وحركة المارة. هنا عندما يرفع رأسه، لأنه في أكثر الأحيان يكون مستغرقاً في مكان آخر، وقلمه يسيل على الصفحات.

ولد قدري عام 1936 في جييروكاستر، المدينة الحجرية حيث تدور أحداث عدد من رواياته، وتحديداً رواية «وقائع المدينة الحجرية» الجميلة جداً والتي صدرت عام 1985. وعنها



أعماله تتناول ضعف الرجال وجشعهم وظمأهم إلى السلطة الذي يؤدي بهم إلى العنف والتعسف

يقول: «كانت مدينة غريبة، مثل كائن من عصور ما قبل التاريخ يخرج فجأة ذات ليلة من ليالي الشتاء في الوادي من أجل أن يتسلق خاصرة الجبل.كل شيء في هذه المدينة كان قديماً ومن حجر.. لم نكن نستطيع أن نصدق أنه تحت هذه القوقعة تنمو وتتكاثر الحياة. عند المسافر الذي يتأملها للمرة الأولى، توقظ المدينة الرغبة في المقارنة، ولكنه سرعان ما يدرك أنه كان فخاً لأنها ترفضها كلها، في الواقع هي لا تشبه شيئاً.. لم يكن سهلاً أن تكون طفلاً في هذه المدينة». ويروي أيضاً أن جييروكاستر كانت فيها كل عيوب المدينة الريفية مع شيء فريد، مناخ من الجنون الغريب وبعد وهمي (دونكيشوتي). فيها تتحدث النساء بالأسود عن كل شيء، عن السياسة والنميمة، عن الأكذوبات الصغيرة والفضائح الكبيرة. وفيها يتساكن المأسوي والبشع ويختلطان في كل زوايا الشوارع، ولا أحد يشك في أن هذه الكيمياء الغريبة ستترك عليه أثراً دائماً.

ولذا اكتشف الكتابة باكراً جداً، وتمكن من ذلك طبيعياً من طريق المطالعة، وتحديداً مطالعة شيكسبير. قرأ ماكبيث في سن العاشرة. «كانت متعة»، يقول «إلى درجة أنني أعدت نسخ كل الرواية بيدي. شكسبير هو أعظم كاتب في العالم.إنه أكثر اكتمالاً من الجميع وأكثر بصيرة من كتّاب العصور القديمة الذين أشعر حيالهم أيضاً بدين كبير».

إذا، كانت «ماكبيث» بالنسبة إليه الانفعال الأدبي الأول لسببين على الأقل: هذا النص هو حكاية جريمة نحب قراءتها في هذا العمر، وفيها حبكة غريبة تبقى غير مفهومة في أعين الولد الذي كانه. أما إعادة نسخها فكانت محاولة «لجعلها لي» يقول. وسوف يقوم بالأمر نفسه بعد ذلك بسنتين مع «هاملت».

لغز الرواية أقلقه طويلاً إلى درجة أنه عاد إليها عام 2006 في مقال: «هاملت الأمير المستحيل» الذي حاول فيه الرد على سؤال:ألا تخفي القصة التي نشاهد أحداثها على المسرح قصة أخرى لم يستطع شيكسبير ولم يشأ ولم يحق له أن يرويها؟

اكتشافه الكبير الآخر كان لاحقاً الأدب اليوناني. ويقول إن حداثة التراجيديات أثارته، وتحديداً «أخيل» التي عكست بدقة كبيرة همومه ككاتب يواجه الأنظمة الشمولية للقرن العشرين.

بدأ قدري دراسات عليا في الآداب في كلية تيرانا ثم في معهد غوركي في موسكو: «الأكثر إثارة أننا كنا ندرس هناك الأدب المسمى المنحط. كانت المرة الأولى أقرأ كافكا، جويس وسواهما». كانت فترة ليبرالية. كان خروتشيف في السلطة ويدعي أنه تقدمي. كان يسمح بنشر الأدب الغربي شرط أن يورد الناشر في مستهل كل عمل مقدمة تنتقده أو تحذر القراء من أنه عمل أدبي لا تتفق معه الأنظمة الاشتراكية».

في موسكو، كتب قدري في الثانية والعشرين من عمره «المدينة بلا شعارات»، وهي رواية يسكنها المحتالون والبلطجية والعاهرات المصابات بأمراض تناسلية وأشخاصها الرئيسيون طموحون وليسوا مترددين.

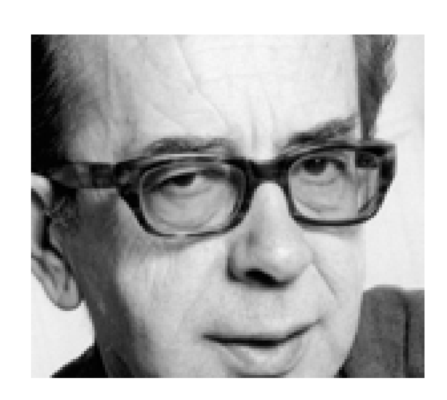
في الواقع، كان يريد مناقضة الدروس التي تلقن في معهد غوركي: يجب أن يحتفل الأدب الاشتراكي بفرح الحياة ونعمة الأخطاء الإيجابية. راق له أن يحيى حزن كل شيء في هذه الرواية الكئيبة. اختار باكراً جداً أن يبتعد عن الطرق التوافقية من أجل أن يتبع طريق الإبداع.

إنه «جنرال الجيش الأسود» الذي يحلق بشهرته خارج حدود ألبانيا. ومنذ تلك اللحظة يكتسب وضعاً متناقضاً بالنسبة إلى نظام الديكتاتور أنور خوجة: مفخرة وطنية وكاتب ولو لم يكن منشقاً، حرون متمرد يحاول قبل كل شيء حماية حريته الداخلية. يقول: «في ألبانيا كان النظام ستالينياً إلى درجة أنه لا يترك أي مجال للخلاف في الرأي. الخلاف الوحيد الممكن كان في الأدب». وكتبه التي تندد بشدة بغزو الإمبراطورية العثمانية لألبانيا والطغيان الطويل الذي مارسته تثير بلا شك الشعور الوطني، ولكن تلك التي تفضح جرائم النظام الشمولي الشيوعي ووحشيته وذهانه الهذياني، سواء أكان في طريقة مباشرة أو بواسطة أساطير واستعارات ومجازات، فإنها تستقبل في طريقة مختلفة. كان مراقباً ومهدداً ومحظوراً واتهم بكل أنواع الشرور، ومنعت أربعة من أعماله بموجب مراسيم، حتى انتهى به الأمر إلى مغادرة ألبانيا عام 1990، بعد موت الطاغية ووقت أبدى خلفه رغبة في التحرير. ويتذكر أنه عندما قرر أخيرا الرحيل، بدا احتمال حصول انفتاح ديموقراطي واقعياً، ولكن البلاد في حاجة إلى صدمة للخروج من جمودها التام، فكان رحيله بمثابة الشرارة. فبعد أقل من شهرين، تظاهر الطلاب في الشوارع، ورفعت المعارضة رأسها وأمكن إجراء الانتخابات الحرة الأولى عام 1992.

ولكن يبدو من العبث قراءة أعمال قدري في مرآة حياته ووقائع سياسات العالم. ففي رأيه أن «الأدب والحياة هما عالمان مختلفان، عالمان يتصارعان. لا علاقة تنكر بين قوانين الأدب وقوانين الحياة. يقال إن الأدب مستوحى من الحياة، ولكنني لا أقبل هذه الفكرة. الأدب هو شيء مختلف.إنه عالم مواز، إنها لغة تتنازع مع الحياة. وفي هذا النزاع، يملك العالم الواقعي أسلحته: العقائد والرقابة والسجن. والأدب أيضاً له أسلحته، وغالباً ما تكون سرية. يمكنه تعذيب الضمائر المذنبة، وإذا حصل أنه خلال معركتهما، يحاول العالم تدمير الأدب، لا يرد عليه أبداً بهدف إضعافه وإنما، على العكس، يسعى إلى جعله أكثر جمالاً وصالحاً للعيش». ويقول أيضاً إن الأدب هو مساحة حرية حيث الكلمة مستبدة، مستبدة لأنها «يجب أن تفرض نفسها على الكل (في مجتمع لغوي)، ولا يمكنها أن تترك كل واحد حراً.. الأدب مكمل للغة، ودوره أن يكون هذه المساحة من حرية التعبير. يفعل ما تعجز عنه اللغة. ولكن اذا اكتفينا بالحياة، لسنا بحاجة إلى الأدب».

في حديثنا تطرقت أيضاً إلى موضوع الأدب الشفوي. هنا أيضاً يخالف رأياً شائعاً على نحو كبير، مؤكداً أن «الأعمال المشتركة للأدب الشفوي متواضعة، فهي تحوي أفكاراً جميلة، ولكن النصوص مكتوبة في شكل سيئ جداً»، سواء تعلق الأمر بملحمة غلغامش أو ماهاباراتا. وفي رأيه أن «هاملت» بنسختها الشعبية كارثية، بينما هاملت لشيكسبير آية من الجمال. وهذا ينطبق أيضاً على القصص الشعبية المقابلة لـ «غريم» و«بيرو». فهي تفضح الجهل التام للأدب من مفكري الشيوعية. ويقول إن لينين كتب نصاً يتحدث فيه عن أعمال تولستوي على أنها استباق للثورة الروسية. وانغلز لا يقول شيئاً آخر عن بالزاك الذي علمه الكثير عن اقتصاد فرنسا، مؤكداً «أنهم لا يفهمون شيئاً عن الأدب، وآراؤهم تهين أعمال هؤلاء الكتاب».

> **الأدب والحياة عالمان مختلفان ومتصارعان ولا علاقة بينهما ولكل منهما أسلحته**



ويتابع عن ماركس الذي يأخذ عليه أنه لم يتصور يوماً أن إطاحة الرأسمالية تقود إلى عطش إلى الانتقام، وأن «المرارة الهائلة والكونية للمضطهدين تقودهم إلى الرغبة في الانتقام». ولكن هل فات ماركس هذا الأمر؟ يقول إن «الأدب اليوناني ولد من خطأ اليونانيين، من إحساسهم بالفوز في معركة طروادة، وإنما بذهابهم بعيداً جداً في الانتقام. الأدب اليوناني ولد من هذا الإحساس بالذات. ألم يكن ماركس إذاً يعرف هذا الأمر؟ ما هذه السذاجة! لم يفكر في هذه الرغبة بالانتقام. إن الثأر البولشيفي كان مخيفاً في روسيا. ماركس سمح بذلك. كل جرائم الشيوعية بدأت هناك. كان يفترض أن يخصص مجلدات عدة لهذا الأمر، وأن يرد على هذه المسألة الأساسية: كيف يجب التصرف عند الفوز بالسلطة؟».

يبدو واضحاً أن «حديثاً» مع إسماعيل قدري هو لحظة مكثفة، درس في الأدب. فيها يضع جانباً لطفه المعتاد. ويبقى الأمل في لقاء آخر في مقهى «روستان» الباريسي طبعاً.

ينشر هذا الحوار بالاتفاق مع جريدة «الشرق الأدبي» الصادرة بالفرنسية في بيروت.



د. مرزوق بشير

مأسسة الإنتاج الدرامي

في عام 1994 قررت الأمم المتحدة في اجتماع لها في مدينة القاهرة الاستعانة بالمسلسلات الدرامية كأداة للتثقيف والتعلم وإيصال رسائلها إلى الجماهير نظراً لتأثيرها على السلوك والمعرفة العامة.

ولقد شكلت هذه المسلسلات المسماة بالسوب أوبرا (Soap opera) منذ انطلاقتها الأولى مرجعاً أساسياً لإيصال الرسائل الاجتماعية المطلوبة، وأثبتت الدراسات فيما بعد نجاحها كوسيط جيد ومناسب لحمل تلك الرسائل.

والسوب أوبرا عبارة عن مسلسلات درامية اجتماعية، كانت بداية انطلاقها إذاعياً في منتصف القرن الماضي برعاية مصانع الصابون في أميركا، ومن هنا أطلق عليها اسم (Soap opera)، واستمرت هذه التسمية عندما انتقلت إلى مسلسلات تليفزيونية تبث عادة في منتصف النهار، ومعظم جمهورها من ربات البيوت.

ولقد أثبتت الدراسات الميدانية بأن الأعمال الدرامية بشكل عام، تغطي ساعات طويلة من الإرسال اليومي لمحطات التلفزة، قد تصل إلى أكثر من 50٪ من تلك الساعات، وأن لهذه المسلسلات صدى كبيراً بين الجمهور والمشاهدين، خصوصاً النساء من مختلف الفئات العمرية والمستوى الاجتماعي، لتبنيها قضايا عاطفية واجتماعية تقترب من مشاكل المجتمع.

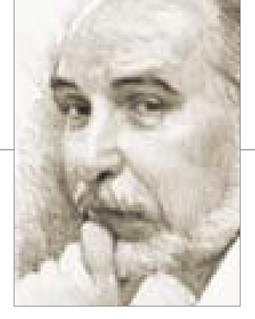
من جانب آخر شكلت هذه المسلسلات دخلاً مالياً كبيراً للمحطات المنتجة لها، سواء عن طريق الإعلانات المباشرة التي تتخللها، أو تلك الإعلانات المدسوسة في سياق الحدث الدرامي نفسه، مثل التركيز على الأزياء، والعطور، وأثاث المنازل، والمكياج، والمجوهرات، حيث يتم التعمد على إبرازها بغية الترويج لها، بطريقة تبدو وكأنها طبيعية. في الولايات المتحدة تستعين شركات الإنتاج عادة بأساتذة الجامعة المتخصصون في مجال الإنتاج الدرامي لتقييم أعمالها بشكل منهجي، أو لإجراء الدراسات العلمية والميدانية حولها، كما يقوم أمثال هؤلاء الأكاديميين بربط الإنتاج العملي لهذه المسلسلات بالمناهج الأكاديمية وتدريسها للطلبة، وهو الأمر الذي مازال غير مقبول أو معترف به في المؤسسات الأكاديمية العربية، مما ساهم في إنتاج أعمال درامية لا يقوم معظمها على المنهج العلمي، والأسس الإنتاجية الاحترافية، بينما الأمر في أميركا وأوروبا وحتى في الهند واليابان وأستراليا مختلف عنه في الوطن العربي.

ينتج عالمنا العربي عشرات المسلسلات الدرامية، لكن يفتقد معظمها إلى النهج المؤسسي القائم على الكتابة العلمية للسيناريوهات، وعدم اعتمادها على البحث العلمي، والاستبيانات الميدانية التي تنبهنا إلى حاجات المجتمع المعرفية والوجدانية المتغيرة، ونتج عن ذلك عزوف الأجيال الشابة في مجتمعاتنا العربية عنها ولجوئها إلى المسلسلات الأجنبية التي خطفته من ثقافته العربية.

عموماً الإنتاج الدرامي عمل مؤسسي تتعاضد فيه مؤسسات اجتماعية عديدة مثل الصحافة والنشر والمعاهد المتخصصة، ومراكز البحث العلمي، ومصانع الأثاث، والملابس، والعطور، والسيارات، واتحادات ونقابات فنية، كما يخضع للتقييم الدوري المنظم، وردود أفعال المشاهدين من أجل تحسينه وتطويره.

يندهش المنتجون الغربيون عندما يسمعون بأن إنتاج المسلسل الواحد في الوطن العربي، والذي يمتد لثلاثين حلقة، يؤلفه كاتب واحد، ومخرج واحد، وينجز في شهر واحد، وأن عدداً من أحداثه يتم توليفها أثناء تصوير العمل، حيث المشاهد غير مدروسة فنياً أو سيكولوجيا، وتنجز في مواقع غير مدروسة، وأحياناً غير موظفة لمسارات الحدث الدرامي وطبيعة شخصيات المسلسل.

من الضرورة بمكان، أن يسعى الوطن العربي على مأسسة الإنتاج الدرامي وذلك بنقله من عمل فردي خاضع للصدف أو الارتجال، الذي يصل إلى حد الفوضى، إلى عمل مؤسسي له أهدافه واستراتيجياته القائمة على المنهج العلمي في الإنتاج، كما يستوجب على المؤسسات الأكاديمية العربية أن تتواضع وتتنازل عن استعلائها العلمي وتعترف بأهمية ودور وتأثير الأعمال الدرامية على المجتمعات، لأن تأثيرها يطال بشكل مباشر أو غير مباشر الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، وهو تأثير قد لا تحدثه عشرات المؤلفات الأدبية والعلمية أو المحاضرات، ولأن المؤسسات الأكاديمية هي الضامن لتطور الفكر الاجتماعي فإن تدخلها ومشاركتها في إنتاج الأعمال الدرامية سوف يعززان من منهجية هذه المسلسلات ويطوران ويحسنان من أدائها, لترتفع من خلالها ذائقة المتلقي العربي الذي تعمل الكثير من الأعمال الدرامية الحالية على المزيد من انحداره.



الطاهر بنجلون

ما هي سلطة الأدب؟

يكتب أونوريه دو بلزاك في «مشقات الحياة الزوجية»: «بحكم أن الرواية تمثل تاريخ الأمم الخاص، فلابد من التنقيب في كل جوانب الحياة الزوجية لاستحقاق لقب الروائي». الكاتب صار يجد نفسه، في الفترة الأخيرة، معنياً جداً بالاضطرابات التي يعرفها العالم، وبالآمال المفعمة ألماً. لم يعد في حاجة للبحث والتنقيب في دهاليز ذاكرة المجتمعات، فكل الحقائق طفت على السّطح. ينبغي عليه فقط الإصغاء إليها، ملاحظتها ثم الكتابة عنها. سيطرت هذه الاضطرابات على مخيلته، فقد وجد نفسه منساقاً للكتابة عما سمي بسرعة «الرّبيع العربي»، الذي انطلق مع ما سماه صحافيون يفتقدون للشعارات بـ «ثورة الياسمين». مع العلم أن هذا النوع من الزهور يرمز لصفات الكرم في تونس، أما الكلمة فقد تم توظيفها - برأيي - بشكل تعسفي. سأعود لاحقاً إلى هذا المصطلح.

في مثل هذه الحالات، حيث ينتفض الشعب، من غير الممكن أن يبقى الكاتب غير مبال، اللهم إلا إذا كان غير معني سوى بظله ومغمض العينين عن النار المشتعلة بالقرب منه، الرامية لإسقاط ديكتاتوريات عمّرت طويلاً وعاثت في الأرض فساداً.

يعكف بعض الكتّاب على الإصغاء لذواتهم. قد يستطيعون بهذه الطريقة إتمام أعمال أدبية مهمة كما فعل مارسيل بروست، ولكن قليلاً جداً من الكتّاب الذين يعيدون رسم أنفسهم في رواياتهم من يستطيع إثارة انتباهنا ونيل إعجابنا. لما تتعدى المعاناة الجماعية حدودها تصبح معاناة الكاتب الشخصية بلا قيمة، تصبح مجرد قطرة في بحر التراجيديا الإنسانية.

لنا الحق في الكتابة عن أنفسنا، والحق في البوح بما يدور في ذهننا، وتوقيع ما يسمى «روايات ذاتية»، وإدارة ظهرنا للعالم المتحوّل، الذي يموت ويحيا لهذا النوع من الأدب مكانة في رفوف المكتبات، لكنه ليس أدباً يحرك فضولي وليس النوع الذي أميل إليه، مع أنني أدرك بأننا ننطلق من أنفسنا لبلوغ الآخرين، فقليل من التواضع ضروري ومفيد في التجارب الأدبية.

كتّاب آخرون يبقون في الاستماع لشعبهم. كلمة «شعب» صارت لا تُوظف كثيراً. نستبدلها في الغالب بكلمات السكان، الأفراد. والظاهر أن كلمة «شعب» ما تزال تحتفظ بقيمتها وبمعناها في دول الجنوب. أن تستمع للآخر معناه أن تكون مستعداً لنقل كلامه، وترجمة صمت أولئك الذين ينتظرون كاتباً يحكي معاناتهم وتطلعاتهم.

ذات يوم، وبعد سنوات طويلة من العزلة في قريته، جلس الشاعر الجزائري الكبير كاتب ياسين (1929-1989) في مقهى. لمحه أحد الشيوخ، وعرفه فخاطبه: «أنت كاتب؟اجلس واستمع إليّ». أن تكتب يعني أنك تسمع، الكتابة هي ترجمة لأشياء غير مرئية، للغز الأرواح التي لا يفهمها سوى الشاعر والمبدع، الكاتب شاهد، شاهد فطن ونشط أحيانا، لا يشاهد العالم، بل يلاحظه ويدرسه لكتابته وفقاً لأحاسيسه، من خلال التوغل في المناطق المظلمة من مخيلته. كتابة العالم هي محاولة لفهمه بعض الشيء. النكاء هو قبل كل شيء سوء فهم للعالم. هنري برغسون يقول: «النكاء يمتاز بعدم فهم طبيعي للحياة»، لا بد من تصديق اللغز وعدم الثقة في المنطق، لابد من تجنب من يعتقد نفسه فهم كل شيء ومن يجيب عن مختلف أسئلتكم، هؤلاء متطرفون، دوغماتيون، هناك مسلمات ومن لا يعيد النظر فيها فهو خطر على صحة المجتمع، خطر أيضاً على الأدب، الكتابة هي أيضاً شكّ، شكّ دائم، الحقيقة هي ظلّ، يحوم فوق رؤوسنا ويبهرنا بضوئه. يكتب هيرمان ميلفيل: «الحقيقة المطلقة هي حقيقة هشة». كل يوم نكتشف كيف أن الكذب، التزوير، الرشوة والجريمة أيضاً صارت متداولة لدرجة وجدت فيها الديموقراطية، باعتبارها نظام عيش مشترك، نفسها ليست فقط معطوبة، بل مخدوعة ومسلوبة. الكاتب يغوص غالباً في البحث في هذا المرض الاجتماعي والسياسي. يكتشف أن للأدب حدوداً وأن الكتاب لا يعني الشيء الكثير أمام المافيا، وأمام الشقاء السياسي. فالحقيقة الساذجة تريحنا أحياناً ولا تضايق الممارسات المنحطة.

الشكّ هو منهجية واقعية، الشك والتخيّل، الشك والإبداع، الرواية ليست سوى مخطط إبداع، حيث تولد شخصيات وتموت تحت قلم الروائي. مصداقية الرواية الداخلية ليست مصداقية الواقع. دونما تبني منطق بول سيلان الذي يقول: «لم أكتب سطراً واحداً ينفصل عن واقعي»، أقول بأننا نكتب انطلاقاً من ليل يحكمنا وبأنه خلف الفجر تختفي دراما غير مفهومة. الكتابة تصير مغامرة حيث يجب علينا الاختيار بين الأسى والعدم. اختار مثل ويليام فولكنر الأسى لأنني متأكد بأنه، رغم ترددنا تجاه الإنسانية، فإن الإنسان نفسه من سيتغلب على الأسى. أختار البقاء متفائلاً دونما توهم ما يستطيع الإنسان القيام به من تخريب للعالم وقطع رأس جاره.

لا بد من الكتابة ومن الحديث انطلاقاً من وراء ما نرى، أو ما يسميه فولكنر: «لبّ الوقت»، والذي يعبر عنه في «بينما احتضر»: «ألم وخيبة العظام المنفتحة، الرباط الذي يحيط بأحشاء الراهن المغتصبة». الإنسان هو جرذ بالنسبة للآخر، ولكن الضحية ليست تعتبر ضحية بمعنى الكلمة. كما يقول مونتان: «كل إنسان يحمل وشم الحالة الإنسانية». التأكيد على الحرية هي واحدة من أهداف الكتابة. لا نكتب من الفراغ، ولا من أجل إضاعة الوقت، ولا من أجل إغراء أصحاب الجاه، الأمراء والرؤساء. الرواية لما تكتب بصدق وبموهبة فهي تحمل قدراً

إنسـانياً، تحمل شـهادة، أحاسـيس وذاكرة، كل كتاب يحمل بطريقته حجراً في تشـييد ذاكرة العالم. في إشارة، بكل تأكيد، للكتب الكبيرة، لروايات سـنحت لنا بالعيش وكبرنا معها، مثل «دون كيشـوت»، لسـرفانتس، «ألف ليلة وليلة» والتي يجهل كاتبها، «عوليـس» لجيمس جويس، «بحثاً عن الوقت الضائع» لمارسـيل بروسـت، «رحلة إلى آخر الليل» لسيلين، «مذاكرت لـص» لجان جينيه و«الجبل السـحري» لتومـاس مان. يضاف للأسماء السابقة شعراء أضاءوا مسارات الإنسانية التي أنهكتها الرداءة والبشاعة.

حاجتنا للعدالة جد ضرورية.

أعـود إلى الربيـع وإلى الياسـمين الذي التصـق بالثورة. الكاتب من غير المسموح له الوقوع في الخطأ في تسمية الأشياء والأحـداث، هـو مطالب بتحـري الدقة وعدم تسـمية انتفاضة ثورة.

ما حدث في تونـس ومصر نهاية 2010، وبداية 2011، هو انتفاضة وليس ثورة. الانتفاضة بمعنى الغضب، رفض مطلق للعيش في الظلم. بعض الصحافيين لا يهتمون بتدقيق الكلمات، يميلون غالباً للشعارات والتعبيرات سهلة المضغ.

تحدثنا عن «ثورة الياسـمين» في وصف الحالة التونسـية، الياسـمين جميل! ولكن الثورة شيء آخر، ليست نزهة في يوم مشـمس، وليست وجبة غداء رومانسية في الهواء الطلق، لست أنـوي التقليل مـن القيمة التاريخية لما حـدث في تونس وفي مصر. ولكن الغضب ليـس أيديولوجيا، بل ردّة فعل فيزيائية، تعبير عن عدم تسامح، فخلف ملايين المتظاهرين لم يقف حزب سياسـي ولا قائد ولا برنامج. ذكر نيتشـه عبارة أرددها كثيراً وأرى وجوب وضعها ضمن أسـس الإسلام، من الغريب الربط بين نيشـته والدين، ذكر: «الأهم هو تجنيب الإنسان العار». من المحزن أن بعض القادة السياسيين لا يستطيعون إقامة أنظمتهم السياسـية دونمـا إذلال الشـعب. الإذلال هو إشـعار الضعفاء بالجبن، هو سـحقهم بالاحتقار، وعـدم النظر إليهم باعتبارهم مواطنيـن، بل فقـط تابعين. لما تنرّع بن علـي ببحجة مكافحة الإرهاب الإسـلاموي وأمر رجال الشـرطة باعتقـال معارضين وتعنيبهم، بل أيضاً قتلهم (والشيء نفسه الذي دعا إليه نظيره حسـني مبارك) فقد تعدى حدود العار، وتحوّل إلى جريمة. لما يتسـع نطاق الجريمـة والإذلال نبلغ حالة البربرية. والشـعب انتظر مهلة قبل أن يرد، لكن، بمجرد خروجه إلى الشارع، جعل من غضبه المستمر محركاً وديناميكية للانتفاضة.

كيف نكتب انتفاضة ما تزال مستمرة؟

هل يجـب علينا الانتظار أم المشـاركة فيما يدور من أحداث والكتابـة عنها، وصفهـا، تحليلهـا وشـرحها؟ الكتابة ضمن الأحـداث هي تحمّـل مجازفة الوقـوع في الخطـأ. ولكنني من جهتـي، لا أريـد البقاء مكتـوف اليدين. كنت، فـي البداية، جد متأثر بحماسة المتظاهرين التونسـيين، انبهرت مثل الكثيرين بتضحيـة محمـد البوعزيزي. جلسـت وقتها أكتـب مقالات ثم انغلقت على نفسي وقررت أن أحكي. انشغلت بحالة البوعزيزي ووقّعت نصاً أدبياً، دونما تفخيم، أردته نصاً صادماً، مباشراً، واضحـاً. كنت أفكـر لحظة كتابته في صـور فيلم فيتوريو دي سيكا «سـارق الدراجة». تحفة سـينمائية عالمية من الواقعية الإيطالية الجديدة.

تخيّلت فـي كتابي «بالنّار» الأسـابيع والأيام التي سـبقت إقدام البوعزيزي على حرق نفسـه بتاريخ 17 ديسـمبر2010. أكثر ما شـدّ انتباهي في هذا الفعل الرمـزي والتراجيدي في آن معـاً، هو الظروف التي دفعته إلى هذا الفعل في بلد ليسـت له تقاليد في الانتحار حرقاً؟ مع العلم أن الإسلام، مثل بقية الأديان التوحيدية، يحرّم الانتحار.

الكتابة تصير ألماً أدنى، نحن نكتب لأننا لا نسـتطيع تغيير الواقع، نشوّهه، نجاريه على أمل الاقتراب منه.

أزهى فترة عرفها الشـعر الفرنسي في القرن العشرين كانت فتـرة مقاومة الاحتـلال. كتب خلالها رينيه شـار، بول إلوار، لويس إراغون، بيار إيمانويل وآخرون أجمل صفحات الشـعر الفرنسـي المعاصر. أمام تراجيديا الحـرب والانتفاضات التي عرفت سـقوط مئـات الضحايا، تخـرج الكلمات مـن جحورها مشتتة، مفعمة بالأحاسـيس، وترافق من يرحل ومن يبقى مع المعاناة ومع الأسى.

ريح الانتفاضات هبّت؛ في ليبيا وفي سـورية كما في اليمن وفي البحرين، وتمت مواجهة المتظاهرين بقوة السـلاح، سقط الآلاف مـن القتلى، وبان عجز العالم وعجز الأدب أمام وحوش مثل القذافي أو بشـار الأسـد الذي برع والده حافظ الأسـد عام 1982 في اغتيال سـكان المدينة الصغيرة حماة (20.000 قتيل أمام صمت العالم). هؤلاء الوحوش يسـحقون كل من يقف على طريقهم، هـم يقتلون ويعرفون إنهم إذا لم يقتلوا فسـيُقتلون. وبما أنهم متابعون قضائياً بارتكاب جرائم ضد الإنسانية، فإنهم سـيجدون أنفسـهم ربما يوماً ما أمام المحكمة، ربما سيعتقلهم شـعبهم وسـيُحاكمهم. ولكن، في الوقت الحالي، نحن نشاهد مجازر وغير قادرين على فعل أي شـيء. لكن، ماذا يسـتطيع الأدب أن يفعل؟ لن يسـتطيع فعل الشيء الكثير، قد يصرخ في الخـلاء ويرفض أن يغمض عينيه، ربمـا لن تخفف الكلمات من ثقل المعاناة وربما سـتزيدها قسـوة لأنها تحفظها في الذاكرة، ولكن لا مفر مـن الكتابة، من القول، مـن التخيّل، من التنديد، من الصراخ بحزم، لأن الواقع يصور لنا رجالاً ونسـاء يقتلون، عائلات انكسرت، إنه ألم شديد يجثم على الأرواح.

ذكر جورج سـيمبرون عن أندريه مالرو: «أبحث عن المنطقة المفصليـة مـن الـروح أين الألـم المطلق يتعـارض مع معنى الأخوة». باعتقادي أن الألم المطلق ليس بحاجة إلى روح. فهو مطلـق لأنه مجرد من الروح. من هنا يسـتمد الأدب مادته. أذكر أخيـراً بما قاله جان جينيه: «لن نصير فنانين إذا لم نخالط ألماً عظيماً». وظيفة الأدب هنا، ليست إصلاح ما تهدم، ولكن الأدب يقف هنا وفقط، ليوهمنا عبثاً بأننا أسياد أقدارنا.

الكاتب شـاهد عن زمانه، ذلك ما ألاحظه باسـتمرار، وهذه الملاحظـة تتعلق بالفترة الزمنية التي نعيشـها وبشـكل عمل الكاتب. لا يكفي فقط تقديم شهادات، ذلك ما أؤمن به على الأقل من وجهـة نظري ككاتب، لا بد من الذهـاب بعيداً وترجمة ما لا نراه بجرأة، الشـاعر هو من يرى الحقيقة في وقت سـادت فيه الضبابية، ربما يبدو الشعر النمط الأدبي الأكثر ملاءمة للتعبير عن العالم، ولكن كم لدينا من الشـعراء في كل حقبة زمنية؟ هذا هو جوهر الإشكال.

«الرسام، بصفة عامة، لا يقول شيئاً، إنه يصمت»
ريجيس دوبري

عبد اللطيف الدريسي

فتنة الضوء الذي يحتل اللوحة

| أنيس الرافعي - الدار البيضاء



أفضت التطورات الحداثية التي مست الفن التشكيلي التجريدي إلى ابتعاده بمسافة محترمة عن منابعه ومصادره الأولى، ومن ثم اجترح بدائل جديدة وأكثر إيغالاً في الغرابة والإثارة، يمكن اعتبارها انشطاراً يترجم التجربة الشخصية القادرة على تحويل فكرها الخاص إلى مجال إبداعي خصب يتجاوز ما هو حرفي أو تجريبي إلى حالة بحثية وأكاديمية عميقة.

وضمن هذا الأفق، تنضوي تجربة واحد من فرسان التشكيل المغربي الجديد، الفنان عبد اللطيف الدريسي، الذي تمكن من تأسيس لغة تشكيلية ذات مفردات خاصة، تعكس المعرفة والتبصر والبحث المستمر الذي لا يتوقف عن الاختبار وتفعيل «مغامرة اللايقين» بمعناها البودرياري.

فهو من الناحية التقنية ينجز داخل لوحاته، وعن طريق ضربات فرشاة متموجة ومتدفقة بعفوية، مجموعة علائق تتحدد بخطوط وسطوح لامرئية تخلق حالة من التناغم الكثيف بين الأحجام والفراغ الذي يحتضنها. وهما معاً يوفران للعين المشاهدة طرازاً من الرؤية الضوئية التي تنهض سواء على تكثيفات تراوح بين البارد والدافئ، أو على تنغيمات تنسج سطوحاً هادئة، منيرة، وحادة الحواف.

وإذا ما عد الفن التجريدي المعاصر نوعاً من أنواع الإضافة الابتكارية، فإن إضافة عبد اللطيف الدريسي تحمل - على حد تعبير الناقد الجمالي عمر العسري - « قدراً واعياً من ممكنات التحوير، كما تحمل في الآن ذاته، قدراً آخر من جماليات الفن الذي يحرك وجدان المشاهد، فيستجيب لها وينفعل بها». إذ إن كل شيء بالنسبة له مقرون بالضوء ولصيق به، وثمة نفي للرؤية التلوينية وللبعدين الترميزي أو العلاماتي، لأن الفنان يسعى في كل لوحة لخلق أشكال تجريدية ذات قوة باطنية تنجم عنها تقاطعات ضوئية تستقر في رأس اللوحة وأفقها البعيد.



المهم عند عبد اللطيف الدريسي هو انبجاس العالم الضوئي، إذ ليس هنالك من تشويش يوهمنا بشكل معين، وحتى عند معاينتنا للبنفسجي، والأصفر القمحي، والأبيض المنطفئ، والأزرق، والبرتقالي، فهي في الحقيقة وقائع ضوئية أكثر منها لونية، تختزل نتاج الحركة، وتمثل وضعيات مثيرة للانعكاسات، وهي كلها معلقة في سقف اللوحة، التي تصير بمثابة السماء المفتوحة على طريقة «إدوارد هوبر» التي ينهل منها عمق المجال منابع النور وطاقة الإضاءة.

تسير أعمال عبد اللطيف الدريسي على هدي إيقاع واحد، لكن ليس بالذهاب إلى أفقها اللوني، وليس بدءاً من ملامحها، بل عبر إخفاء الشكل والتبئير على رأس اللوحة باعتباره المنطلق والمنتهى، وأيضاً بالاقتصار على عينات تتمثل منطق الضوء سواء في سرعة الضربات، أو في امتدادها.

إنها إنتاج لفكرة احتلال اللوحة من قبل الضوء، والطموح الأول والأخير هو التعبير عن هذا العنصر الطبيعي الرامز إلى الحياة بكل تشعباتها وديناميتها. إن الضوء يشهر حضوره بمنطق الاشتمال والاحتلال والهيمنة، لأنه يذيب الضربات اللونية ويفقد اللون ملامحه وهويته الأصلية، فتغدو كل عناصر اللوحة ذات ملامح ونهايات متداخلة مع بريق وانطفاء اللون.

هكذا، يركز عبد اللطيف الدريسي على إيحاءات وفتنة هذه الروح الضوئية لكي يردم بها الحضور اللوني الطاغي، فالإيحاءات آتية من المساحات الضوئية المهيمنة، وأيضاً من إرسالات المساحات اللونية الشفيفة المستقرة في أقصى اللوحة. والأرجح أن هذا الأسلوب قائم على تفريغ وتقعير اللون من وظيفته، مع الانحياز إلى المهيمن الضوئي، وهذا وصف يليق بلمسة عبد اللطيف الدريسي التشكيلية.

بين برانكوزي وسيرا:

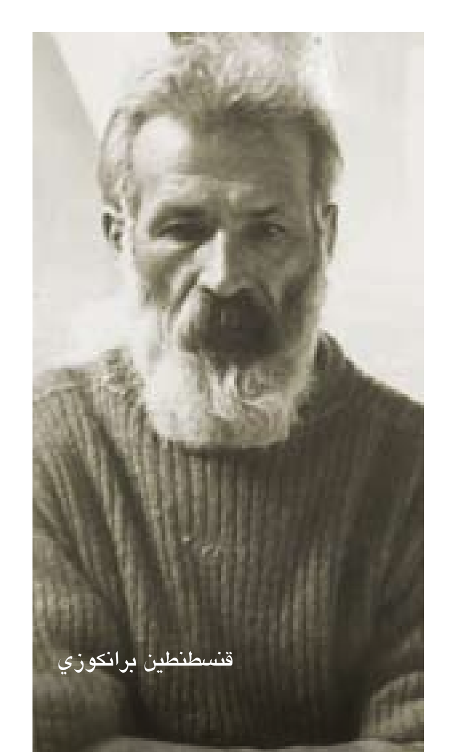
إمكانيات للعين والبصيرة

| **يوسف ليمود** - بازل

لا شيء جوهرياً ولا ظاهرياً يجمع بين قنسطنطين برانكوزي وبين ريتشارد سيرا، لا التوجه ولا الأسلوب ولا الوسيط ولا المفاهيم الفنية التي انبثقت منها أعمالهما يمكن أن تصنفهما معاً كفنانين من طراز واحد، رغم هذا، وبالرغم من أكثر من ستين عاماً تفصل الاثنين وتصنِّف الأول (برانكوزي) ضمن موجة الفن الحديث، والأخير (سيرا) في موجة المعاصر، جمعهما متحف بايلار في مدينة بازل السويسرية في معرض واحد يفترض وجود خيط دقيق بين هذين الفنانين اللذين يُعَدّان اثنين من أكبر نحاتي القرن العشرين، معتمداً على التأثير الذي مارسه نحت برانكوزي على سيرا حين ذهب الأخير إلى باريس 1964 لمدة عام لاستكمال دراسته الفنية في التصوير فاكتشف النحاتَ بداخله وتحول مساره ومصيره ليصبح أحد ألمع الأسماء في عالم النحت اليوم. يعتبر هذا المعرض حدثاً استعادياً يغطي قرناً كاملاً من تطور النحت الحديث عبر هذين الفنانين، متخطياً حواجز المستحيل فيما يتعلق بتجميع أعمال برانكوزي خلال أربعين عاماً من إبداعه، بندرتها وقابليتها للخدش وللكسر، وبجبروت أعمال سيرا بمساحاتها الهائلة وأوزانها الخيالية التي يزيد بعضها على الثلاثمئة طن من الحديد المصمت.



سكون



قنسطنطين برانكوزي

ليس الشكل وإنما الجوهر

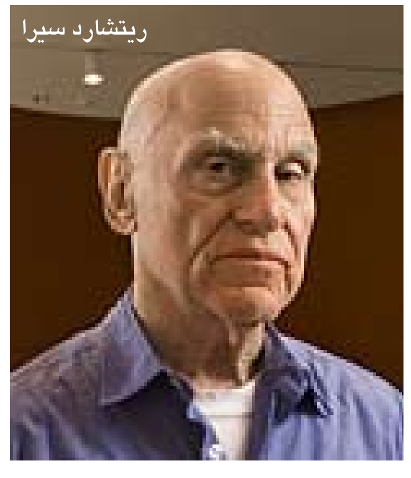
«لا شيء ينمو تحت الأشجار الكبيرة» هذا ما قاله برانكوزي بعد شهر قضاه في ورشة النحات الأشهر أوجست رودان التي كان قد دُعي إليها، معلناً فطامه ومبرهناً على أن الأنا الهائلة التي تتحكم في كيان الفنان الحقيقي تأبى إلا أن تجد طريقها بنفسها في الأحراش غير المطروقة، تاركة المراعي للقطعان. كان على هذا الشاب ابن الفلاح الفقير، الآتي من إحدى قرى رومانيا إلى باريس، في بداية القرن العشرين، بموهبة كبيرة أعلنت عن نفسها منذ كان طفلاً يحفر على الخشب ويصنع منه أدوات وأشكالاً بينما يرعى غنم العائلة، ماراً بالعاصمة بوخارست، حيث درس فن النحت الكلاسيكي، كان عليه أن يخطو بفن النحت التقليدي السائد وقتئذ خطوة كبيرة في اتجاه التجريد والتخلص من كل ما لا ضرورة له للوصول بالشكل إلى الروح: «ليس الشكل الخارجي وإنما الفكرة، جوهر الأشياء»، من هنا تتحول الملهمة النائمة إلى مجرد وجه هو بيضة ملساء، إنْ بالرخام أو البرونز الأصفر بالغ النقاء، غارقة في السكون المطلق؛ ويصبح الطائر خطاً ذهبياً رشيقاً في الفراغ؛ ويتماهى جنع الفتاة المراهقة مع شكل جنع الشجرة في أبسط صوره وأبلغها هندسيةً؛ وتصبح القُبلة مكعباً

حجرياً مفلوقاً تحزّمه الأذرع وتميّز انحناءة مرهفة في أحد النصفين حواء عن آدم؛ ويتجسد بورتريه مدام x، سليلة أسرة بونابرت، على يد الفنان، وبالاستعانة بفرويد، في شكل يشبه العضو الذكوري، الأمر الذي أثار استنكار الذائقة الفنية وقتها وتسبب في استبعاد ذلك العمل من المعرض السنوي العام.. ولكن، رغم هذه الحسية الواضحة في عمل برانكوزي، تتجلى الروحية كذلك في جل أعماله، خصوصاً تلك المستغرقة في تجريديتها، مثل «عامود اللانهائية» الذي يصل الأرض بالسماء في لا نهائية التكرار التي تنتجها العين الناظرة أبعد من حدود العمل نفسه. هذه الروح التقليلية الصارمة التي بصمت أعمال برانكوزي جعلت منه أشبه بزاهد متعبد في محراب الفن، فيستنطق هذه المواد الصلبة فيما يشبه الهمس الذي يقول روح الأشياء والروحَ المرهفة لخالقها، بطريك النحت الحديث.


استدارة وحجم وزمن

ما نراه في الفن هو ما ينقصنا

«من دون برانكوزي ما كنت لأصبح نحاتاً» يعترف سيرا في معرض استرجاعه تعرّفه على أعمال برانكوزي أثناء منحته الدراسية في باريس، منتصف الستينيات، بعد دراسته التصوير في بلده أميركا، كان برانكوزي وقتئذ في عداد الموتى منذ سبع سنوات تقريباً. دأب سيرا على دراسة الأفكار النحتية والحلول التلخيصية عند برانكوزي في كراسة اسكتشات هيّأته ليصبح فيما بعد أحد أبرز فناني المينيمالية (الاتجاه التقليلي) في أميركا، حيث «الفراغ هو المادة التي أعمل بها»، وهنا حقيقي مجازاً، حيث إن مواد تشكيله الفراغ كانت تلك التي تقول الكثافة والثقل وعنفوان الحضور، كالمطاط والرصاص المنصهر، الذي كان يقذفه كتلاً على الحائط في بواكير أعماله، والحديد الذي رسخت عليه أعماله الأخيرة. خامات استخرجها الفنان من ذاكرته الشخصية قبل أن يستخرجها من ذاكرة تاريخ الفن:


ريتشارد سيرا

«كل المواد الخام التي اشتغلت بها تقبع في احتياطي الذاكرة التي أضحت مثل حلم متكرر»، فقد عمل أبوه في حوض للسفن بسان فرانسيسكو، كما عمل الفنان في مصانع الحديد والصلب في سانتا باربارا، لكي يعول نفسه أثناء دراسته الفن بتلك المدينة. خطا سيرا بفن النحت خطوة أبعد من تلك التي خطاها برانكوزي، من ناحية المفهوم وفلسفة العمل التي لم ترد للخامة أن تكون تمثيلاً لشيء أو لمعنى ما، بل أن تقدم نفسها بكامل كثافتها وحضورها الأخرس، في أكثر الأشكال الهندسية أولية: مكعبات من الحديد المصمت، مستطيل صدئ منتصب بسُمك عشرين سنتيمتراً في ارتفاع ثلاثة أمتار وطول تسعة أمتار، رقائق قصدير ملفوفة، شاشات مقوّسة من الحديد تتوازى أو تتجاذب أو تتنافر، فتصنع فراغات وطرقات ضيقة وباحات مستديرة... هذا إلى جانب عدم إغفالنا عنصري الحجم والوزن (والزمن أيضاً، لو انتبهنا إلى معالجات الفنان لسطح الحديد وعمليات الأكسدة التي تأخذ من ثماني إلى عشر سنوات كي تثبت على حالة بعينها) اللذين يضغطان، في عنف وبرقة متناهية في الوقت ذاته، على كيان الرائي ويذكّرانه بهشاشة وجوده الآدمي أمام جبروت مادة خام كالحديد تقول الأرض، كما تؤرشف لعصر غيّر شكل العالم اسمه: عصر الصناعة.

يبقى لزائر هذا المعرض أن يرى ما يريد أن يراه بين هذين الفنانين، من وشائج قربى أو من علامات تضاد، فما نراه في الفن هو ما ينقصنا، حسب سيرا.



محمد غني حكمت..

وداعاً بغداد

حسام السراي - بغداد

أنْ يرحل الشهر الماضي النحّات العراقيّ الأشهر محمد غني حكمت في عمان بعيداً عن بغداده التي زارها قبل عام وهو يعلن تفاؤله بأنّ «فوضاها ستنتهي وتزول»، فذلك موت يخلّف في نفوس محبيه أسى أكبر، إذا ما عرفنا أنّه كان يعتزم العودة إلى البلاد للإشراف على تنفيذ أربعة نُصب جديدة له، وهي: «بغداد».. نصب يمثل بغداد بفتاة جميلة شامخة تجلس على كرسي بالزيّ العربيّ القديم، «إنقاذ العراق».. تكوين يمثل الختم السومريّ الاسطوانيّ المائل يستند إلى سواعد عراقيّة بارتفاع (6) أمتار تمثل صمود العراقيّين في مواجهة كلّ التحدّيات، «الفانوس السحريّ».. عمل جسّد المصباح السحريّ المعروف في قصص ألف ليلة وليلة البغداديّة.

وكان النصب الرابع يحمل عنوان «أشعار بغداد» بمثابة شكل كرويّ من الحروف العربيّة الإسلاميّة يتضمن بيتاً شعريّاً معروفاً عن بغداد للشاعر الراحل مصطفى جمال الدين، وهو (بغداد ما اشتبكت عليك الأعصرُ/ إلاّ ذوت ووريق عمرك أخضرُ).

النحّات العراقيّ الرائد، المولود في بغداد 1929، خريج أكاديمية الفنون الجميلة 1953، والذي درس في روما وفلورنسا بإيطاليا، كما أنّه عضو مؤسّس في جماعة الزاوية وتجمّع البعد الواحد وجماعة بغداد للفنّ الحديث، حاصل على جوائز عدة، أنجز أكثر من عمل لايزال الكثير منها شاخصاً في بغداد.. تمثال شهريار وشهرزاد، علي بابا والأربعين حرامي في ساحة كهرمانة، حمورابي، ونصب السندباد البحريّ في مدخل فندق الرشيد، ونُصب ومنحوتات أزيلت من أماكنها السابقة في بغداد.. «جدارية مدينة الطب» و«تمثال أبو الطيب المتنبي»، فضلاً عن أعمال أخرى لا تحصى، منها 14 لوحة جداريّة في إحدى كنائس بغداد تمثل درب الآلام للسيّد المسيح.

أنجز حكمت في ثمانينيات القرن الماضي إحدى بوابات منظّمة اليونيسيف في باريس وثلاث بوابات خشبيّة لكنيسة «تيستا دي ليبرا» في روما، ليكون بذلك أوّل نحّات عربيّ مسلم ينحت أبواب كنائس في العالم، فضلاً عن إنجازه جداريّة الثورة العربيّة الكبرى في عمان وأعمال مختلفة في البحرين تتضمن خمسة أبواب لمسجد قديم وتماثيل كبيرة ونوافير.

كما ساعد حكمت في عمل نُصب الحريّة الذي كان من تصميم أستاذه النحّات العراقيّ الراحل جواد سليم الذي وافاه

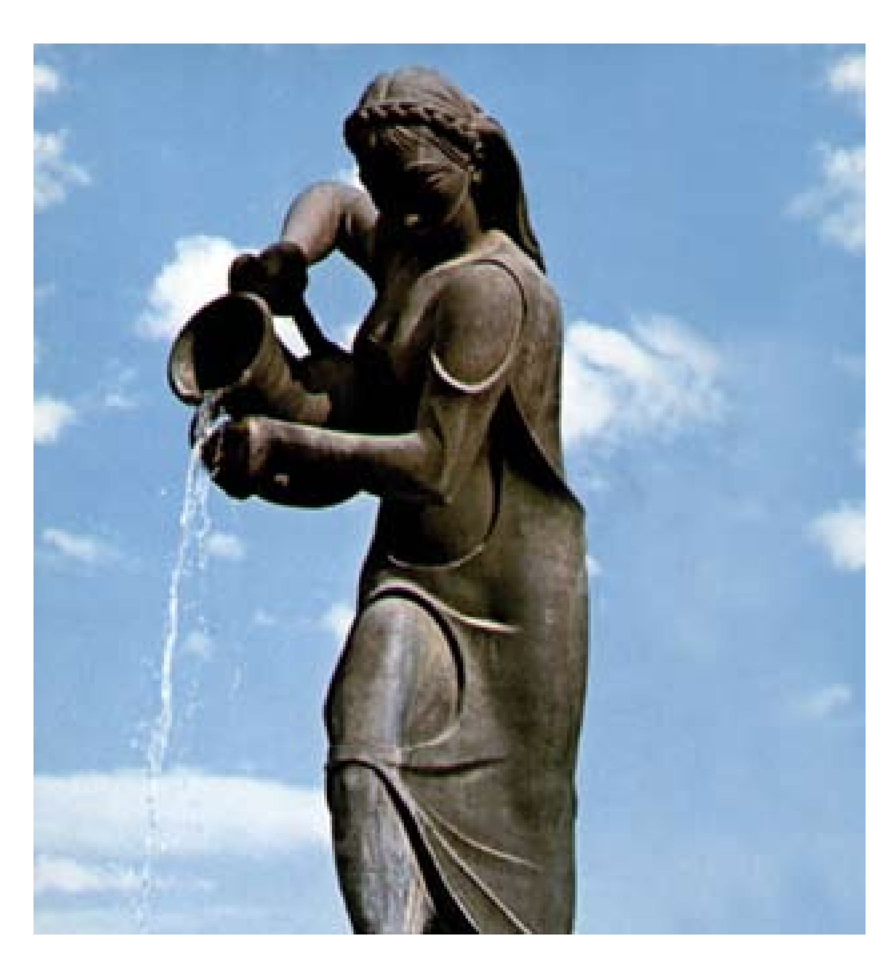


نصب الحرية.. أكمله بعد غياب جواد سليم

الأجـل قبل اكتمال هذا العمل، هذا النُصب الـذي يلخّص مسـيرة الشـعب العراقيّ مـن زمن الاحتلال البريطانـيّ إلى العهد الملكيّ ثمّ الجمهوريّ.

في زيارته إلى بغـداد، قبل عام تقريباً، قال حكمت في جلسة حواريّة استضافته فيها مؤسّسـة اتجاهات الثقافيّة (منظّمة مجتمع مدنيّ غير حكوميّة): «أنا متفائل لأنّ كلّ هذه الفوضى سـتنتهي وتزول، وإلا ما كنت قد كتبت بيت الشاعر مصطفى جمـال الدين (بغـداد ما اشـتبكت عليك الأعصر/إلا ذوت ووريق عمرك أخضر) على أحد أعمالي التي أردت لها أن تؤرّخ للمرحلة الحالية».

وإذا كان نحاتنا الراحل قد أشـاع شـيئاً مـن الأمل لدى تواجده في بغداد، نسـأل هنا: هل يمكننا أن نلمس تحرّكاً جاداً من قبل الجهات الرسميّة للبدء بأعمال تنفيذ نُصبه الأربعة؟ لكن تشـييعه «الرسميّ» الذي انطلق بسيارة أجرة من مطار بغداد الدولي حتّى مقبـرة الكرخ، يجعلنا أمام قلق أكبـر إزاء إمكانـات أن نرى بعض مشـروعاتنا الفنيّة وقد تحققـت أخيراً، ومنهـا مـا هــو إكـرام لتأريـخ ومنجز كبيرين، كما في حالة نحّاتنا محمد غني حكمت.



كهرمانة.. في قلب بغداد





شخبطات

إلى علي فرزات من القاهرة

في العتمة يضيء شيء ما، وفي محنة الألم تظهر ابتسامة، لعلها ابتسامات تحاول أن تداوي آلام رسام الكاريكاتير الكبير علي فرزات بعد محنته مع النظام الذي اعتدى على أدوات موهبته - أصابع يديه - ومن هذه الابتسامات ابتسامة من «أتيليه القاهرة» إذ نظم الفنانون المصريون معرضاً للتضامن مع الفنان ضد الاعتداء المؤلم. شارك في المعرض عدد كبير من الفنانين عبر لوحات رسموها خصيصاً لهذا الحدث ومنهم محمد عبلة، جورج بهجوري، مصطفى حسين، محمد حاكم، طوغان، سمير عبد الغني، عمرو سليم، وعبدالله مخلوف، حيث عبر كل منهم عن حبه لفرزات بلوحة، إذ احتوى المعرض على حوالي 20 لوحة.

من هذه اللوحات واحدة لجورج بهجوري راسماً نفسه - كالعادة - وفي يده قلم كبير تخرج من فوهته شعلة لهب رامزة إلى الحرية، بينما يقابله - في اللوحة - مصطفى حسين وطوغان وعمرو سليم وسمير عبد الغني بأقلام ووجوه عابسة.

«الفنان علي فرزات جرحك جرحنا، حيث تتوجه قلوبنا أنت هناك.. إلى دمشق التي رأيتها بين أصابعك نلتقي». كتبت الشاعرة السورية لينا الطيبي على جدارية من الخشب طولها 3 أمتار وعرضها متران تصدرت المعرض وهي عبارة عن رسائل حب موقعة وموجهة إلى فرزات، عليها عشرات الشخبطات والخطوط والألوان، الخطوط المنمقة والخطوط الرديئة، ما بين مشاهير، معجبين فقط بموهبة فرزات وأعماله، كل يكتب بطريقته وبخطه، يجمعها كلها









حب علي فرزات.

خلف علي خلف قال له: «يا علي.. نحن حفاة المدن، ستبقى رسومك. تنكرنا بالطغاة. وسيرحلون»، أما الشاعر وائل عبد الله فكتب «من يرسم هموم الناس يصبح نبضهم»، ومحمد فرج «ياعم علي هانت.. الشعب فعال لما يريد»، وأحدهم كتب دون توقيع «أنت إزاي معبر كده»، أما عفاف السيد فكتبت «زهرة اللوتس المصرية مقدسة مثل روحك بالضبط، تعيش ويسلم قلمك يا مبدع».

وأحدهم خط «جرحك سيبقى شاهداً على القذارة والوحشية وأنت دائماً منارة».

«علي قلت بقلمك وقلنا بحناجرنا، وسنستمر نقول، أيها الراحلون سترحلون، وأنت رغماً عنهم باق.»

عن كامو.. علي فرزات والشبيحة

صفعة المثقف

| **مها حسن** - باريس

في كتابه الشهير(السقطة) يتحدث البير كامو، عن المهانة العميقة التي خلّفها تعرضه لصفعة، أثناء أزمة مرورية، حيث توقفت أمامه دراجة نارية، وهو يقود سيارته، وعرقلت السير، وحين علا صوته وكاد يصدم سائق الدراجة، خرج من بين الجموع، رجل صفع كامو على أذنه وذهب، ثم قال له حين عاد إلى سيارته وانطلق بها: «الأحمق المسكين»، هذه العبارة التي ستقضّ مضجع كامو.

(بدلاً من أن أضرب المعتوه الذي كان قد خاطبني، عدت إلى السيارة بلطف وانطلقت بها.... أتعتقد أن هذه القصة تافهة تماماً؟ ربما. ولكنها استغرقت وقتاً طويلاً حتى استطعتُ نسيانها، وهنا هو المهم. ولكن كان لديّ عذري، لقد تركت نفسي مضروباً دون أن أردّ، إلا أنني لا يُمكن أن أتّهم بالجبن. فقد فوجئت، وكان هنالك شخصان يتحدثان معي، وهكذا فقط كنت أخلط بين الأشياء. وأضافت أبواق السيارات ما كان ينقص ركبتي. ومع ذلك فقد كنت تعيساً بسبب ذلك وكأنني قد خرقت قواعد الشرف. وأستطيع أن أرى نفسي وأنا أعود إلى السيارة دون ردة فعل، تحت رحمة نظرة الجمهور الساخرة، الجمهور الذي كان مستمتعاً بصورة خاصة لأنني أرتدي بدلة زرقاء أنيقة جداً كما أتذكر. وأستطيع أن أسمع أيضاً «الأحمق المسكين» تلك العبارة التي شعرت برغم كل شيء، بأنه قد كان لها ما يبررها. وباختصار، كنت قد أصبت بانهيار تام أمام الجمهور..... والآن، حين أفكر بذلك، أستطيع أن أرى بوضوح ما كان عليّ أن أفعله. رأيت نفسي أهبط على ذقن دارتانيون بضربة ماحقة وأعود إلى سيارتي، وأتبع القرد الذي ضربني وألحق به، وأضايق دراجته عند طرف الشارع، وآخذه جانباً، وأضربه الضرب الذي كان يستحقه تماماً. وكنت أغير بعض تفاصيل هذا الفيلم وأعرضه في ذهني مئات المرات، ولكن ذلك كان بعد فوات الأوان، وظللت بضعة أيام، وأنا أمضغ الاستياء المرّ). السقطة صفحة 46.

لم يتمكّن (كامو) من الرد على «صافعه» فعاش «سقطته»، ومهما حاول لاحقاً، الرد عبر مخيلته، وإعادة إنتاج الفيلم، بوصفه «صافعاً لا مصفوعاً»، فإن هذا الأمر لم يعد مجدياً، لأن الفيلم أنجز، ولمرة واحدة فقط. السؤال الذي يطرح نفسه هنا، إلى أي حد، ينبغي على المثقف الذهني التحول إلى مدافع يدوي، مادي. انتابني هذا السؤال، وأنا أشاهد ما تعرض له المعتصمون السوريون في ساحة (الشاتليه) في باريس، حيث هاجم مجموعة من (شبّيحة) النظام العاملين في السفارة السورية في باريس، وانهالوا ضرباً على المتظاهرين.

قرأت ما كتبه أصدقائي الذين تعرضوا للهجوم، ملاحقة بالسيارات، محاولة دعس أحد الشباب بالسيارة وسط الشارع، كأننا في مدينة سينمائية، وليس في شوارع باريس، عاصمة بلاد حقوق الإنسان.

في الاعتصام الكبير الذي شاركنا به، سألت صديقة سينمائية، ثم صديقة محامية، وكأنني أبحث عن تبرير ما لدهشتي، وأرمّم قلقي: «إن كنتِ في موقع جورجيت.. هل تضربين من ضربك». كان جواب السيدتين بديهياً، ملائماً لشكوكي: «طبعاً سأضرب، أم أتركهم يضربونني!».

أحد أصدقائي الممثلين المسرحيين في مدينة حلب، روى لي، أنه إن تعرض لأي استجواب، فهو مستعدٌ للاعتراف بكل ما لديه: «لا أستطيع ادّعاء البطولة، أنا أخاف.. حين أمشي في الليل، فيظهر لي قطّ في العتمة، ويمر بين ساقي، أرتجف.. من أول صفعة أقرّ بما لديّ».

أحار وأعجب بجسارة الشباب الذين يتعرضون للاستجواب، ولا يضعفون، ثمة من يضعف طبعاً وهنا موضوع آخر، يحتاج لمناقشات أخرى، ولكني أتحدث عن الخيار السياسي، حيث يقول الرفاق موضحين ومنتقدين من يضعف أثناء جلسات التعذيب: «حين دخل العمل السياسي، كان يعرف أن هذا ينتظره، كان عليه رفض الحزب بدلاً من توريط رفاقه باعترافاته». ولكن شتان بين الموقف السياسي والفني. لا يمكننا تطبيق قاعدة «الموقف الجسدي» على السياسي والفنان، بالمعيار ذاته. لاختلاف قضية الفنان الذي وجد نفسه، في موقف معارض، لا لأسباب سياسية، بل لأخلاقيات

تتطلب منه الوقوف مع شعبه. كما حصل مع علي فرزات، الذي لم يكن مناضلاً سياسياً ولا منتسباً لحزب، بل كفنان، أجرى حواراً عن العلاقة بين الفن والحرية، وأدلى بتصريحات مخالفة لوجهة نظر النظام، وهذه من أبسط قواعد حرية الفنان والتعبير عن أفكاره، إلا أنه تعرض لضرب مبرح، وبطريقة (تشبيحية) سينمائية، كادت تكلفه حياته، ولكن(الشبّيحة) دون شك لم يكن في نيتهم أكثر من إعطاء درس لفرزات وغيره، في عدم التطاول على الرموز المقدسة.

الضرب الذي تعرض له فرزات، والآخر الذي وقع على المعتصمين في باريس، والصفعة التي أفقدت جورجيت البريئة، البسيطة، وعيها، كل هنا يقود إلى إشكالية العلاقة بين المثقف الفكري، التخييلي، السلمي، الذي يعبّر بأفكاره، إلى اضطراره للرد بيديه، وإلى استعمال العنف.

في فيلم (غولدمان)، حيث أدى (صموئيل بنشتري) فيه دوراً خارقاً، وحيث نستخرج القاعدة التي صدرت في كتاب لاحق عن غولدمان(منكرات قاطع طريق): (أن تَقتُل أو تُقتَل تلك هي المسألة)، يعود السؤال من جديد ليطرح نفسه، إلى أي حد يحتاج المثقف لعضلاته، والأصعب، إن لم يكن معتاداً على استعمالها، كما وقع لكامو.

كان غولدمان يسارياً متطرفاً، استعمل العنف في سلوكه الثوري، وحارب البورجوازية، حتى أنه وصف ثورة 68 في فرنسا بالبورجوازية، وكان له معجبون ومناصرون من أوزان سارتر وسيمون دو بوفوار اللذين دعماه بقوة، حين تعرض للسجن والمحاكمة بتهمة القتل القصد، وحكم بالمؤبد.



في السجن، كتب بيير غولدمان منكراته، ونشرها لدى أهم دار نشر «سوي» سنة 1975. في كتابه ذاك، أثّر غولدمان على الرأي العام، واستطاع إقناع القضاء بإعادة محاكمته، ثم إطلاق سبيله.

تم اغتياله في وضح النهار، في أحد شوارع باريس، ولا تزال شخصيته تشغل الفرنسيين، ولا يزال السؤال مطروحاً: هل هو بطل أم قاطع طريق؟

بهذا المعنى ذاته، هل على المثقف العربي المعاصر، الذي يتعرض لاحتماليات العنف، أن يتحول إلى بلطجي أو قاطع طريق، على طريقة غولدمان، أو شبّيح على الطريقة الرسمية السورية، أم ينكفئ ويجتر سقطاته الروحية، وفقاً لسقطة كامو.

الروائي وحيد الطويلة، تعرض لتجربة مماثلة في مصر، حيث تعرض لاعتداء من «البلطجية».. فهل على كل مثقف عربي اليوم، وضع هذه الافتراضية في رأسه؟

والسؤال الأصعب الذي قد يخطر في بال أحدنا، أو إحدانا، حين يكون ذلك المثقف امرأة. حيث تميل تكوينات المرأة تلقائياً إلى المسالمة. ودون الخوض في نقاشات علم النفس، والتاريخ الذكوري أو الأنثوي ونموذج الأمازونيات كاستثناء، فإن المرأة غالباً لا تميل إلى الحرب والعنف، بل يُتهم الرجال بصناعة الحروب. ماذا تفعل المثقفة العربية، إن لم تكن «غولدمانية» النزعة، بل أقرب لتكون «كاموِيّة»، هل عليها أن تأخذ دورات في الكاراتيه، لتدافع عن نفسها، أمام هيمنة العنف المادي للأنظمة العربية وهي تقمع شعوبها ومواطنيها، ومواطناتها؟

ملاحظة: Pauvre con الأحمق المسكين هي الشتيمة ذاتها، التي وُجهت للرئيس ساركوزي في معرض الزراعة، حيث امتنع أحد المزارعين عن مصافحته، شاتماً إياه بتلك العبارة، ولكن في عاصمة بلاد حقوق الإنسان، لا يأتي شبّيحة الرئيس، بينما ينهب الرئيس إلى القضاء، ليسترد له حقه كمواطن، لا كرئيس.

الجسد الهلامي يتحرك

| محمد عبدالوكيل جازم - صنعاء

لا نحتاج اليوم -وخاصة بعد أن ثارت الشعوب العربية على حكامها - إلى نظريات معرفية أو مناهج تحليلية لنتعرف على حقيقة الروافع الوهمية، التي سيطرت على الحياة العربية، خلال العقود المنصرمة، ولعل الجموع الغفيرة من هذه الشعوب المغلوبة على أمرها نخباً وغيرها تعرف على ماذا نهض السياسي وكيف تربع على الأرواح والنفوس «إلهاً صمد»؟.

وإذا كانت الحياة لا يصح أن تقوم على مبدأ الفردية والاجتزاء على اعتبار أنها تكاملية فإن ماحدث خالف سنة الله في كونه حيث استقام السياسيون على هياكل شعوبهم كتماثيل حجرية ضخمة لا يمكن بأي حال من الأحوال زحزحتها بل عُد التفكير في ذلك ضرباً من الخيال، وإذا كان الظرف التاريخي المستلب، والخاص بالمعرفة قد ساهم في استمرار هذه الأنظمة لفترات طويلة، فإننا ندرك جيداً أن هذه الأنواع المتشابهة من الأنظمة القمعية تتخلق في أعماقها ثورات غاضبة وقوية كما رأينا في مصر، وسورية، وتونس، وليبيا، وبقية الأقطار العربية، ومع كل ذلك استطاع المثقف العربي أن يجد له مكاناً في شقوق الأصنام خاصة إذا دققنا النظر في المشهد الذي يبدو كأنه اليوم صراع سياسي في ظاهره، وهو في الحقيقة صراع ثقافي ضد السياسي بصورته البادية للعيان، فقد تحدث - مثلاً- الشاعر تي سي اليوت عن تأثير الشعر على الناس وإن كانوا لا يقرؤون الشعر الأدب، فهو مع المدى يساهم في تشكيل وعي ملحوظ إلا أنه غير منظور «وإذا توغلنا أكثر في تماثلات المشهد فإننا نجد الصحف الرسمية والأهلية ذات طابع سياسي يتغلب عليها الحضور الخبري والتحليلي السياسي بنسبة 99 في المئة كما هو حال الانتخابات السياسية المفتعلة للرؤساء العرب يأتي ذلك على حساب الخطاب الثقافي، والاجتماعي والاقتصادي والبحثي.. إلخ، ولو تمعنا أكثر في المشهد الثقافي لوجدناه حزيناً وبائساً، مقارنة بنظيره السياسي، فالصحف الرسمية التي تصدّر للجماهير العريضة

مهمة شاقة هذه التي يريد الثقافي من خلالها زحزحة ركام هائل من تصدعات صاغها السياسي

صباح كل يوم لا تحمل بين سطورها سوى رؤية أحادية، بل وتنفرد بقول الحقيقة، وعلى الآخر القارئ أن يصدق كل ما كُتب من أجله، وكل صحيفة من هذه الصحف لا تنظر إلى الثقافة إلا من زاوية ضيقة، حيث إننا نجد نصيب الثقافي صفحة واحدة يتم تغييبها أحياناً، وأحياناً يهيمن عليها نفس مثقفي السلطات، فتجدها نسخاً مكررة من بعضها البعض.

يذهب أحياناً السياسي إلى عمل ملاحق ثقافية، واقتصادية، واجتماعية، وفي ذلك إشارة إلى أن كل شيء ملحق بالسياسي، وكل شيء يدور ويسبح بحمده، ويكون الباعث الحقيقي خلف هذه الملاحق ليس خدمة الثقافة، والاقتصاد، والمجتمع، وإنما مشاغلة القاعدة العريضة من الناس، والأخذ بيدهم ليجدفوا بعيداً عن أخطاء الأنظمة القاتلة المتعلقة بالحرية، والديموقراطية، والعدالة، واستقلال القضاء، واعتبار القانون فوق العصبة، أو الطائفة، أو السلالة.

ماحدث بشكل، أو بآخر، أن الثقافي راح يغير طريقته في الوصول إلى الجمهور، ففي الوقت الذي استحوذ فيه السياسي على القنوات، والفضائيات المرئية، والمقروءة، والمسموعة ذهب الثقافي يشتغل بدأب، وروية عبر المتاح والمتمثل عادة بتلك الملاحق المذكورة سلفاً التي يبدو العمل فيها وكأنه طوعي إذ إن العاملين والمشتغلين فيها لا يجنون سوى التعب.

إن المثقف المقصود هنا ذلك المشتغل على حرفية الكتابة، حيث ذهب البعض إلى الاشتغال على الكتاب المطبوع «شعري - سردي- نقدي- مسرحي.. إلخ».

بقوة استطاع المثقف أن يحفر له ثقباً في جدار السياسي وفي الوقت الذي ملّ فيه الجمهور من الخطاب السياسي المكرور راح يتلمس طريقاً له في المقابل، وكان له ذلك فيما نشر من شعر، وسرد ونقد..

في تصوري أن الجمهور العريض

انتصر، تلبيته لنداء هؤلاء الذين حاولوا بروية زرع القاعدة الثقافية للمجتمع، وهؤلاء الذين استفادوا مما أنتجه الكتاب والمفكرون والأدباء.. هؤلاء هم الذين يقارعون اليوم أباطيل السياسي وتهريجاته، التي أصبح التدقيق فيها لا يعني سوى الوصول إلى عالم انفصامي شزرنوفي يقول شيئاً ويفعل شيئاً آخر، وأصبح في الكثير من جوانبه عملاً من أعمال الشعوذة والضحك على الذقون.

وصف أحد المثقفين العرب الثقافة العربية بأنها جسد هلامي لا أحد يعرف رأسه من رجليه وكان هذا التوصيف صحيحاً لأن السياسيين العرب الذين يتكئون على كميات مهولة من الجهل هم الذين يوجهون الثقافة ويسوسون العلم والمعرفة.

والآن لابد أن تتضح ملامح الثقافة العربية ولابد أن يكتمل جسدها المشرق.

هناك رأي آخر فيما يخص الثقافي إذ يلاحظ البعض غياباً ملحوظاً لدور المثقف الذي يستطيع إيصال رأيه إلى قطاع واسع من الناس إلا أن هذا المثقف لا يقول شيئاً.. وهناك من يتساءل لماذا يتوارى المثقف، وإن ظهر فعلى استحياء؟ ترى هل هي نرجسية المثقف المعهودة؟ بمعنى أنهم قد أدوا رسالتهم في ممارستهم لدور الدليل والمرشد خلال سنوات طويلة. بل هناك من ذهب إلى أنه كان السّباق في التبشير بالثورة وهناك من أشار إلى أنه هو من أشعل فتيلها عربياً ومن هنا جاء الرأي القائل بأن الشعراء، والكتاب، والفنانين، والمفكرين كانت لأفكارهم دور كبير في إحداث هذه الثورة الشفافة.

أما إذا كان دور المثقف غائباً فقد رأى البعض أن مرد ذلك إلى التهميش الذي لحق بالمثقفين أثناء هيمنة السياسي الدكتاتوري ولو كان للمثقف رأي فاعل لأصبح له اليوم دور طليعي.

مهمة شاقة هذه التي يريد الثقافي من خلالها زحزحة ركام هائل من تصدعات صاغها السياسي عنوة.. هذا السياسي «المفتقر للخيال» على حد تعبير المفكر العربي الكبير عزمي بشارة، حيث ظهرت في هذه المرحلة ثقافة يمكننا وصفها بثقافة الحاكم المطلق المنتصر وهي ثقافة نمت تحت أسماعنا وأبصارنا ومن سماتها التدليس والنفاق والخداع والاستهتار بمقدرات الأمة وقد نشأت وخاصة في الأوساط السياسية والعسكرية المقربة من الحاكم ثقافة همجية نقلها المحيطون إلى شرائح واسعة من المجتمع المسلوب وبالتالي أصبح النظر إليها مشفوعاً بنوع من التمجيد والتبجيل وربما القسسية كونها جاءت من الحاكم، وهي في الحقيقة صورة الانحطاط العربي برمته.

لعمري أنها مهمة شاقة جداً هذه التي يريدها الثقافي، فعليه يعول المجتمع بالكثير، خاصة وأن هذه الأزمات التحولية أظهرت الأمراض كلها، وبوضوح، ولعل أهم ما يمكن تقديمه اليوم هو قراءة الواقع، والعمل على إبراز تفاصيله اليومية وفق الطريقة، والأداة التي تساعد على تحركه فوق أرضية صلبة، وليست هشة كما كان.

لا شك أن هذه العملية النشطة التي حدثت في أوطاننا أعادت إلى الذهن ضرورة إحلال الثقافي محل السياسي وفق أسس وقواعد، حيث أثبت السياسي فشله-خلال ستين عاماً - في الارتقاء بالأمة، وآمالها، وأحلامها، وذلك لأن السياسي رأى في الثورة مكسباً شخصياً يمكن الانتفاع بقدراتها وإخضاعها لأهوائه ومفاسده وملذاته الذاتية.



العمل الفني: عبد الله المحرقي - البحرين



خوان جويتيسولو

الخوف من الكتابة

في دراسة حديثة حول تراجع التعليم في العالم العربي - ترجمها إلى العربية علي المنوفي ونُشرتْ في مجلة وجهات نظر المصرية الشهرية - أشرتُ إلى عبارة امبراطورة روسيا كاتالينا العظيمة، الصديقة وحامية ديديرو وفولتير: «تعليم الشعب؟ أبداً! فلو عرف الشعب ما أعرفه أنا سيعصيني بنفس المقدار الذي به يطيعني الآن». وربما ذكرت أيضاً ما قاله كاباييرو، وزير ملك إسبانيا كارلوس الرابع، ليبرر إرسال جاسبر ملتشور (1744-1811)أفضل سياسي وإصلاحي إسباني في عصره، إلى زنازين قلعة بيبير: «جلالتكم لستم في حاجة إلى فلاسفة، بل إلى مواطنين مخلصين ومطيعين».

التشكك في المعرفة من قبل كل الحكومات المستبدة، المتلحفة بغطاء الدين، هو أحد ثوابت التاريخ الأوروبي منذ اختراع المطبعة وانتشار المذهب العقلاني، منذ التقدمات العلمية وحرية تفسير الكتاب المقدس في القرن السادس عشر. وفي إسبانيا الكاثوليكية لتلك الفترة، كانت الفلسفة، كما معرفة اللغات الكلاسيكية، محط أنظار قضاة محاكم التفتيش المرتابة. وخلال عمليات الاشتباه في يهودية أحد أو بروتستانتينيته أو إسلامه، كان محتوى مكتبات المتهمين دليلاً قاطعاً لتبرير إدانته، كما كانت «عادة القراءة»- بعيداً عن كتب الصلاة والدعاء- يُنظر إليها بازدراء من قبل القطاعات الأكثر تحفظاً في المجتمع، وقد أشار ثربانتس في واحدة من مسرحياته إلى ذلك بمزيج لا يمكن تقليده من الفكاهة والحكمة. «أتجيد القراءة، يا وضيع؟» تسأل إحدى شخصياته، فيرد الآخر:«انقذني يا إلهي من هؤلاء المحرقين الذي يؤدون بالرجال إلى المحارق وبالنساء إلى الزنازين(اقرأ بيت دعارة)». كان مؤلف الكيشوت يعرف جيداً ما يقوله. فمنذ حكم الملوك الكاثوليكيون لم يحرقوا الكتب فحسب - الكاردينال ثيسنيروس حرق كل المخطوطات العربية بعد أن استولى على غرناطة - بل أيضاً حرقوا أصحابها.

وبسبب ذلك، غاص معظم الشعب الإسباني في الجهل حتى بدايات القرن الماضي رغم الجهود التي بذلها الموسوعيون والمتفرنسون أولاً وليبراليو وجمهوريو هيئة التعليم الحرة بعد ذلك. كانت الكنيسة والملكية المطلقة تعارضان ما نفهمه اليوم بالتعليم وتفرضان التلقين وحفظ الصلوات التي لا يتمكن الحافظون من فهمها، حيث كانت باللاتينية.

وكما قال من منفاه الإنكليزي الكاتب الإسباني الأبرز في النصف الأول من القرن التاسع عشر، خوسيه ماريا بلانكو وايت - وكانت غزيرة الهجرة السياسية والثقافية الإسبانية إلى أوروبا الأكثر ثقافة مثل الهجرات من الدول العربية اليوم: «مَن يريد معرفة القائمة التي تضم أبناء وطننا الذين تجرأوا وفكّروا من تلقاء أنفسهم سيجدها في أرشيفات محاكم التفتيش». ومثلما حدث في OGPU (البوليس السري السوفييتي) أو NKVD (مفوضية الشعب للشؤون الداخلية السوفييتية)، خزّنوا هناك البيانات والتقارير السرية ضد مَن كانوا يتنفّسون بطريقة مختلفة عن الباقين. ورغم أن الضجة التي كانت تغذي عربات العقيدة التي فيها أحرقوا الضحايا لم تتوقف في نهاية القرون، إلا أن عدد من كانوا يجازفون بالهلاك حرقاً قد تضاءل. لقد تعلم المجتمع الحيطة والإخفاء وكُتّاب كبار أمثال ماتيو أليمان وثربانتس وبالتاسار جراثيان قدّموا لنا خير مثال لقد خنقتْ «شبكة الظل الدينية / الطغيان الصامت» التي استلهمها الشاعر خوان دي مينا في القرن الخامس عشر، الحياة الثقافية الإسبانية ما يقرب من أربعة قرون. وبينما كانت فلسفة الأنوار تفتح طريقاً في أوروبا، كانت الجامعات الإسبانية، كما يذكّرنا المتأسبن الكبير جين

ساريل، تتناقش حول إن كان من الممكن أن ينتقل ملاك من مدريد إلى لشبونة طيراناً.

الانحطاط الثقافي الإسباني هو ثمرة سوء استغلال الكنيسة الكاثوليكية والملكية المطلقة للشعور الديني، يحتفظ بتشابهات عديدة مع الانحطاط الذي يؤثر اليوم على الديكتاتوريات والثيوقراطيات العربية. منذ سنوات تلقيت دعوة للقاء ثقافي في بلد يحرم فيه دراسة ابن رشد لكونه عقلانياً، وابن عربي لصوفيته الزنديقية ولألف ليلة وليلة لمحتواها الإيروتيكي. قلت لمحدثي: «إن لم أستطع التحدث عن هذه الأعمال وهؤلاء المؤلفين، فعن أي شياطين سنتناقش؟» البروتوكول والمجالس تشعر معي بالضجر، والحديث لمجرد الحديث يولّد ضجراً أكبر.

يشبه ميراث الجهل والخضوع للوضع القائم في ثقله عجلة طاحونة فوق كاهل المثقفين العرب اليوم، كما كان منذ عقود قليلة فوق كاهل من يكتبون بلغتي. وبمجرد إقامتي بباريس، حراً من رقابة فرانكو والكنيسة، قلت في مناسبة ما إن كل كاتب إسباني «مرشح للمنفى». وهذا ما حدث أيضاً مع من عانوا من ديكتاتوريات أميركا اللاتينية، التي هرب منها كُتّاب عظماء مثل كورتاثر وبارجس يوسا وكابريرا إنفانتي وروا باستوس وأونيتتي ومانويل بويج والقائمة طويلة، ولا يزال يحدث لعدد من الروائيين والمفكرين والشعراء العرب اللاجئين في دول الاتحاد الأوروبي أو في الولايات المتحدة الأميركية.

أي كاتب أو مثقف أو فنان فلسطيني، سوري، ليبي، عراقي، يستطيع أن يتجاهل المذابح والصدامات التي تُرتكب في بلده؟ منذ 32 عاماً بالضبط نظّمتُ في بالينسيا اجتماعاً حول موضوع: «المثقف والنضال من أجل الديموقراطية في العالم العربي». عند توزيع مادة المحور، كان معظم المشاركين من المنفيين. هل كان من الممكن أن يشي عراقي بجرائم صدام حسين وسوري بجرائم حافظ الأسد والعودة بهدوء إلى بيته؟ أما الذين يهاجمونهم بعبارة: «هذا ما تقولونه بالخارج، تعالوا وقولوه بالداخل» فيعرفون جيداً بوجود اللدغة التي تمنعهم من الكلام وأن دعوتهم ليفعلوا ذلك لم تكن في الواقع سوى دعوة للمجيء إلى الصمت مثل الآخرين.

ولحسن الطالع، أطلق الربيع العربي الألسنة والأقلام وفتح القلوب لملايين من الأشخاص الذين لا يحتملون الخضوع أمام الظلم وسوء استخدام السلطة، وأمام المشهد الفظيع للاستشهاد الجديد بحماة، يقولون بكرامة ورسوخ، مثل الشاعر الكبير أدونيس، كفاية!

ترجمة: أحمد عبد اللطيف

عن مجتمع الوسواس القهري

عبد العزيز الخاطر - قطر

الوسواس القهري، باختصار، هو سيطرة مجموعة من الأفكار على عقل الشخص بشكل لا انفكاك منه، بحيث تشكل حلقة دائرية لا تبتعد حتى تعود، ومصادر هذه الأفكار مختلفة ومتعددة، ويجب التفريق بين حالة الوسواس القهري الفردية المرضية وبينه عندما يصبح حالة اجتماعية، تعمل على مقاومة التغيير والتطور لديمومتها في الذهن واحتلالها وسيطرتها للضمير ذاته بحيث تصبح مخالفتها تأنيباً للضمير.

والمعروف أن الضمير الإنساني يتكون من مصادر عدة منها البيئي والديني والاجتماعي. تسيطر هذه المصادر على المجتمع بشكل تمنع معها فضيلة الفرز، فيتضخم الدين ويتراكم الاجتماعي وتتعقم البيئة بشكل يصبح الاقتراب منها خطيئة تستحق العقاب.

مجتمع الوسواس القهري لا يتطور لأنه يعيد إنتاج نفسه, ينتج الماضي ليعيش فيه حاضره, مجتمع الوسواس القهري مجتمع رموز وتماثيل وآلهة, لا يعرف النقد ويعيش بين الجحيم والجنة, إما لهذه أو لتلك بحساباته التي يحتمها وسواسه القهري.

مجتمع الوسواس القهري مجتمع شكوك، الجميع يشك في الجميع, الشعور بالنقص وعدم الكمال فضيلة, لكنها في مجتمع الوسواس القهري عذاب, لأنها بحث عن طوبائية غير متحققة وبذلك ليس هناك إنجاز مهما تم بل استمرار في جلد الذات والتأنيب, تتحول الأفعال فيه إلى قسمين, أفعال المجتمع وأفعال ومكونات الوسواس القهري ذاته سواء الدينية «التاريخ الديني بكل محتواه وشخوصه»، أو الاجتماعية كالزعماء والرؤساء وآلهة الأرض, فتمجد الشخوص وتعظم النفوس وتتحول الحقوق إلى مكرمات وفضائل، فيزداد ضغط الوسواس القهري على المجتمع فيأتي التشكيك في موت القائد وبأنه لم يمت وإنما انتقل وروحه باقية بيننا ولابد من إكمال المسيرة وهكذا.

يحاول أفراد المجتمع الخروج من هذه الحاله «حالة الوسواس القهري المجتمعي» بعد تشخيصهم لها ولدورها السلبي عليهم وعلى مجتمعهم عن طريق وسيلتين, إما عن طريق الدروشة والانعزال وعدم المشاركة في صنع مستقبلهم وحاضرهم, وإما عن طريق الانقلاب التام الراديكالي على أسس المجتمع ككل والبحث عن نموذج آخر من بيئة أخرى. وكلا السبيلين لايؤدي إلى نجاة حقيقية. مجتمع الوسواس القهري يحتاج إلى مراجعة تاريخية لماضيه وتموضع جديد لفكرة الإنسان فيه وعزلها التام عن فكره المقدس ولرؤية جديدة للدين تجعل منه روشتة علاج تتطور بتطور المجتمع، بل هي وضعت من أجل إنسان يتطور وأحوال تتبدل.



لقطة من فيلم قلب أحمر

في "قفزته" الثالثة

مهرجان الدوحة ترايبيكا .. حب وثورة

عبدالله الحامدي

خمسة أيام قد تكون غير كافية لعرض هذا العدد من الأفلام في الدورة الثالثة لمهرجان الدوحة ترايبيكا السينمائي 2011 خلال الفترة (25 - 29 أكتوبر الراهن)، فبات من الأكيد أنها ستكون أياماً حاشدة بالفن السابع من شتى بقاع العالم، ومن هذه المنطقة تحديداً، والتي يتركز عليها ضوء المهرجان.

قبل مثول «الدوحة» للطبع أعلنت إدارة المهرجان قائمة الأفلام المشاركة في مسابقة الأفلام العربية، بشقيها الروائي والوثائقي، فبلغ عددها 14 فيلماً، تتناول قصصاً متنوعة عن الحياة في البلدان العربية، عن الحب والخيانة والاضطرابات السياسية والثورة، في حين يتولى المخرج السوري محمد ملص مهمة رئاسة لجنة تحكيم الأفلام الروائية.

بالطبع يحرص المهرجان الذي تتخذ من المبنى 25 بالحي الثقافي (كتارا) مقراً لمطبخه السينمائي على أن يتقدم بخطى حثيثة لترسيخ قاعدة إنتاجية وتفاعلية جديدة للفن السابع في المنطقة العربية، تضاهي المستوى العالمي، وهذا السعي بحد ذاته هو أحد تحديات المهرجان، وما يمكن أن يتميز به بين باقي المهرجانات العربية، ولعله حدث فعلاً.

يؤكد ملص أهمية مسابقة الأفلام العربية في اللحظة الراهنة مشيراً إلى التغيرات التي يشهدها العالم العربي، فيقول: هذه المسابقة تشكل وسيلة هامة لصانعي الأفلام، وتسهم في دعم وإبراز قدرات المخرجين الشباب الموهوبين، كما تفتح أمامها الأبواب لمزيد من الانتشار والتوزيع خارج نطاق العالم العربي، أما أماندا بالمر المديرة التنفيذية لمؤسسة الدوحة للأفلام فترى أن مشاركة شخصية بارزة في عالم الإخراج، مثل محمد ملص والذي لعبت أفلامه دوراً هاماً في صياغة شكل وهوية السينما العربية، ستسهم في رفع مستوى الإدراك والمعرفة اللازمتين من أجل مساعدتنا في اكتشاف الجيل القادم من صانعي السينما والمخرجين في العالم العربي وتقديم الدعم لهم.

تحتوي مسابقة الأفلام العربية سبعة أفلام روائية وأخرى وثائقية، تتمحور مواضيعها حول الطفولة والحب والثورة والعالم الداخلي للحياة في المنطقة العربية، بالإضافة إلى الأفلام التي تكشف عن الطبيعة الحقيقية لحياة المرأة العربية المعاصرة، وسيتم ترجمة جميع الأفلام المعروضة خلال المهرجان باللغتين الإنكليزية والعربية



فيلم أقلام من عسقلان



إنسان شريف

لتلائم جميع فئات الجمهور.

ومن الأفلام المشاركة في مسابقة الأفلام العربية الروائية: "إنسان شريف" لجان كلود قدسي وتجري أحداثه في كل من الأردن ولبنان، حيث يحظى إبراهيم بفرصة التقاء مع امرأة غامضة عرفها قبل 20 عاماً، حين ارتكب بسببها جريمة قتل، فيما هو عائد الآن إلى وطنه لمواجهة ماضيه المضطرب، و"قلب أحمر" لهلكوت مصطفى، حيث تكتشف شيرين البالغة من العمر 19 عاماً، بعد وفاة والدتها، أن والدها يقرر الزواج بأخرى، فيدفعها عدم قدرتها على قبول هذه الفكرة بالهروب مع حبيبها السري إلى المدينة الكبيرة، وفيلم "قديش تحبني" لفاطمة زهرة زموم التي تروي فيه قصة مؤثرة عن الحب والطفولة في مدينة الجزائر، و"الشوق" لخالد الحجر، الفيلم الحائز على جائزة الهرم الذهبي (أفضل فيلم في مهرجان القاهرة السينمائي لعام 2010) الذي ينقل واقع حياة الفقراء في أحياء العشوائيات في مرحلة ما قبل الثورة إلى الشاشة الكبيرة، وثمة فيلم "أغنية المهرّب" لرباح عامور زايميشي عن لويس ماندران، تلك الشخصية الشهيرة في فرنسا منتصف القرن الثامن عشر، ومآثره مع أصدقائه الذين نفذوا حملات تهريب محفوفة بالمخاطر في المقاطعات الفرنسية، ومن الأفلام المشاركة بمسابقة الأفلام العربية الروائية "طبيعي" لمرزاق علواش راصداً الربيع العربي في كل من تونس ومصر، وأخيراً فيلم "عمر قتلني" لرشدي زم مسلطاً الضوء على الظلم الاجتماعي



فيلم طبيعي

والمعايير المزدوجة.

في مسابقة الأفلام العربية الوثائقية يشارك "الكلمة الحمراء" لإلياس بكار، وهو فيلم يلقي نظرة على الشعب التونسي الراغب بالتعبير عن مشاعره خلال أحداث الثورة، فيما تتناول رانيا اسطفان "اختفاءات سعاد حسني الثلاثة"، عبر مقاطع من الأفلام التي مثلتها سندريلا الشاشة العربية، وثمة "توق" للينا العابد تحكي فيه عن الدور الذي تمارسه المرأة وهامش حريتها الحقيقي في المجتمعات الذكورية، وكيف ينعكس ذلك على أنوثة النساء وعلاقاتهن بأنفسهن، وتحكي ليلى حطيط سلاس في "أقلام من عسقلان" قصة الفنان الفلسطيني زهدي العدوي الذي سجن في الأراضي المحتلة واستخدم فنه وسيلة للتعبير بمساعدة من مجتمعه وعائلته، أما نمير عبد المسيح، المخرج الفرنسي من أصل مصري، فيقدم رؤية جديدة عبر فيلمه "العذراء، الأقباط وأنا" عن حقيقة ظهور السيدة العذراء، وتلقي لطيفة ربانة دوغري في "بنات البوكس" نظرة على عالم رياضة الملاكمة التي لا تزال إحدى المحرمات في العالم العربي، وفي فيلم "في الطريق لوسط البلد" يغوص شريف البندري في مدينة القاهرة، وتحديداً ذلك الحي المليء بالتناقضات والشخصيات المتنوعة.

أخيراً، لعل من أهم ميزات دورة هذا العام لمهرجان الدوحة ترايبيكا أن جل الأفلام المشاركة ستعرض في مكان واحد (الحي الثقافي)، مستثمراً العدد الكبير من الصالات، فضلاً عن المسارح والمنصات التي ستبنى للعروض، ولحفل الافتتاح الذي سيكون باهراً، كما صرح مصدر من قلب إدارة الدوحة ترايبيكا، منوهاً إلى حضور نجوم عرب وعالميين مهمين جداً.

باندراس
في بلاد الذهب الأسود

| عبد الرحمن محسن المقدم



| من الفيلم

تفتتح في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر/تشرين الأول الجاري، الدورة الثالثة لمهرجان الدوحة ترايبكا السينمائي الذي استطاع في وقت قياسي أن يحتل مكانة بارزة في خريطة المهرجانات السينمائية، وكانت بداية مهرجان الدوحة ترايبكا وليدة للتعاون ما بين قطر ومؤسسة ترايبكا السينمائية الأميركية التي أسسها النجم الأميركي الكبير روبرت دي نيرو مع آخرين في نيويورك عام 2002 بعد أحداث 11سبتمبر/أيلول 2001 من أجل مشاركة السينما في الأحداث العالمية.

ونظمت الدورة الأولى لمهرجان الدوحة ترايبكا من 29 أكتوبر/تشرين الأول عام 2009 عبر شراكة بين هيئة متاحف قطر ومهرجان ترايبكا السينمائي وفي 21 مايو/أيار 2010 تم رسمياً إطلاق مؤسسة الدوحة للأفلام وذلك أثناء تنظيم مهرجان كان السينمائي الدولي. وقد وقعت المؤسسة شراكة ثقافية مع مؤسسة السينما العالمية التي يرأسها المخرج العالمي مارتن سكورسيزي لمدة ثلاث سنوات بهدف ترميم الأفلام السينمائية العالمية القديمة ذات القيمة الفنية والثقافية الكبيرة للحفاظ عليها، وكان من نتيجة هذه الشراكة ترميم فيلم «المومياء» للمخرج شادي عبدالسلام، وقد عرضت النسخة المرممة في سوق واقف ضمن فعاليات مهرجان الدوحة ترايبكا، ولا تقتصر أهمية المهرجان على مجرد اجتذابه لأفلام عالمية وعربية هامة ونجومها بل تتمثل أيضاً في نجاحه هو ومؤسسة الدوحة للأفلام التي تنظمه في خلق مناخ خصب لنمو مطرد لمقومات حقيقية لصناعة الأفلام في قطر تقوم على الاهتمام بالعنصر البشري ورعايته وتدريبه ومراكمة المعرفة والخبرة اللازمة لديه من خلال دورات تعليمية وورش عمل تدريبية تستمر طوال العام لخلق جيل حداثي مبدع من صناع الأفلام ثم احتضان هذه الإبداعات وتشجيعها بالعروض الجماهيرية والمسابقات والمشاركة في المهرجانات التي تحقق عنصر الاحتكاك الضروري، كما تقوم مؤسسة الدوحة والمهرجان باختيار عدد من المشروعات السينمائية الشبابية قيد التنفيذ لدعمها وتمويل مراحل إنتاجها لتحقيق توازن مفقود ما بين الأهداف التجارية والفنية، وكان من بين هذه المشروعات الفيلم الروائي الطويل «الحاوي» لمخرجه المصري إبراهيم البطوط الذي فاز بجائزة أفضل فيلم عربي في الدورة السابقة للمهرجان، وكذلك الفيلم الوثائقي «تيتا ألف مرة» للمخرج اللبناني محمود قعبور الذي نال فيلمه تمويلاً من صندوق مؤسسة الدوحة للأفلام ومؤسسة الشاشة في بيروت، وفاز بجائزة الجمهور في الدورة السابقة للمهرجان، كما أنتجت دورات وورش التدريب عدداً من الأفلام المتنوعة تراوحت ما بين أفلام الدقيقة الواحدة والأفلام القصيرة والمتوسطة ووفرت لها الاهتمام والمشاهدة الجماهيرية والنقاشات والندوات والمشاركة في العديد من الأنشطة والتظاهرات، وكان من بينها ورشة «حرحر» بالتعاون مع



حرب.. قبل الهدنة

الجامعة الأميركية في القاهرة وهو برنامج لتعليم الطلاب طرق رواية القصص وإنتاج أفلام الدقيقة الواحدة وتم خلاله إنتاج ثمانية أفلام استمدت أفكارها من ثورة 25 يناير المصرية، كان من بينها أفلام «نص العمى» لسميرة عشرة و«الطرحة» لمحمد سلامة و«حصار» لأحمد زكريا، كما رصدت مؤسسة الدوحة للأفلام مبلغ مليون ريال سنوياً كمرحلة أولى لتمويل خمسة وعشرين فيلماً عربياً تسجيلياً وروائياً، وقد تلقى معهد الدوحة للأفلام حتى الآن أكثر من 300 طلب للاستفادة من هذه الميزانية المخصصة لدعم الإنتاج، وقد توجت مؤسسة الدوحة للأفلام ومهرجان الدوحة ترايبكا جهودها بقيام قطر بدور بارز في الإنتاج السينمائي العالمي بالمشاركة في إنتاج فيلم «الذهب الأسود» مع شركة كوينتا للأفلام لصاحبها المنتج التونسي طارق بن عمار.

وقد وقع الاختيار على الفيلم ليكون فيلم الافتتاح للدورة الثالثة لمهرجان الدوحة ترايبكا ويقوم ببطولة الفيلم النجم العالمي الشهير أنطونيو بانديراس والنجمة فريدا بينتو وطاهر رحيم وأخرجه المخرج الفرنسي جان جاك آرنو صاحب أفلام «اسم الوردة» «وحرب النار» و«العاشق».. وقد اقتبس الفيلم عن رواية «العطش الأسود» للكاتب السويسري «هانز روسن»، وتدور أحداث الفيلم في منطقة شبه الجزيرة العربية قبل اكتشاف البترول حول الصراع بين اثنين من الأمراء لمملكتين خياليتين وينتهي إلى هدنة ومصاهرة واتفاق على ترك المناطق غير المأهولة بين المملكتين كمنطقة فاصلة، لكن اكتشاف البترول في تلك المناطق يعيد الصراع بين المملكتين من جديد بشكل أكثر عنفاً. ويصور الفيلم الصراع بين القيم التقليدية الراسخة وقيم الحداثة الوافدة التي تفرض نفسها وتداعياتها على الحياة. وقد تكلف إنتاج الفيلم 55 مليون دولار ويشارك عدد من الفنانين القطريين والعرب في الفيلم مثل الفنان فهد الكبيسي الذي يقدم بصوته الأغنية الافتتاحية للفيلم من خلال ألحان الموسيقار العالمي جيمس هورنر الذي قام بالإعداد الموسيقي لعدد من الأفلام العالمية الأشهر مثل «تيتانك» و«افتار»، أما تصوير الفيلم فقد تم ما بين تونس ومنطقتي ميسعيد والشمال في قطر بمشاركة عدد من السينمائيين القطريين مثل الفنان القطري محمد الإبراهيم.. كما سيعرض خلال المهرجان الفيلم اللبناني «هلا لوين» من إخراج نادين لبكي في ثاني تجاربها السينمائية وكان الفيلم قد نال جائزة «فرانسوا شاليه» كأفضل فيلم روائي طويل وقد رشح الفيلم بجائزة أوسكار أفضل فيلم أجنبي لهذا العام.

وينتظر أن يشارك في مسابقات مهرجان الدوحة هذا العام أكثر من 40 فيلماً وسوف يقدم المهرجان عروضه بشكل أساسي في الحي الثقافي (كتارا) في مدينة الدوحة.. وينظم المهرجان مسابقتين أساسيتين هما مسابقة السينما العربية وتقدم من خلالها ثلاث جوائز لأفضل فيلم عربي وأفضل مخرج عربي وأفضل فيلم عربي قصير، وتبلغ قيمة كل جائزة من هذه الجوائز 100.000 دولار، أما مسابقة جوائز الجمهور فتقدم جائزة لأفضل فيلم روائي وأفضل فيلم وثائقي بقيمة 100.000 دولار لكل فائز يختاره جمهور المشاهدين.

وينتظر أن تحظى دورة المهرجان هذا العام بحضور جماهيري كثيف يفوق الحضور في الدورات السابقة، والذي بلغ في العام الماضي أكثر من 34 ألف زائر ومشاهد للعروض والفعاليات المختلفة، بالإضافة إلى 13 ألف شخص في يوم الأسرة، كما تقول أماندا بالمر مديرة المهرجان، كما يتوقع أن يحضر افتتاح المهرجان وعروضه عدد من النجوم العالميين والعرب وصناع الأفلام من أمثال النجم أنطونيو بانديراس والنجمة فريدا بينتو بطلي فيلم «الذهب الأسود» والمخرج العالمي جان جاك آرنو مخرج العمل، بالإضافة إلى المخرجة نادين لبكي مخرجة فيلم «هلا لوين».



جون جاك آرنو

وشم على الذّاكرة

بين التّاريخ الرّسمي وتاريخ جون جاك آرنو تبدأ تجربة في السّينما. تستمد من الذاكرة الجماعية مادة لها وتستلهم من الأدب سيناريوهات أبعد من الخيال. تجربة تمخضت عنها أفلام كثيرة، نالت نصيباً مهماً من النقد وحصدت أهم الجوائز العالمية، مثل الأوسكار والسيزار.

آرنو (68 سنة) الذي يطلّ علينا هذا الشهر بفيلمه الجديد «الذهب الأسود» لم يكمل المسيرة التي انطلق فيها قبل أكثر من ثلاثين عاماً. ما يزال صاحب «ستالينغراد» (2001) يتساءل ويثير الجدل حول وقائع وأحداث تاريخية مفصلية تعدّدت حولها الآراء والانطباعات. فبعدما طرق أبواباً موصدة في العلاقات الفرنسية - الألمانية إبان الحرب العالمية الأولى، وعايش صخب الحياة بين قبائل بدائية ليست تؤمن سوى بقوى الطبيعة، ها هو اليوم يغامر صوب الصحراء بحثاً عن الذهب الأسود وعن مصائر بشر تترنح حياتهم بين الحرب والسّلم.

منذ البدايات، لم يخف آرنو تأثره بجون رينوار، الذي مهّد الطريق لبروز جيل الخمسينيات في فرنسا أو ما يطلق عليه تسمية «الموجة الجديدة». الرابط المشترك بين آرنو ورينوار هو علاقتهما الوطيدة بالأدب، صرامتهما التقنية وميلهما إلى الواقعية. بالنسبة إليهما السينما ليست مجرد فن، بل هي علم والتزام بالقضايا الجوهرية.

جون جاك آرنو لم ينتظر كثيراً ليكشف عن نواياه وعن رغبته في تأسيس حساسية تختلف عما هو متداول بين أبناء جيله. فيلمه الأول «الانتصار بالغناء» (1976) فتح أمامه طريق العالمية، خصوصاً بعد التتويج بجائزة الأوسكار لأفضل فيلم أجنبي. سيناريو الفيلم يلج حقبة تأزم العلاقات بين فرنسا وألمانيا عام 1915 ويعرض علينا صورة مصغرة من الصراع في إحدى المستعمرات الإفريقية الفاصلة بين منطقتي النفوذ الفرنسية والألمانية (تم تصوير الفيلم في كوت ديفوار)، حيث يتم تجنيد زنوج عنوة للزج بهم في حرب لا تعنيهم، تنتهي بانسحاب الألمان من المنطقة وخلافتهم بالاستعمار الإنكليزي. رغم الاعتراف العالمي والصدى الذي حققه الفيلم في الولايات المتحدة الأميركية إلا أنه لم يرق إلى تطلعات الجمهور في فرنسا ولم يلق النجاح المرجوّ، مما اضطر المخرج إلى إعادة عرضه بعنوان ثان «أبيض وأسود بالألوان»، ولكن دون جدوى. ظل جون جاك آرنو اسماً غير معروف في فرنسا إلى غاية 1979 مع صدور فيلمه الثاني «ضربة رأس».

في فيلم «حرب النار» (1981) المقتبس من رواية بلجيكية تحمل العنوان نفسه يعود آرنو إلى حقبة ما قبل التاريخ ويحكي لنا صراعاً بين قبيلتي أولما وواغابو من أجل بسط النفوذ والاستيلاء على الأراضي وعلى الأملاك.

في وقت ذكر فيه بعض النقاد أن الفيلم نفسه أعاد توطيد علاقة الفرنسيين بحقبة ما قبل التاريخ ودفعهم إلى الاهتمام بها أكثر فأكثر، ذكر آخرون أن المخرج لم يلتزم بالمعايير العلمية الدقيقة وصوّر إنسان تلك الحقبة في هيئة حيوانية تفتقد لبعض معاني الإنسانية. مكرساً كليشيهات ومعطيات غير دقيقة. الفيلم نال اثنتين من أهم جوائز السيزار: أفضل فيلم وأفضل إخراج.

لطالما تعرض جون جاك آرنو لانتقادات الصحافة اللاذعة أحياناً وتجاهلهم لأعماله أحياناً أخرى، لكنه لم يتوقف عن مواصلة المشروع الذي بدأ فيه، متحدياً منتقديه ومصراً على مواصلة التجربة نفسها التي يعتبرها تتمة للجيل الذي سبقه.

عام 1986 اقتبس رواية «اسم الوردة» لأمبرتو ايكو ونال بفضلها سيزار أفضل فيلم أجنبي. وأعاد الكرّة عام 1992 مع رواية «العاشق» لمارغريت دوراس. فبين الأدب والسينما تتمايل تجربة المخرج الذي تعود آخر أعماله إلى 2007، مع «صاحب الجلالة مينور».

صاحب «الدّب» الذي يُعرّف نفسه بالمناهض للاستعمار والمناضل من أجل العدالة الاجتماعية أخرج لحدّ الساعة اثني عشر فيلماً. أرسى من خلالها تجربة مختلفة على واجهة الفن السابع في فرنسا. حاول عبر أهم مراحلها البحث عن أصالة الفكرة وعن جرأة الطرح وصرامة التنفيذ. آرنو هو واحد من المخرجين القلائل الذين يتابعون تطورات إنجاز الفيلم خطوة بخطوة، من التصوير إلى التركيب وبداية العرض الجماهيري وانطباعات النقاد والمتابعين.

أنطونيو بانديراس
الماتادور على حلبة الرّمال

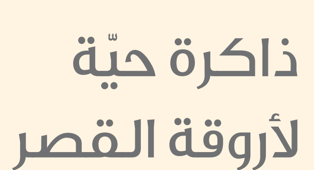
ممثل إسباني عرفه الجمهور العربي وتعلّق كثيراً بأعماله. له بصمة خاصة في لعب الأدوار الدرامية والكوميدية، صاحب موهبة وتجربة فنية طويلة، نجم نال حظاً وافراً من الاهتمام الإعلامي في الغرب، تعامل مع كبار المخرجين، أمثال روبير رودريغاز وبيدرو المادوفار، اسمه انطونيو بانديراس، أندلسي من مالغا، سيجسد دور البطولة في «الذهب الأسود» ويتقمص شخصية نسيب، سيحمل لأول مرة هوية عربية ويتناغم مع حياة القبائل في صحراء شبه الجزيرة.

من حلم كرة القدم واللعب في نادي ريال مدريد إلى تسلق النجومية في هيوليوود، عاش بانديراس (51 سنة) حياة تلفها كثير من المفاجآت السعيدة وغير السعيدة أحياناً. الإصابة التي تعرض إليها في الكاحل الأيمن في سن التاسعة عشرة فرضت عليه التخلي عن حلم الطفولة والانخراط صدفة في مدرسة الفنون الدرامية في مالغا، جنوبي إسبانيا، حيث نجح بعد أقل من سنتين في اجتياز كاستينغ مسرحية «لوس تيرانوس» ولعب أول الأدوار له، تحت إشراف الفريدو ماناس. وشاءت الأقدار أن يتقاطع مسار بانديراس مع مسار مخرج إسباني آخر، سيصير لاحقاً، واحداً من أبرز أسماء الفن السابع في العالم، اسمه بيدرو المادوفار الذي منحه أول دور سينمائي له في «متاهة العشق» (1982). وتوالت التجارب مع المادوفار، بالمشاركة في أفلام كثيرة، منها «الماتادور» (1985)، «قانون اللذة» (1987)، «نساء على ضفة الانهيار» (1989).

سنة 1990 لما وصل الممثل نفسه إلى الولايات المتحدة الأميركية لم يكن يتقن الإنكليزية. مع ذلك فقد منحته نجمة البوب مادونا كل ثقتها وأشركته في الفيلم الوثائقي «في السرير مع مادونا» (1991)، مما فتح أمامه أبواب التمثيل في أفلام أميركية أخرى، مثل «فيلادلفيا» (1993) مع توم هانكس.

بعد مسيرة تكللت بالمشاركة في أكثر من خمسين فيلماً، آخرها «الجلد الذي أسكنه»، الذي عرض مؤخراً في مهرجان «كان»، يشرع باندريس في تجربة جديدة في بلاد العرب ربما ستكون فاتحة مشاريع مستقبلية أخرى.





ذاكرة حيّة لأروقة القصر

«مش عاوزين مشاكل» هذه العبارة كانت على لسان ابنة مدحت أبو العز كلما زارته جهة إعلامية طمعاً في عناوين مثيرة عن الشبيه المشهور لحسني مبارك، حالياً أبو العز تخلص من عيون جهاز مباحث أمن الدولة، وسيصبح أمام الكاميرا وفي قصر الرئاسة، يطمح في الشهرة وإقناع الجمهور بأن ما سيشاهدونه في أول أدواره التمثيلية في الفيلم الوثائقي «أروقة القصر» هو الريّس المخلوع فعلاً. الفيلم الذي سيخرج للعرض قريباً من إخراج أحمد فتحي، ويتناول بأسلوب الدراما الوثائقية «الديكودراما» كواليس القصر الجمهوري في آخر أيام مبارك وزوجته سوزان التي تجسد دورها الممثلة نجوى النجيري، ويعرض مشاهد من الذاكرة الحية معتمداً على شخصيات ومشاهد مسجلة من خلال شهود عيان وتقارير صحافية مدققة عن تفاصيل الأحداث المتضاربة داخل القصر الرئاسي بدءاً من 25 يناير إلى غاية تنحي مبارك في 11 فبراير.

مدة الشريط «100 دقيقة»، وهو أول الأعمال السينمائية التي ستظهر فيها شخصية الرئيس السابق حسني مبارك وزوجته سوزان ثابت.



كيف تغير جسم الإنسان على مدار «10» آلاف سنة؟

| حسن فتحي - القاهرة

كثيراً ما يتحدث الأطباء وخبراء التغذية عن تأثير نمط الحياة على الحالة الصحية والنفسية التي يعيشها الناس اليوم، خاصة في ظل قلة النشاط البدني والاعتماد الأكبر على الوجبات السريعة، وهو ما أدى بدوره إلى زيادة محيط منطقة البطن وقلة العضلات بالجسم وانخفاض سمك عضلات الجسم، فضلاً عن انتشار أمراض السمنة والسكري والضغط وانتشار الأورام والأمراض المزمنة في مراحل العمر المبكرة.

وسعياً لتأكيد دور وتأثير نمط الحياة على الحالة الجسمانية للإنسان، انفردت مجلة «نيوسايتنست» بدراسة بالغة الأهمية، ففي جامعة زيورخ بسويسرا يقوم حالياً فريق بحثي بإجراء عدد من الدراسات المقارنة بين البنيان العام لإنسان اليوم، مقارنة بمومياوات الفراعنة وبعض العظام لجثث من القرون الوسطى.

علمياً يمكن القول إن الإنسان ظهر على الأرض منذ أكثر من 200 ألف عام، وكان في هذا الوقت يعيش ضمن جماعات قبلية صغيرة تسعى للصيد والترحال بحثاً عن موارد الطعام. وقد أظهرت البحوث الوراثية أن تغير النمط الغذائي أدى إلى ظهور جينات لم تكن موجودة من قبل، فمثلاً هناك جين مسؤول عن هضم اللبن بعد مرحلة الفطام، هذا الجين لم يكن موجوداً في الحمض النووي لأجدادنا، ولم يظهر إلا بعد دخول منتجات الألبان ضمن أنماط الطعام التي يتناولها الإنسان.

ووفقاً لما يوضحه الدكتور كريستوفر راف بمستشفى جون هوبكنز بالولايات المتحدة الأميركية، فإنه رغم أن عمر الناس اليوم أطول بكثير من أجدادهم بفضل ظهور اللقاحات والمضادات الحيوية، إلا أنه من خلال أخذ صور بأشعة إكس لعظام الأذرع بين المومياوات ومن يقابلهم في نفس المرحلة العمرية اليوم، يتبين أن سمك العظام انخفض بمرور السنين بمقدار 15%، كما أصبح الهيكل العظمي للإنسان أكثر ضعفاً وهشاشة عن سابقه.

المشكلة، كما يوضح الدكتور راف، هي أننا لا نعرف الجين المسؤول عن سمك العظام، لكن المؤكد لنا أن الإنسان قادر على تغيير وضعه الصحي لو أراد وبذل بعض الجهد في ذلك، فعلى سبيل المثال، تظهر الدراسات أن هناك فروقاً في السمك بين ذراعي لاعبي التنس، حيث إن الذراع التي يبذل بها مجهوداً أكبر تكون أكثر صلابة عن الأخرى، كما أن الرياضيين بشكل عام أقل عرضة للإصابة بهشاشة العظام عن غيرهم.

وبالنسبة للنساء، فإنه بمقارنة نسب هرمون الإستروجين في الدم عند نساء اليوم مقارنة بالمومياوات، سنجد أن نمط الحياة له دور أساسي في حدوث تغير في نسب الهرمون بالدم، حيث أصبحت نسبة هرمون الإستروجين في الدم مرتفعة، وهو ما يعرض النساء للإصابة بالأورام، ومن أشهرها سرطان الثدي.

ويقول أحد العلماء إنه علمياً تتسبب زيادة نسبة هرمون الإستروجين عن المعدلات الطبيعية ولفترة طويلة في زيادة سمك الجمجمة من الداخل، وتحديداً في المنطقة فوق العينين، ومن خلال إجراء أشعة مقطعية على عدة جثث لنساء عشن منذ 100 عام، مقارنة بأكثر من 400 سيدة ممن يعشن اليوم توصل العلماء إلى أن سمك الجمجمة أصبح أكثر شيوعاً اليوم بنسبة 50 % عما سبق.

الخلايا العصبية بالمخ تقرر اختياراتك

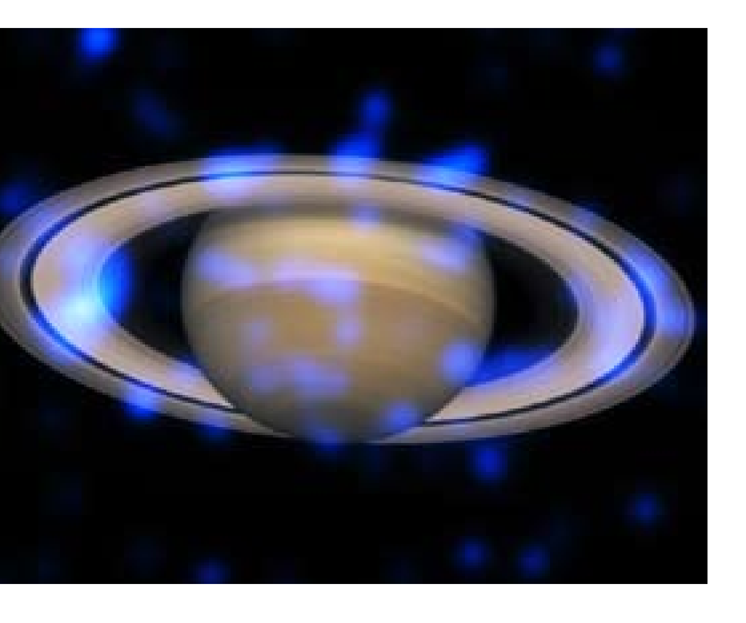
قالت دراسة أجرتها كلية هارفارد للطب في بوسطن، إنه بينما يتجول المرء داخل المتجر وهو يفكر هل يشتري تفاحاً أو برتقالاً، تبدأ مجموعة من الخلايا العصبية في المخ تصنيف كل نوع من الفاكهة حسب قيمتها.

فقد توصل فريق بحث برئاسة كاميلو بادوا- شيوبا وهو باحث من هارفارد إلى هذه الخلايا العصبية بعد إجراء العديد من التجارب العملية على مجموعة من القردة تم إعطاؤها كميات مختلفة من نوعين من عصير الفاكهة، وأتيح للقردة في البداية فرصة الاختيار بين قطرة من عصير العنب، وقطرة من عصير التفاح، وبالطبع لم يكن الوصول لقرار بالشيء الصعب، حيث إن القردة تحب العنب. وفي التجربة الثانية تم تقديم قطرتين من عصير التفاح وقطرة واحدة من عصير العنب، ولم يختلف الاختيار هذه المرة عن السابقة، وبدأ التردد على القردة فقط عندما وجدوا أنفسهم في محل اختيار بين ثلاث قطرات من عصير التفاح وقطرة واحدة من عصير العنب.

وعند الاختيار بين أربع قطرات من عصير التفاح وقطرة من عصير العنب وقع اختيار القردة على الكمية الأكبر، حتى وإن لم تكن المفضلة، لذا توصل الباحثون إلى أنه بالنسبة للقردة كانت قيمة ثلاث قطرات من عصير التفاح تساوى قيمة قطرة واحدة من عصير العنب.

وانتهى هؤلاء الباحثون إلى أن ثمة خلايا معينة في اللحاء الخارجي المبطن لمراكز الإدراك الأمامية في المخ نتج عنها رد فعل نشط عندما واجهت القردة شيئاً له قيمة كبيرة مثل قطرات عصير التفاح الثلاث.





سر بخار الماء في غلاف «زحل»

كشف علماء أوروبيون عن سر وجود آثار مياه في الطبقة العليا من الغلاف الجوي لكوكب زحل والذي يشغل علماء الفلك والأحياء منذ 14 عاماً.

فقد أكدت وكالة الفضاء الأوروبية «ايسا» أن الصورة التي التقطها تلسكوب «هيرشل» الفضائي الأوروبي تبين أن بخار الماء الصاعد في الغلاف الجوي لزحل ناتج عن سلسلة من النافورات الموجودة في المنطقة القطبية الجنوبية لقمر «اينسيلادوس» التابع لزحل والذي ينبعث منه نحو 250 كيلوغراماً من الماء كل ثانية ليكون بذلك القمر الوحيد المعروف للعلماء في النظام الشمسي الذي يؤثر على التركيبة الكيميائية لكوكبه الأم.

وقال العلماء إن بخار الماء يتصاعد على شكل حلقة حول زحل، وحسب أحدث التقديرات فإن ثلاثة إلى 5 % من كميات الماء المتصاعدة من قمر «اينسيلادوس» تصل إلى الغلاف الجوي لكوكب زحل.

ووفقاً لباول هارتوج من معهد ماكس بلانك الألماني لأبحاث النظام الشمسي: «ليس هناك شيء شبيه بذلك على وجه الأرض، وأن السبب وراء تأخر الكشف عن هذا الماء أنه غير ظاهر للعين البشرية وأن الأشعة تحت الحمراء لتلسكوب «هيرشل» هي التي جعلت هذا البخار مرئياً».

ويعتبر «هيرشل» أكبر تلسكوب يتم وضعه في الفضاء حتى الآن وتم إطلاقه عام 2009 ويحمل اسم عالم الفلك الألماني فريدريش فيلهلم هيرشل الذي ولد عام 1738 وتوفي عام 1822.

قياس تمدد الكون



تمكن الباحثون من قياس «ثابت هابل» بنسـبة من عدم اليقينيـة تقل عن 5 %، وذلك باستخدام مقياس لعناقيد المجرات التي تم مسحها بجانب بعض المعلومات الأخرى المستمدة من ملاحظات للبدايات الأولى للكون، ويستمد هذا العمل الجديد بياناتـه من مسـح أجري علـى أكثر من 125 ألف مجرة.

فقـد تمكـن الدكتور فلوريـان بوتلر الباحـث بالمركز الدولي لبحـو ث الفلك الراديوية بمدينة بارث بغرب أسـتراليا مـن إنتاج واحد من أدق القياسـات التي تم إجراؤها عن سرعة تمدد الكون، حيث نجح في حسـاب معدل تمدد أو اتسـاع الكـون عن طريق قيـاس «ثابت هابل»، الـذي يعد، على حد قـول الباحث، الرقم المفتـاح في علـم الفلك، لأنه يسـتخدم لحسـاب حجم وعمر الكون، حيث يأخذ الكون في التمدد أو الاتسـاع، جارفاً معه المجرات الأخرى بعيداً عن مجرتنا.

ويعمل «ثابت هابل» على إحداث نوع من الربط بين سـرعة تحـرك الموجات ومدى بعدها عن مجرتنا من خلال تحليل الضوء القادم من مجرة بعيدة، ووجد أنه من السهولة بمكان قياس سرعة واتجاه المجـرة، وأن تحديـد بعد مجـرة ما عن الأرض هو أمر أكثر صعوبة، وحتى الآن فقد تم إجراء ذلك بملاحظة درجة لمعان أجسـام أو أشياء معينة داخل المجرات، واسـتخدام كل ما نعرفه عن ذلك الشيء لحساب مدى بعد المجرة الموجود بها هذا الشيء عن الأرض.

وقد بنـي هذا المنهج المسـتخدم في قياس بعد مجرة ما أو المسافة بينها وبين الأرض، على بعض الافتراضات العلمية المسـتقرة، إلا أنها تكون عرضة لأخطاء نظامية، مما ألجأ الباحث بوتلر لمحاولة التغلـب على هذه المشـكلة باسـتخدام وسـيلة مختلفـة تمامـاً، حيث اسـتمد بياناته من مسح تم بواسطة التليسكوب البريطاني «شميت» - الموجود في شرق استراليا – أجري على أكثر من 125 ألف مجرة، سـمي مسـح المجرة السادسة، وهو يمثل أكبر مسـح يجري حالياً على المجـرات القريبـة نسـبياً مـن مجرتنا الموجود بها المجموعة الشمسية وكوكب الأرض، حيـث يغطي ما يقرب من نصف مساحة السماء، ومن المعروف أن مجرات الكون غير موزعة بالتسـاوي داخل حيز الفراغ الكوني، ولكنها تشكل عناقيد.

بنكرياس اصطناعي لأطفال السكري

قـال باحثـون مـن جامعـة كمبريـدج البريطانية إن البنكرياس الاصطناعـي يمكـن أن يسـتخدم لتنظيم معدلات السـكر في أجسـاد الأطفـال المصابين بالنوع الأول من السكري.

وبينت تجارب مختبرية أن دمج مجس حقيقي يقيس معدل السكر مع مضخة تعطي جرعات من الأنسولين يمكن أن يحسـن على نحو فعال من درجة ضبط وتنظيم معدلات السكر في الجسم.

وأظهـر البحـث، الـذي نشـرت مقتطفـات منـه في مجلة لانسـيت الطبيـة الشـهيرة، أن الجهـاز الجديد سـيقلل بشـكل ملموس من الانخفاضـات الحـادة الخطيرة في معدلات السكر بالجسم.

واعتبـر الباحثـون هـذا الجهاز خطـوة مهمـة فـي طريـق إيجـاد علاجات فعالة ضد مرض السكري.

يذكر أن النوع الأول من السـكري يسـمى بـ «سـكر الأطفال»، ويعتمد علاجه مدى الحياة على الحقن يومياً بالأنسولين، حيث يفشل البنكرياس في إنتاج الأنسـولين اللازم لضبط وتنظيم معدلات السـكر في الجسم. أما النوع الثاني من السكر فيوصف بـ «سـكر الكبـار» ويأتي في سـن متأخـرة ويعتمـد علـى العـلاج بالعقاقيـر، وأحيانـاً يضـاف إليها الأنسولين في الحالات التي لا يمكن السيطرة على ارتفاع السكر لديها.

وقال رئيس فريق البحث الدكتور رومان هوفـوركا إن هـذه هي أول دراسة تظهر أهمية جهاز البنكرياس الاصطناعـي باسـتخدام مجسـات ومضخات متوافرة بشـكل اعتيادي في السوق التجارية.

حفرية صينية
عمرها «160» مليون سنة

أُعلـن مؤخـراً عن اكتشـاف حفرية محفوظة بحالـة ممتازة، في شـمالي شـرق الصين، وقـدر الخبـراء عمرها بنحو 160 مليون سنة، وتقدم الحفرية معلومـات جديـدة عـن الآبـاء الأوائل لسـلالات الثدييات الموجودة حالياً في العالم.

ووفقـاً للمعلومـات المذكـورة في الورقـة البحثيـة التي نشـرت بمجلة ناتشـر، عدد أغسـطس/آب الماضي، فإن هـذه الحفريـة تمثل لبنـة جديدة وأساسـية في تطـور الثدييات، حيث يرجع عمرها إلى 35 مليون سـنة أبعد مما كان يعتقد من قبل. ويرى الباحثون أن اكتشافها يسد حلقة كانت مفقودة في سجل الحفريات، مما يساعد في معايرة الوسـائل الحديثـة المبنية علـى تحليل الحمـض النووي لتأريخ عملية النشـوء والتطور.

ويصف زيكسـي لو، رئيـس الفريق البحثـي الصينـي مـن متحـف كاميجي للتاريخ الطبيعي، الحفرية المكتشـفة، والتـي كانت تعيش بهذ المنطقة منذ 160 مليون سـنة خلال العصر الجوراسـي، بأنها أقـدم حفرية معروفة فـي التاريخ الآن تنتمي لمجموعة الثدييات المشـيمية التي تمد الصغار غير المولودين بالتغذية عبر المشـيمة،وتمد الحفرية المكتشـفة حديثا الباحثين في مجال الحفريات وفقا للباحـث لو بدلائـل علمية علـى تاريخ الثدييـات المشـيمية وبدايـة اختلافهـا عـن الثدييـات الأخـرى. هـذه الحفرية تم اكتشـافها في مقاطعـة لياونينغ في شـمال شـرق الصين، وتـم فحصها في العاصمة الصينية بكين بواسـطة العالم زيكسـي لو وزملائه بكل مـن الأكاديمية الصينية للعلـوم الجيولوجيـة، متحف التاريـخ الطبيعي ببكين.ويعد فهم نقطة البدايـة للثدييات المشـيمية كما يقول لو من القضايا المهمة والحيوية في دراسـة حقبـة كل الثدييـات وكيفيـة نشـوئها، عندما يتفرع أصل أحد الأجداد إلى فرعين يحملان صفات وراثية مختلفة، وقد أثبت برهان تحليل الحمض النووي أن الثدييات المشيمية كان يجب أن تكون واضحة في السـجل الحفري للمراحل السـابقة، عن الفترة التي تمتد لحوالي 160 مليون سنة مضت. وكان تاريخ أقدم حفرية مسـجلة من قبـل عن الثدييـات المشـيمية يعود إلى 125 مليون سـنة مضت، ولذلك فإن اكتشاف الحفرية الجديدة يساعد على ملء هذه الفجـوة الزمنية المهمة في السـجل الحفري، وتضع أساسـاً جديـداً لتاريخ النشوء والتطور.

حساب السعرات الحرارية
بجهاز «الآي فون»



هل تشـعر بالقلـق بخصـوص عدد السـعرات الحرارية في هـذه القطعة من البيتزا أو الشوكولاتة أو كيس البطاطس المحمرة هذه؟ يمكـن لتطبيق جديد على جهاز الآي فون تقديم المساعدة:

بعد التقاط صورة للوجبة باستخدام الهاتـف المحمـول يقدم التطبيـق قائمة بالسـعرات الحرارية على الفور تقريباً، فقـد طورت الشـبكة الاجتماعية للحفاظ على اللياقـة البدنية ديلي بيرن التطبيق الجديد وتطلق عليه اسم «ميل سناب».

وسبق لديلي بيرن أن أعدت تطبيقات أخرى علـى الآي فون متعلقـة باللياقة البدنيـة والحميـة، وخـلال دقائق من التقاط صـورة للوجبـة ومطابقتها مع قاعـدة بيانات لنحـو 500 ألف نوع من الطعـام يرسـل التطبيق رسـالة بعدد السـعرات الحراية في الوجبة التي جرى تصويرها.

وقال أندي سـميث الرئيس التنفيذي لديلي بيرن «قاعدة البيانات يمكنها سريعاً التعـرف على الطعـام وعدد السـعرات الحراريـة بـه مـن كل مـن البروتينات والدهون والكربوهيـدرات والفيتامينات وكل ما تريد أن تعرفه».

بعد «١٠ سنوات» من التجارب المعملية:

علاقة مؤكدة بين الهرمونات الاصطناعية الأنثوية وسرطان الثدي

في دراسة حديثة بمجلة نيتشر، أثبت فريق بحثي من المعهد النمساوي للبيوتكنولوجي الجزيئية العلاقة بين الهرمونات الصناعية التي تتناولها النساء لضبط الهرمونات أو منع الحمل وبين الإصابة بسرطان الثدي.

ويقول أحد الخبراء انه برصد أحد المحركات الجينية المهمة في الجسم وهو البروتين RANKL وجدنا أن له وظائف متعددة في الجسم، فهو في الأصل له دور في تنظيم عمليات الإحلال والتجديد للخلايا العظمية تكسير الخلايا العظمية، إلا أنه في حالة تعرض الجسم لخلل ما، فإن ذلك يؤدي لزيادة إفراز البروتين، وبالتالي زيادة معدل تكسّر الخلايا العظمية وإصابة الشخص بالهشاشة.

وعلى نفس المنوال، فقد ثبت أن هذا البروتين له دور وظيفي في إدرار اللبن وتكون الخلايا بالثدي، وبرصد التجارب على الفئران لوحظ أنه بمنحها جرعات من الهرمونات الأنثوية الاصطناعية، والتي غالباً ما تعطى في حبوب منع الحمل، تبين أن الهرمونات تزيد من معدل إفراز بروتين RANKL مما يؤدي لتكاثر خلايا الثدي من دون توقف وتكون الورم.

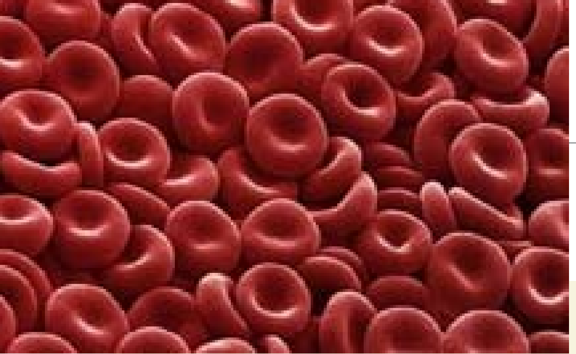
من ناحية أخرى، وبناء على نفس الدراسة نجح فريق بحثي آخر في تأخير تكون أورام بالثدي، بتصنيع مركب كيميائي يوقف تكون بروتين RANKL مما يؤكد العلاقة بين تكاثر البروتين وتكون أورام الثدي، كما وجد أن هذا المركب يوقف أيضاً من تكون أورام ثانوية في الرئة.

ووفقاً لما يقوله الدكتور جوزيف بنينجر رئيس معهد البيوتكنولوجي الجزيئية فإن الأبحاث التي نشرت أخيراً استغرقت أكثر من 10 سنوات لإثباتها، وسيكون لها تأثير بالغ على صحة النساء حول العالم واللاتي يعتمدن على الهرمونات الاصطناعية لأسباب مختلفة خلال حياتهن.

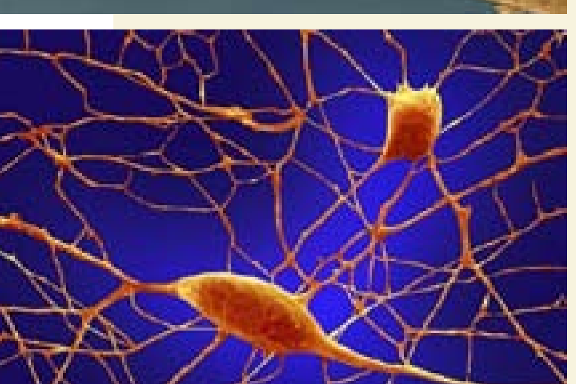
أما الدكتور دانيل شراميك رئيس الفريق البحثي فقال إن هذه النتائج البحثية يجب أن تتبعها دراسات أخرى في العالم لتأكيدها، كما نأمل في المستقبل القريب أن ننتقل من تجاربنا على الإنسان للتأكد من فاعلية العلاجات التي توقف تكاثر البروتين RANKL.

وتعقيباً على هذه النتائج، تقول الدكتورة رباب جعفر رئيس قسم طب الأورام بالمعهد القومي للأورام بجامعة القاهرة إن فرضية العلاقة بين الهرمونات الاصطناعية وتكون أورام الثدي قديمة، وكانت هناك صعوبة لإثباتها علميا، وبشكل عام فإننا غالباً ما ننصح السيدات بضرورة عدم الاعتماد على حبوب منع الحمل لمدة تزيد على الخمس سنوات، وأن يتم استبدالها بوسائل أخرى لتنظيم الأسرة، أما في حالات ما بعد انقطاع الطمث التي تحتاج لتعويض هرموني، فننصح السيدات بتناول الهرمونات بجرعات قليلة وتحت الإشراف الطبي.









لقطات تحت المجهر

كل هذه الصور تم تصويرها باستخدام مجهر المسح الإلكتروني، بمقاس من 1 إلى 5 nm نانومتر.

1- خلايا الدم الحمراء

إنها تبدو مثل حلوى الأطفال هنا، ولكنها في الواقع النوع الأكثر شيوعاً من خلايا الدم في جسم الإنسان، خلايا الدم الحمراء (كرات الدم الحمراء). هذه الخلايا مهمتها حمل وتوزيع الأوكسجين إلى الجسم بأكمله، في النساء هناك ما يقرب من 4 إلى 5 ملايين كرة دم حمراء في المليمتر المكعب من الدم، وحوالي 5 إلى 6 ملايين في الرجال، أما أولئك الذين يعيشون على ارتفاعات أعلى فيكون عدد كرات الدم الحمراء لديهم أكبر بسبب انخفاض مستويات الأوكسجين في بيئتهم.

2. طرف شعرة إنسان

ليست قضيباً من آراك أو عصى منكسرة، بل هي نهاية شعرة إنسان متشققة، والقص الجيد للشعر والتنظيف المستمر يساعدان على منع هذه الصورة الموحشة لتشقق أطراف شعرة الإنسان.

3. الخلايا العصبية

يحوي الدماغ البشري 100 بليون خلية عصبية، وهو المسؤول الرئيسي عن تنسيق العمليات ونقل الأوامر داخل جسم الإنسان، لكن التعرض للمواد السامة مثل الكحول والليثيوم، وأمراض المناعة الذاتية، والطفرات الوراثية بما في ذلك مرض التوحد «الذاتوية Autism» وأمراض الأعصاب، يمكن أن تؤثر سلباً على الخلايا العصبية البشرية.

معركة كونية.. أم لوحة فنية؟



الاصطدام بين مجرتنا وجارتها اندروميدا

تقع هاتان المجرتان المتميزتان بعيداً وراء مجرتنا «درب التبانة»، على مسافة تقدر بأكثر من 300 مليون سنة ضوئية، ويعود سبب مظهرهما المشوه إلى المد الجانبي، حيث إنهما اتخذتا قراراً نهائياً بالدخول في مواجهة كونية.

وقد اقتربت نقاط التماس من بعضها البعض، فالمسافة بين مركزي المجرتين اللامعتين حوالي مائة ألف سنة ضوئية، وتبدو المجرتان المصنفتان تحت اسم as Arp 273 و(UGC 1810) غريبتين، لكن أصبح مفهوماً حالياً أن هذه المجرات المتفاعلة شائعة في الكون، ومن المعروف أن المجرة اللولبية الكبيرة القريبة من مجرتنا والتي تسمى «اندروميدا» أو المرأة المسلسلة تبعد حوالي 2 مليون سنة ضوئية، وهي تقترب منا، حيث سيجري اللقاء في المستقبل البعيد.

ونظراً لاستحالة تصوير هذه المعركة، فقد قام العلماء باستخدام الكمبيوترات الفائقة «سوبر كمبيوتر» لعمل محاكاة أو تمثيل لهذا الاصطدام، ويمكن أن تؤدي التقاءات أو تصادمات المجرات إلى الاندماج ضمن مجرة واحدة.

وقد تزامن نشر هذه الصورة المذهلة مع الاحتفال بالذكرى 21 لإطلاق التلسكوب الفضائي هابل إلى المدار.

تجدر الملاحظة أن النجوم في مقدمة هذه الصورة الكونية الحادة موجودة داخل مجرتنا درب التبانة.

هذا مقام الصابرين

لكَ ما تريدُ
أكتبْ وصيتك الأخيرةَ
لي سؤال واحدٌ
مَنْ ذا سيقرأُ ما ستكتبُ ؟
لا تخفْ
قُل ما تُريدُ
بيَدٍ أثار رُعاشها
صمت القبورِ
وجوقة التهليلِ
حاول أن تكون محايدًا
في ما ستكتبُ
وابتسمْ
في وجه مَنْ سرقَ النهارَ
وباع أحلامَ البطولةِ
واقتسمْ خبزَ الختامِ
وكأسك الّلا بعدها
مع مَنْ يُتاجر في دموعِ الأبرياءِ
اقرأْ كتابكَ
عَلّهُ سيكون آخرَ
ما سيحملُه البريدُ !

●●●

هذا نُثارُ دماكَ
فوق أجندة الأيامِ
وجهتُكَ السّرابُ
وطعمُ أيامِ الأسى مُرٌ
وعيدُكَ ؟
لم يعُدْ يأتيكَ عيدُ !
وطنٌ بلونِ الحزنِ
يسكنُ أُفْقَنا
وسلاسلُ اليأْسِ المحيطِ تَغُلُّنا
والظامئون – الآنَ دونَ إرادةٍ –
لعقوا الترابَ – نكايةً –
مات الوليُّ

●●●

هذا مقام الصابرين
فهُزّ جذْعَ النخلةِ العجفاءِ
أيقظْ قلبها
واسقِ العروقَ من الدموعِ
لعلها
– يوماً –
تساقط فوقَ رأسكَ
ذلك الرُطَبَ الجني
فتعلن البعثَ الجديدَ
ويُفتَحُ
البابُ
الوصيدُ !.!.!

———————

أشرف محمد قاسم
البحيرة- مصر



متاهات المصير

يا آبتي لا نعلم شيئاً
عن مصائرنا
بل نذهب إليها
كما السائرين
نعبر الطريق
كما العابرين
نعشق الحياة أكثر من العاشقين
يا آبتي لا نعلم شيئاً
عن مصائرنا
بل ندفع إليها صاغرين
نمشي في الطريق كالعابرين
الطريق شاق وطويل
نمشي حيناً
و نحبو أحياناً
كأطفال ضائعين
نلامس عري البعيد
بروءانا إذا لم نلمسه
هوينا ساقطين
يا آبتي لا نعلم شيئاً
عن مصائرنا
بل نذهب إليها
كما السائرين
لا ندري عنها شيئاً
بل نُرمى إليها
و نحن غير منتبهين

محمد العزوزي - المغرب

هكذا نبني أوطاننا

قد آن الأوان أن ننبذ الجمود والفكر المتشدد، وأن نستلهم من الحالة الثورية والحراك الشبابي صوب الحرية أشياء ومعاني النهضة، نعم نهضة مصر والعالم العربي الذي يستحق منا أن نعليه صوب الصدارة، فالأمة العربية قوة لا يمكن أن يستهان بها، لأنها قلب العالم بما تحمله من ثروات وطاقات وعقول وعلماء. وإصلاح المؤسسات الثقافية والفكرية والعلمية هو الطريق الحقيقي للتحول وامتلاك ناصية طريق النهضة، وعلينا أن نتحد وأن يشارك بعضنا بعضاً، وأن تتكامل الدول العربية اقتصادياً وفكرياً، فعودة البناء لا تأتي سوى بالتعاون ووضع الأيدي على بعضها البعض فقضيتنا واحدة وهمومنا مشتركة ولن ننهض سوى بالمشاركة والتآزر والانفتاح بيننا، وأن تكون أهدافنا واضحة وأن تكون ثقافة الحرية المسؤولة والمواطنة الصالحة والإعلام الهادف وسائل لبلوغ الأهداف، فمن يملك أدواتنا وإمكاناتنا لا يمكن أن يتخلف عن الركب الحضاري والإنساني.

لقد هدمت ثورات الوطن بنايات الفساد، فمتى نهدم بنايات الانشقاق والفرقة والعزلة والتبعية للآخر والأفكار المتحجرة والتأخر عن نداء الحراك الإنساني العالمي، التكامل بين أقطارنا ضرورة، فقوتنا في صناعة قوة اقتصادية وسياسية تفرض إرادتنا وتؤازر قضيتنا وتحافظ على هويتنا وتصنع المهابة الحقيقية في عيون أعدائنا، هكذا نصنع أمجادنا ونبني أوطاننا، وتلك هي دلائل الحرية الحقيقية التي نرنو إليها وتبحث عنها شعوبنا العربية، الثائرة هنا وهناك شرقاً وغرباً، وليتنا ندرك هذه الحقيقة التي نرجو ألا تغيب عنا!

إيهاب أحمد زغلول - مصر

سلام لأرض الوطن

سلام لأرض الوطن
بعد غياب وشجن
«اسمرا» يا قبلة العرسان
ومهجة كل زائر
اعذريني إن طال البعاد
وللأسفار شتى المقاصد
يا قمرية تضاء لها الشموع
في كل عام
يا سوسن حبنا ويا فخرنا
في حبك ذاب كل العشاق
يا فاتنة يا عروس المصايف
زرت مدن العالم فلم أجد
مثلك في البساطة والأناقة
يا أخت روما يا عروس المدائن
أبدع الخالق في صنعك
يا رمز الإريتريين من كل المشارب
رعى الله هذه البلاد
من مكر كل حاسد

محمد أحمد عامر - جدة

أسلحة الدمار الشامل

كان الدكتور أمجد لا يعي التضاريس المجتمعية القروية، وتردّي الوعي الصحي لشيوع الأمية والسذاجة، مما يجعل أهلها فريسة لذوي النفوس الخبيثة، فلا عجب أن ينصرف أكثر أهالي القرية عنه إلى «د. أسامة»، لأنه كما شاع بينهم: «جدّ وبيكتب روشتة، يعني دكتور بحق وحقيق». وما أكثر الدجالين في ريفنا، الذين يبيعون الوهم فيصدقهم المغفلون، فليس هناك من يحقق ويدقق، وآهٍ حينما يمد المخلصون أيديهم لتعانق البسطاء الفقراء فلا تجد من معظمهم غير اللامبالاة والإعراض.

وبرغم أن «د. أمجد» يمارس الطب كهواية وغواية إلا أنه احتار مع أصحاب تلك العقول الراكدة وذوي الأفكار المحنطة.. كان كثيراً ما يسمع من بعض زبائنه - إذا نصحهم بالاعتدال في الطعام تحاشياً لمرض السمنة - تلك الجملة الممقوتة: «الكرش عزّ يا دكتور» وخاصة من هذه القلة الثرية المدججة بالأمية، فينصحهم بأسلوبه الفكه، مؤكداً أن الطفل المصري أذكى طفل في العالم حتى سن السادسة.. ولكن سرعان ما يتبدد هذا الذكاء تحت ضربات أسلحة الدمار الشامل.. فول وطعمية ومحاشي وفتّة، ولكن لا حياة لمن تنادي.

ويسطع سؤال مثير في خاطره: لماذا هذا التناقض السلوكي مزدوج الضرر، «فدرهم وقاية خير من قنطار علاج»؟!

محمد السعيد مصطفى الشيخ - مصر



بالأبيض والأسود

وأنت متكئ على شرفة
الماء
شبه يقظان
تفتكرُ رجلَ التلغراف
في أفلام الويسترن
بالقميص الأبيض
كلمعة نسيان

بكُمّي ذراعيه الأسودين
بالعدسة المقعرة
تتقرّى ما خطّته الذبذبات
بالصمت الجهير كأرجوحة
مروحة سقف بيت مهجور
تفتكرُ...
شبه سكران

فتهفّ إليك طفولة
في أتم زينتها
كتدويرة قمر..
تحفّك الفراشات
ويشعشع في دمك
ضوء البدايات

عبدالعالي دمياني - المغرب

ليلة مرض سعيدة

هذه هي المـرة الأولى التي أمرض فيها مرضاً يقعدنــي عن الحركة ويعتصرني الأمل اعتصاراً، وأشـعر وكأن كل عضو من أعضائي يشـكو ويألم، ارتفعت درجة حرارتي، ورأسي يكاد ينفجر من شدة الصداع ولم أعد أشتهي شيئاً من أنواع الطعام والشـراب فقد تحول طعم الطعام والشـراب إلى مرارة تعلق بحلقي كنت أترنح في فراشي ولا أستطيع مفارقته من كثرة الإعياء، حتى كان الفراش قد تحول إلى لفحة من النار تحتي، عندما فشلت كلّ محاولتي أن أسرق بضع دقائق لأنامها بغية الراحة من التـأوه والألم، وصف الطبيب لي عقاراً لأتمكن من النوم قهراً، تناولته في لهفة فلم أشعر بعده بشيء من حولي. حتى استيقظت وأنا أمسك بقطعة القماش المبللة التي وضعتها زوجتي فوق رأســي لتخفف شيئاً من درجة حرارة جسمي الملتهبة.. أخذت أفرك عينيّ وأتفحص الحجـرة من حولي، كومة من الأدوية بجواري وليس بالحجرة إلا صوت زوجتي سـاجدة تبكي وتدعو بدعاء ما أظنني سـوف أنساه ما حييت لأنه كان يعكس صفاء نفسها وشفقتها ووفائها لزوجها كانت تقول في خشوع : «اللهم إن هذا زوجي وأبي وأخي وقد مسّــه الضر فأكشف ضرّه وعافه وأنت أرحم الراحميــن» تكرر الدعـاء دون ملل وتلحُّ على الله الرحيم في خشـوع ودموع حتى خلتني أسمع قلباً ينطق بشفتين.. تركتها حتى انتهت من صلاتها.. راحت تقترب من فراشي وهي تمسح بيد دموعها ويدها الأخرى قد وضعتها على جبهتي لتطمئن على درجة حرارتي.. انفرج ثغرها عن ابتسـامة مشفقة حنونة وقد رأتني قد صحوت من نومي قائلة : إنك بخير لقد طمأننا الطبيب الذي يباشـرك ولقد دعوت الله لك وكلّي ثقة أن الله لن يرد دعائي ولن يخزينا فيك أبدا، سقطت من عيني دموع ما استأذنت، ولم أدر إذا كانت تهطل بسـبب ما قرأته في وجه زوجتي من خوف ولهفة أم بسـبب وفائها ودعائها ورقتها ؟ أم هما معاً.. قلت لزوجتي لقد استجاب الله دعاءك حقاً، فما عدت أشعر بشيء مما كان يلازمني من ألم، ربما لأنكِ استخدمت سلاح المؤمن فدفع الله بـه الكـروب وحقق المطلوب، لقد ناجيت ربك بجوف الليل ووقت السـحر ولقد سئل النبي عليه الصلاة والسلام «أي الدعاء يُسمع قال جوف الليل ودبر الصلاة».

مـا ألذ وأجمـل المرض الذي يقرب الإنسـان من ربه، فتفعل بـه أيام المرض ما لا تفعله سـنوات طويلة من الزهد والعبادة، فيرى الأشـياء علــى حقائقها فاذا هو ضعيف مستكين يطلب الرحمة كل لحظة من ربه، والقرب والشفقة من أحبابه.

محمد أحمد عبد القادر محمد - مصر

تناهيدُ من زمنٍ آخر

ثـمّـةَ لـيـلٌ..
يُقـاسمني (رغبتي بالبكاء)،،،
فأُورقُ ظلاًّ.. على شاطئ الجرح ،،
أرنو إليّ... وأقرأُ صمتَ النوافذ
أذكُرُ أني تجرّعتُ قافيةً من حنين..
وقلّبتُ ذاكرتي ذاتَ بوح
ثُم انطلقتُ إلى غـايةِ البؤسِ
مشياً على اللامكـان..
أُسافرُ نحو الخُـرافـات
علّي أراها هُـناكَ كعادتها
تلتقي بالغُروب،،،
وأسرفتُ في التَيه
لكنني بعدَ طُـولِ ارتحـال..
أنختُ خُطاي.. وأنصّتُ للرمل ،،
كان يدندنُ من بعض أسرارنا!!
تناهيدنا في مهّبِ الورق!!
تذكّرتُ لهفتها للحديث..
فأدركتُ أن الغياب احترق..
فأدركتُ أن الغياب احترق

محمد مشهور - اليمن

الفهم البشري وتساؤلات الواقع

أباعتباره يقع في المنطقة الباردة من التجاذب المعرفي والفلسفي، يكون المسار النقدي للفهم البشري إزاء النص الديني أمراً يتسم باليسر والسهولة أكثر منه الخوض فيما هو أعلى منه رتبة، كفكرة «تاريخية النص الديني»، والتي لايزال النقاش حولها مفتوحاً وغير محسوم، أسوة بمفاصل عديدة يظل التفكير معها في لهاث مفتوح للبحث عن كنوز الحقيقة، الأمر الذي يستدعي التفريق ما بين «النص الديني» و«الفهم البشري له»، ليس في المعالجات أو الأمور الطارئة التي يفرضها الواقع المتغير فحسب، بل في بدايات التأسيس للنقد المعرفي باعتباره نقطة انطلاق ماراثونية بين الإنسان والوجود، بمعنى أن الجهد البشري على مرّ التأريخ لا يمكن مناقشته بمنأى أو معزل عن الواقع أو البيئة أو حتى الظرف الذاتي والاجتماعي للإنسان نفسه.

فالأحكام الفقهية مثلاً تتغير بتغير الظروف، والمفاهيم هي عرضة للتبدل والتطور حسب حاجات الواقع ومتطلباته، كذلك الفهم البشري الذي يتملك من القابلية للتجدد والتطور، وهذا ما يتمظهر في اختلاف النظرة والحكم بين المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء والمجتهدين، ليعطي الضوء إلى شرعة تتسق وطبيعة متغيرات الزمان والمكان، فالانتصار للواقع وما يختزنه من مضمون مؤثر، هو بحد ذاته تجلٍ للكوامن الفكرية المتجددة، الصادرة عن دوافع حاجة الإنسان وتفاعله مع الحياة بكل تفاصيلها الحيوية، لأن أي إهدار للواقع الجديد هو بالضرورة إهدار للإنسان وإبداعاته المتنوعة والمتعددة.

علي آل طالب - السعودية

نهر الحب

«الحب».. قيمة سامية يعلو بنا كبشر إلى أعلى مراتب الحياة، يحولنا إلى فراشات تعشق الحرية.. يقرّب المسافات بين الأحباب، يمحو الظلام، ويأتي بالنور.

كل البشرية اتفقت على أن حب الله أعظم وأطهر حب، وحب الوطن أشرف حب، وحب الإنسانية أسمى حب، وبالتالي.. فالحياة على كوكب الأرض دون حب لا طعم لها، ولا لون، ولا رائحة.. تمتلئ بالمشاكل والآلام.. والكره والخيانة.

فتعالوا نجعل من الحب دستوراً لحياتنا.. لكي نحيا.

تعالوا.. نحول الحب إلى هدايا توزع على قلوبنا، ننثره في دروب أعمارنا.. لكي نتحول به إلى كائنات تهزم الاستسلام.. ونصبح أكثر قوة، وصلابة، وإيماناً.

الحب وحده.. يعيد إلينا طعم العمر، وطهارة الإحساس.. يهدينا الزهور حتى في مواسم الخريف.. هو طوق النجاة من كل المشاكل.

كثيرون عاشوا ورحلوا دون أن تنفتح قلوبهم للحب - آهٍ - ما أتعسهم!!

فتعالوا جميعاً نترك هذا النغم يطرق قلوبنا بلا موعد، وبلا قيود.

ملايين البشر قبلنا أحبوا.. ووقفوا حيارى أمام وصف جمال هذا النغم - المهم أنهم أحبوا.. وفتحوا قلوبهم لعطر الحب.. سافروا به إلى موانئ العشق والوفاء.. فعاشوا أجمل أيام العمر.

«الحب» أجمل ما منحه الله لنا.. فعندما نحب نطير إلى مدن لم نكن نحلم بها بعد.. نمسك نجوم السماء بقلوبنا.. أحلامنا، وأمانينا المستحيلة تولد على يديه.. هو بحر من العشق تعالوا نذوب فيه.. تعالوا نحتمي به من غدر الأيام.. دعوه يعلمنا الطاعة، والكبرياء، والحنان، والتسامح.

عمر الوفدي - الفيوم - مصر

مقطوعتان

بين البحر و المطر

يَا كَمْ أَقُوْلُ : الْبَحْرُ قِصَّةُ عَاشِقَيْن ،

أَنَا بَرَاءٌ مِنْ دَمِ الْحِيْتَان ،

لَكِنِّيْ كَسِيٌّ بِالرِّمَال ،

مُبَلَّلٌ بِالْمِلْحِ وَ السُّفُن

الَّتِيْ لاَ تَهْتَدِيْ فِي فِتْنَةِ الظُّلُمَات ،

أَنْتَ تَرَكْتَنِيْ فِي الشَّطِّ مُنْفَرِدًا ،

فَيَأْتِي الْمَوْجُ يَقْطَعُ عُزْلَتِيْ ،

وَيَقُوْدُنِيْ نَحْوَ التَّوَحُّشِ فِيْ مَرَايَا الْغَيْم،

أَشْهَدُ مَا جَرَى ،

وَأَعُوْدُ قَدْ تَاهَتْ عَلَى كَفِّيْ سُؤَالاَتُ الْمَطَرْ !

اختيارات

لَكَمْ أَخْتَارُ :

نِصْفَ الضَّوْءِ/

نِصْفَ الْحُلْمِ /

نِصْفَ الْغَيْثِ /

نِصْفَ الشِّعْرِ

...

كَمْ أَخْتَارُ

ثُمَّ لاَ أَجِدُ الَّذِيْ أَخْتَارُهُ أَبَدًا !

أحمد عايد / السُّويس - مصر

إحراج اللسان وحسن التخلص

صعد أبو العنبس منبراً من منابر الطائف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد.. فأرتج عليه. فقال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: لا. قال: فما ينفعكم ما أريد أن أقول لكم، ثم نزل. فلما كان في الجمعة الثانية صعد المنبر، وقال: أما بعد.. فأرتج عليه. قال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: نعم. قال: فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم، ثم نزل. فلما كانت الجمعة الثالثة قال: أما بعد.. فأرتج عليه. قال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم: قالوا: بعضنا يدري والآخر لا يدري. قال: فليخبر الذي يدري منكم الذي لا يدري. ثم نزل.

ابن عبد ربه، «العقد الفريد»، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م.

جحا الألماني

في ألمانيا شخصية خرافية تدعى «هاولغلاس» تشبه شخصية جحا في الآداب العربية. وفي إحدى المرات ذهب هاولغلاس إلى براغ، ونشر إعلاناً على باب إحدى الكنائس يقول فيه إنه مستعد للإجابة عن أي سؤال مهما يكن صعباً. فأخذوه إلى الجامعة، وهناك وقف عميد الجامعة يسأله أمام الطلاب: ما مقدار مياه البحار، فأجاب: أَبْطِل حركة الأمواج وأنا أقيس لك مقدار مياه البحار. ثم عاد يسأله: كم عدد الأيام منذ خلق آدم؟ فقال: سبعة أيام مضاعفة. فقد مرت على خلق آدم سبعة أيام، ولما انتهت بدأت سبعة جديدة، وهكذا، وستظل الحال على هذا المنوال حتى نهاية الزمان. وعاد العميد يسأله: أين مركز الأرض؟ فقال: هنا في هذا المكان، وإن لم تصدق فما عليك إلا قياس الأمر بحبل طويل.

عبد الستار فراج، «أخبار جحا»، القاهرة: مكتبة مصر، د.ت.

الجدي والصيام

دخل جنادة بن أبي أمية على معاوية وهو يأكل فدعاه معاوية إلى الأكل، فقال: أنا صائم. فلم تزل ألوان الطعام تختلف بين يدي معاوية حتى جيء له بجدي سمين مشوي، فقال جنادة: ليأمر لي أمير المؤمنين بماء أغسل يدي وآكل من هذا الجدي. فقال له معاوية: ألم تقل إنك صائم؟ قال: بلى، ولكني على رد يوم أقدر مني على رد مثل هذا الجدي. فضحك معاوية، وأمر له بالماء فغسل يده وأكل معه.

القرطبي، «بهجة المجالس وأنس المجالس»، القاهرة: الدار المصرية، 1962م.

الاغتياب والصداقة

نزل ضيفان على أحد الأمراء وكان لا يعرفهما، فأحب أن يسأل كلاً منهما عن رفيقه منفرداً. فأجابه الأول إن رفيقي أيها الأمير كلب ابن كلب. وأجابه الثاني إن رفيقي حمار ابن حمار.

وعند العشاء أمر الأمير خادمه أن يضع على المائدة أمام أحدهما كمية من الشعير، وأمام الثاني بعض العظام. فلما جلسا إلى المائدة دهشا من نوع الطعام الذي في صحن كل منهما. فقال الأمير لا تعجبا أيها الضيفان فقد قدمت لكل منكما ما يناسبه بحسب شهادة رفيقه فيه. عندئذٍ استولى عليهما الخجل، وأدركا أن اغتياب الواحد لرفيقه أمام الغرباء مجلبة للعار والاحتقار.

جرجس الخوري المقدسي، مجلة «المورد الصافي»، بيروت: 1932م.

خيبة أعرابي

وقف أعرابيّ على أبي الأسود الدؤلي وهو يتغدّى، فسلم فردّ عليه، ثم أقبل أبو الأسود على الأكل ولم يعزم عليه. فقال له الأعرابي: إني قد مررت بأهلك. قال: كذلك كان طريقك. قال. وامرأتك حبلى. قال: كذلك كان عهدي بها. قال: قد وَلدتْ. قال: كان لا بد لها أن تلد. قال: ولدتْ غلامين. قال: كذلك كانت أمُها. قال: مات أحدهما. قال: ما كانت تقوى على إرضاع الاثنين. قال: مات الآخر. قال: ما كان ليبقى بعد موت أخيه. قال: وماتت الأم. قال: حزناً على ولديها. قال: ما أطيب طعامك! قال: لأجل ذلك أكلته وحدي، والله لا ذقته يا أعرابي.

نعمة الله الجزائري، «زهر الربيع»، بيروت: 1980م.

الآنسة أم كلثوم «ستغني» في القدس

| نبيل خالد الأغا

أمام القراء الفضلاء صورة لإعلان قديم لحفلة «ستقيمها» «فاتنة الجماهير ومطربة الشرق الوحيدة» الآنسة أم كلثوم في القدس خلال عقد الثلاثينيات من القرن العشرين أيام كانت فلسطين خاضعة للاحتلال البريطاني «1920-1948»، أي أن عمر الإعلان يزيد على ثمانين عاماً.

والإعلان مطبوع بمطبعة «فلسطين الجديدة» بيافا، ومصبوغ بصبغة دعائية بحتة ومسهبة ورد فيها حرفياً:

«إلى أهالي القدس.. اقرؤوا هنا!!!، ليلتان فقط! لفاتنة الجماهير ومطربة الشرق الوحيدة الآنسة أم كلثوم تحييهما على مسرح سينما عدن بالقدس يوم الخميس ويوم الجمعة في 8 و9 تشرين الأول الساعة 9 مساء، محلات خصوصية للسيدات، يتبدى الفن الغنائي في صوت أم كلثوم الملائكي، نزف هذه البشرى حتى لا تفوتهم الفرصة ويضيع عليهم الاستمتاع بما وهب الله هذه الفنانة الفتانة من نبوغ وسحر وفتنة».

درجة أولى 530 ملا (مليما)، درجة ثانية 430 ملا، درجة ثالثة 330 مل، للسيدات في أماكنهن الخصوصية 430 ملا، فلا تدعوا هذه الفرصة تفوتكم، التذاكر تباع في محلات داود الدجاني، محمود عكرماوي، وعلى باب المسرح (مسرح سينما أديسون).انتهى نص الإعلان.

أغلب الظن أن هذا الإعلان لم ينشر في صحيفة أو مجلة، لكن ورد مطبوعاً على ورقة مستقلة مقاسها 30X22، ويوزع مجاناً على المارة وهو من مقتنيات صالح عبدالجواد ومنشور في كتاب (القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية) وهو الجزء الثاني من مذكرات عازف العود الفلسطيني واصف جوهرية الذي ولد في القدس عام 1897 ومات في بيروت عام 1973. وحضر حفل أم كلثوم الرائع ووصفه قائلاً: «كان الإقبال عليها شديداً - والقلم يعجز عن وصفه - من جانب الأهلين، وكان الوقوف من الحضور يوازي الجالسين على المقاعد، وأصبح الجميع وكأنهم في غيبوبة من شدة الطرب، فقدروا حشمتها ورخامة صوتها كل التقدير، وكانت ليلة لأبناء مدينة القدس من ليالي العمر التي لم يسبق لها مثيل.

تجلت كروانة الشرق وأبدعت أيما إبداع لما شاهدته من اصطفاء وتقدير وحب الشعب لها، الأمر الذي أفقدها وعيها حتى مزّقت منديلها الذي كان بين يديها من شدة العواطف، وإني وغيري لن ننسى أغنيتها المحببة لها آنذاك ومطلعها: وحقك أنت المنى والطلب.

أما عن زيارة الفنان محمد عبدالوهاب للقدس فيصفها جوهرية في مذكراته قائلاً: زار الفنان الموهوب والموسيقي الكبير الأستاذ محمد عبدالوهاب القدس لأول مرة في شهر حزيران (يونيه) سنة 1927، وقد أقام حفلة شيقة على مسرح متواضع وهو مسرح مدرسة السالزبان للذكور.. كان الإقبال عليه لا بأس به، لأنه كان في بداية عهده بالفن.

وأسهب جوهرية في سرد التفاصيل الخاصة ببعض الفنانين الذين أحيوا الحفلات في فلسطين أمثال المطرب فريد الأطرش والراقصة تحية كاريوكا وغيرهما.



علي سيار

نقطة حبر



الكل على حق.. الكل على باطل..!

مع تعدد الانشطة الفنية والثقافية في المنطقة ومع تزايد الاهتمام بالتراث ·· والعودة الى الاصل لمواجهة التيارات الثقافية الغربيـة الزاحفـة الينا مع وسائل المواصلات الحديثة التي كسرت طوق العزلة في العالم كله ·· لابد من وقفة متانية نسال انفسنا خلالها عن مدى صدقنـا وامانتنا سواء على صعيد حفظ التراث او على صعيد الاهتمام بالقضايا المثارة مما يتناول (الهوية) التاريخية لوطننا العربي الكبير ·

اذكر ان الكويت ، وقبل حوالي العشر سنوات ، استدعت بعض كبار المؤرخين العرب حيث شكلت منهم لجنة لاعادة كتابة تاريخ الكويت من جديد ·· كمـا شكلت على صعيد اخـر لجنة اخـرى من الكويتيين المثقفين والواعين لرصد حركة التراث الشعبي وتسجيله بالكلمة والصورة والصوت ·

وكانت تلك هي البداية الحقيقية لرؤية تاريخية سليمة لخريطة الاحداث الفنية والثقافة والسياسية والاجتماعية للحقب المعتمة في تاريخ الكويت كما كانت اسلوبا جديدا في التعامل مع التراث والتاريخ لم تسلكه – على حد علمي – دولة عربية اخرى ·· فقد كانت – وما زالت – كل موروثاتنا التاريخية من فنية وادبيـة واجتماعيـة وسياسة هي حصيلة جهود فردية بحتة مما جعلها عرضة للتلون وفقا للون وهوية القائم على تدوينها ··

قد تختلف وجهات النظر حول شان الحياة وقد يصل الخلاف في الراي بين الافراد الى درجة يحمل كلا منهم على محاربةالطرف الاخر ··· ولكن ذلك لا ينبغي أن ينعكس على كتابة الرؤية الحقيقية الصادقة لما حدث بغض النظر عن اية اعتبارات سياسيـة او عقائديـة أو فكرية ·

ونتيجة لذلك قرانا تاريخنا بوجهين ··· وربما بثلاثة وجوه ··· طبقا للرؤية التي يكتب من خلالها رواة التاريخ ·· وهي رؤية لا نبالغ اذا قلنا بانها تتسم بالطابع الشخصي بكل ما يحمله الراوي من فكر سياسي أو ديني او ثقافي·· وكانت حصيلة ذلك ان وقف التاريخ العربي امام بعض الاحداث عاجزا عن الاقتراب منها بصدق وامانة ··الامر الذي تسبب في نزوع (المتاخرين) من الرواة الى اخضاع معطيات تلك الاحداث لما يتفق واهواءهم ·· وربما امزجتهم ··· !

ولن نذهب بعيدا فنحن نقابل جميع احداثنا المعاصرة حتى قبل ان تتضح معالمها تماما بضبابية كلامية وهي ضبابية تنفجر في كل حين كلما واجهنا حدث ، ويشعر كل فرد في هذه الامة بانه لم يعد قادرا على التمييز بين الحق والباطل ·· !

ومن المؤكد ان هذه الحروب الكلامية التي استعر اوارها – ونحن نقف في منعطف تاريخي خطير – ستستمر طويلا طالما أن حملة الاقلام ومدونو التاريخ ينتمون لطوائف وشيع ومذاهب شتى ·· فالكل – على حد زعمهم – على حق ·· والكل – على حد زعمهم ايضا – علىباطل ··· !

وتبقى الحقيقة ···

والحقيقة لن يستطيع ان يقولها احد الان ·· لا لشيء الا ان كل مدوني التاريخالذين شرعوا اقلامهم – مادحين او قادحين – ينطلقون من تصور ذاتي للموضوع غير بعيد عن (الانا) ··· و (الانا) – كما نعرف – اول مزيف للحقيقة واول مزور للتاريخ ··· !

ولكن ذلك لا يعني بالمرة ان كلا الفريقين على خطا فاحدهما – قطعا – لابد وان يكون على صواب ·· ولكن من يقول لنا هذاالصواب ·· ؟

لن نطلب من (كتبة) التاريخ ان يقولوا لنا حقيقة ما يحدث أمام اعيننا الان فذلك شيء ليس بمقدورهم ان يفعلوه ·· ولكننا نطلب منهم فقط ان يعيدوا النظر فيما دونه اسلافهم وان يجيلوا البصر ويدققوا النظر بما حوته بطون الكتب من احداث لابد وانها اخضعت للامزجة من جهـة وللتيـارات العقائديـة والسياسيـة والمذهبية من جهة ثانية ·

لقد كانت – وما تزال – نقطة الضعف الحقيقية في تاريخ العرب ان بعض احداثه قابلة للجدل وان بعضها الاخر قابل للتصديق والتكذيب ·· وقد استغل اعداء العرب هذه النقطة فحوروا هجومهم على نقاط الضعف هذه ووظفوها في خدمة اهدافهم مستثمرين كل السلبيات التي كتب بها تاريخنا ·· وكانت عملية التصدي لهؤلاء الاعداء مرهقة وشاقة طالمـا ان الركائز التاريخيـة – او بعضها على الاقل – التي يقف عليها المفكر العربي عاجزة عن حفظ توازنه ووقايته من السقوط ··· !

محمد جابر الأنصاري

زاوية الرأي



هذا السؤال النازف كالجرح

هناك سؤال أساسي وجوهري يفرض نفسه بالحاح على ضمير الانسان العربي المفكر كلما امعن النظر في ماساوية الحياة العربية المعاصرة · ففي نهاية كل مرحلة من مراحل تاريخ العرب الحديث يعود هذا السؤال ويرتسم علامة استفهام محيرة ، منهكة ، جارحة في صميم المعاناة العربية ·· دون جواب ودون أمل ·· فهذا السؤال ليس خاصا بهذه المرحلة الراهنة ، بل هو ذاللحن المتكرر في السيمفونية العربية الحزينة الناقصة ياتي بعد كل مقطع مجهض من مقاطعها ليعيد المغزى الازلي المحتوم كما يعيد الكورس في التراجيديا الاغريقية حكم القدر الثابت على المصير البشرى الفاجع ···

السؤال باختصار: لماذا لم تحسم الامة العربية مصيرها وتكمل نهضتها وتحقق اهدافها ووحدتها كما فعلت امم شرقية كثيرة غيرها كاليابان والصين وفيتنام والهند على الرغم من أن الامة العربية بدأت نهضتها الحديثة قبل تلك الامم أو معها ، ومرت بتجارب واجهاضات مماثلة وربما اكثر · ولكن الفارق أن خرجت تلك الامم من معاناتها ملتحمة ، صلبة ، ناهضة ، منتجة ، تعرف طريقها ومكانها في العالم ، وتقوم بدورها واثقة بنفسها ، مجدة عاملة ·· بينما الامة العربية تخرج من تجربة لتدخل في أخرى ، وتخرج من اجهاض لتقع في الآخر دون نتيجة ثابتة محققة ·

لماذا ؟ كيف ؟ والى متى ؟ ومن المسؤول ؟

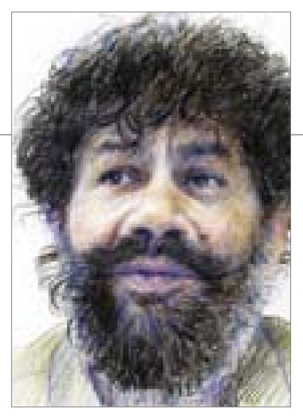
لا احد يملك الجواب · لا القادة ولا المفكرون ولا الاحزاب ولا الشعوب · او على الاقل لم يتفق العرب على حل واحد حاسم للسؤال – المعضلة يلتزمون به ويمضون جميعا لانجازه · واذا سمعت اجوبة او اشباه اجوبة فكلها تناقض بعضها بعضا ، ويلغي احدها الآخر في حومة الصراع الداخلي بجسم الامة ، والنتيجة صفر ، او مادون الصفر بكثير !

قبل اسابيع اقترح المفكر قسطنطين زريق أن تنشيء مؤسسة ابحاث من كبار الباحثين تجيب لنا على سؤال واحد : لماذا استطاعت اليابان تحقيق الوحدة والنهضة والتصنيع الرائع واخفقنا نحن العرب ؟ وهذا الاقتراح يدل على ان الفكر العربي لم يتوصل بعد الى اجابة على هذا السؤال الاساسي ·

وفي ندوة ازمة التطور الحضاري التي عقدها المفكرون العرب بالكويت عام ١٩٧٤ كان هذاالسؤال هو الغيمة السوداء التي خيمت على المؤتمر · وكان الدكتور شاكر مصطفى ادق المشاركين تعبيرا عن ماساوية السؤال حين قال : لماذا تطلب وفاق العرب مع العصر كل هذا الوقت الطويل ، ودون كبير جدوى ؟ هذا السؤال المصيري النازف كالجرح في ضمير كل عربي ملتزم .اذا كان ما يزال ياخذ يوما بعد يوم ابعادا ماساوية متزايدة فلانه قد مضت على ارتطام هذه الامة بالحضارة الحديثة سنون بعيدة بعيدة كتلة الاقاليم العربية مضت عليها الفترة الزمنية الكافية لتكون في مستوى العصر وتكنولوجيته وفيضه الحضاري· معظمها على الاقل انطلق قبل الصين التي بدأت منذ ربع قرن ·· وبعضها قبل اليابان التي بدأت منذ مائة سنة ·ومع ذلك فهذه الامم وصلت · كلها وصلت · بينما لم يصل اي اقليم عربي طبيعي الى شيء بعد ··· ماساوية السؤال انما تنبع من احتمالات الاجوبة عليه : فهل وصلت الامة حقا مرحلة الشيخوخة فهي الى الادبار والعقم الحضاري ؟ أم اضاعت الطريق ، ام ثمة من الامراض المعقدة في تكوينها العام مايشل المفاصل ؟ ·· تلك هي المسالة ! » ·

اجل تلك هي المسالة : بعد انهيار نهضة محمد علي الكبير برز هذا السؤال · بعد ذبول عصر اسماعيل وثورة عرابي عاد السؤال · بعد فشل الثورة العربية الاولى في توحيد المشرق بفعل التقسيم الانجلو – فرنسي تكرر السؤال · بعد اخفاق العرب في منع قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ وتهاوي العهود البرلمانية أعيد السؤال · بعد هزيمة ١٩٦٧ كان لابد من السؤال · واليوم مازال مسالة المسائل ·واخشى ان يجد أطفالنا انفسهم بعد جيل آخر واجهاض آخر امام السؤال ذاته ··· الا اذا تعلمنا وعلمنا اطفالنا كيف تتحول علامة الاستفهام الى علامة فعل ،وكيف ينقلب السؤال الى جملة فعلية ··

محمد جابر الانصاري



علي السوداني

ليلة حلق البياتي لحيتي

قبل اثنتي عشرة سنة، مات عبدالوهاب البياتي بدمشق، موتاً موحشاً كما لو أنه «بروفات أولية» من أجل تحمّل وحشة مقبرة الغرباء، وخمس أذرع تحت التراب، على مبعدة ترتيل مرثية، من تلة ضريح الشيخ محيي الدين بن عربي. ما كان ارتحاله صوب الشام موفقاً، فقد سكنها على رنين سيوف معركة ساخنة، انجلى غبارها، لكن لسعاتها ما زالت تتملل تحت رماد الأنا العالية.

من عمّان، قصف أبو علي، بهاونات الكلام الثقيل، نجمين عاليين، هما نزار قباني وكاظم الساهر الذي قال مرة، إنه سيغني ويلحن ما تيسر من قصائد البياتي، لكنه لم يفعل، بل واصل ثنائيته الخلاقة مع نزار، حتى صارت المسألة، ثقلاً وحسرة مضافة فوق قلب البياتي.

في دمشق، تبدلت بوصلة المعنى تبديلاً، فانزرع كاظم بنفس مكانة المشتوم، وتزحزح نزار، فصار هو من بعث الساهر من جديد، بعد انطفاء وتلاش. ظلت مسألة غناء قصائده، تأكل وتشرب معه، حتى حط على مائدته السهرانة أبداً، مطرب شاب وسيم، لا أدري أرضه الآن، اسمه عايد المنشد، واستأذن أبا علي لغناء سلة من شعره الممكن. شع وجه الشاعر نوراً نبوياً. وقعت هذه الموقعة ببيت فاضل جواد بجبل اللويبدة.

بعد موت البياتي الموجع فوق كرسي وحيد - كنت قبلها بشهرين، صحبة محمد جاسم مظلوم، نرقب بقلق معتم، الحكيم الذي عاين البياتي، بعد تورم قدميه المفزع - ركبت على مخي، فكرة تدوين كتاب - قد يكون مشتركاً - عن حياة البياتي في عمّان، إذ أدركت منها، ليالي وصخباً مشهراً، حول مائدة مشهورة محسودة مغموزة قائمة في حانة الياسمين، مائدة سكرانة أو منتشية، هي نتاج ما قبلها بسويعات، حيث طاولة البياتي المدقوقة في غاليري الفينيق.

قبل تيمم الوجوه نحو حانة الياسمين، يبدأ البياتي، اصطفاء جلاسه، فإن تصادف أن حط على سور طاولة الفينيق، واحد ثقيل لا يطيقه البياتي، شرع واحد منا، بنسج كذبة، تشلع الزائر الثقيل، من موضعه، فتشمره شمراً، خارج المكان، لحظتها، يستل أبو علي، سيكارة بيضاء أخيرة، ينفث دخانها في سماء الغاليري، بمتعة وانتشاء، كما لو أنه أزاح جبلاً من على صدره.

بعد أن نحط رحالنا في الحانة، سيكون ذلك الكائن الكريه، مادة دسمة، نشتلها فوق مقلاة المائدة، ونرش فوقها ما تيسر من معجم الهجاء العظيم. ليس بالضرورة، أن ينفر كل جلاس مائدة الياسمين الليلة، من ذلك الكائن المطرود منها. يكفي أن ينفر منه عبد الوهاب، فيصير الأمر نفرة جماعية شاردة نحو هبوط المعنى بقوة القناع. في تلك الليالي المزدحمة - سكرة البياتي كانت ليلية حتماً -، شفت أزيد من مئة وجه، ألوب الآن وأتقلب، كي لا أرصع بها وجه هذا المكتوب المستعجل.

رأيت ورننت كأسي بكأس الندمان، شعراء كباراً، ومثلهم بالتوصيف، رسامين وقصاصين وروائيين ونقاداً ومفكرين ومطربين وممثلين ومريدين من حفظة شعره وقفشه.

أما ليلة «زيان» لحيتي التي توجنا بها باب هذا المكتوب، فهي موقعة وقعت، وغزوة، أرشفت بوميض الكاميرا، وهي ومقترباتها، تستدعي مساحة حرث جديدة، قد أعود إليها عند خاصرة الأسبوع الجاي، أو أرحّلها صوب مقترح كتاب عنوانه الابتدائي «ليلة على سور مائدة عبد الوهاب البياتي» وسيكون المدونون والشاهدون، هم الأسماء البديعة التي لم أجئ على ذكرها العاطر الليلة. تصبحون على خير وعافية، وحلم لقاء جميل في بلاد ممكنة حلوة. أبا علي : لك الراحة في مدفنك المزار.

مّي زيادة

كلمة الحب المحايدة

ولدت ماري إلياس زيادة في الناصرة عام 1886، أحبت أن تُرنّم اسمها فعرفت بميّ زيادة، ابنة وحيدة لأب من لبنان وأم فلسطينية. تلقت دراستها الابتدائية والثانوية بلبنان. وفي العام 1907، هاجرت إلى القاهرة مع والدها، وهناك درست الفلسفة والأدب العربي والتاريخ.

شاعرة وأديبة ومترجمة أتقنت ست لغات، عيد الزمان في رسائل عاشقها الأزلي، وزهرة المستمعين في صالونها الثقافي (ندوة الثلاثاء)، الذي لملمت فيه خيرة أدباء عصرها: مصطفى عبد الرازق، عباس العقاد، طه حسين، خليل مطران، أحمد شوقي، أحمد لطفي السيد، شبلي شميل، يعقوب صروف، أنطون الجميل، مصطفى صادق الرافعي، إسماعيل صبري، وكل الذين ساهموا في تنشيط الحركة الأدبية في ذلك الزمان، ممن ألهمتهم بروحها الشاعرة. لكن قلب ميّ ظل مسكوناً بقصة حب أبدية مع جبران خليل جبران، ولم تتمكن من لقائه طوال حياتها إلا عبر عشرين سنة من المراسلات حتى وفاة جبران عام 1931.

سيرة ميّ زيادة حافلة بالمواجع والخسارات، ودّعت أحبابها تباعاً، والدها عام 1929، جبران عام 1931، ثم والدتها عام 1932. ولم يستطع سفرها المتكرر تنقلاً بين بريطانيا وإيطاليا أن ينسيها مرارة الافتقاد. وفي عام 1938 أرادت أن تهدي مكتبتها إلى مصر وبعضها إلى لبنان، لكن الطمع العائلي أوقعها في خديعة مرة جردتها من كل شيء. وأوقعت إحدى المحاكم عليها الحجْر، وأودعت في مصحة الأمراض العقلية ببيروت إلى أن تدخل محبوها منددين بأقلامهم بما تعرضت له من مكرٍ قاسٍ، وبعد عودتها إلى القاهرة بسنوات قليلة رحلت عن الحياة في أكتوبر 1941.

كتبت ميّ بخط يدها قبل أن تودّع العالم: «أتمنى أن يأتي بعدي من ينصفني». تركت مقالات غزيرة امتلكت قلوب قرائها عبر أبرز الصحف والمجلات المصرية (المقطم، الأهرام، الزهور، المقتطف، الهلال، والمحروسة التي أسسها والدها). من أشهر مؤلفاتها (المساواة، باحثة البادية، سوانح فتاة، كلمات وإشارات، غاية الحياة، رجوع الموجة، بين الجزر والمد، الحب في العذاب، ابتسامات ودموع، ظلمات وأشعة، وردة اليازجي، عائشة تيمور، نعم ديوان الحب).



كتاب شهر نوفمبر

مجاناً مع العدد

كتاب

الإسلام وأصول الحكم

علي عبدالرازق



تقديم:

حيدر إبراهيم

تعقيب:

السيد محمد الطاهر بن عاشور

الزمن نهر قديم يعبر العالم منذ الأزل! ولكنه نهر صامت، حتى إننا ننساه أحيانًا، وتنسى الحضارات، في ساعات الغفلة أو نشوة الحظ قيمته التي لا تعوض. ومع ذلك ففي ساعات الخطر في التاريخ، تمتزج قيمة الزمن بغريزة المحافظة على البقاء، إذا استيقظت، ففي هذه الساعات التي تحدث فيها انتفاضات الشعوب، لا يُقوّم الوقت بالمال، كما ينتفي عنه معنى العدم؛ إنه يُصبح جوهر الحياة الذي لا يُقدر.

مالك بن نبي

شروط النهضة

تقديم: رضوان السيد

كتاب عدد نوفمبر

مع مفاجأة جديدة للقراء